

اعلام الحجاز

في القرن

الرابع عشر والخامس عشر الهجري

تأليف

محمد علي مغربي

ح محمد علي مغربي

مغربي ، محمد علي .
اعلام الحجاز في القرنين الرابع عشر والخامس عشر .
... ص : اسم
ردمك ٢ - ٣٤٨ - ٢٧ - ٩٩٦٠
١ - الحجاز - تراجم ٢ - السعودية - تاريخ
١ . العنوان
ديوي ٥٣١٢ ، ٩٢٠ ١٤/٢١١٥

رقم الإيداع : ١٤/٢١١٥
ردمك ٢ - ٣٤٨ - ٢٧ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

أعلام الحجاز

في القرن
الرابع عشر والخامس عشر الهجري

تصميم الغلاف : عباده الزهيري

مطابع دار البلاد - جدة - ت : ٦٧٠٠٣٣٣





المقدمة

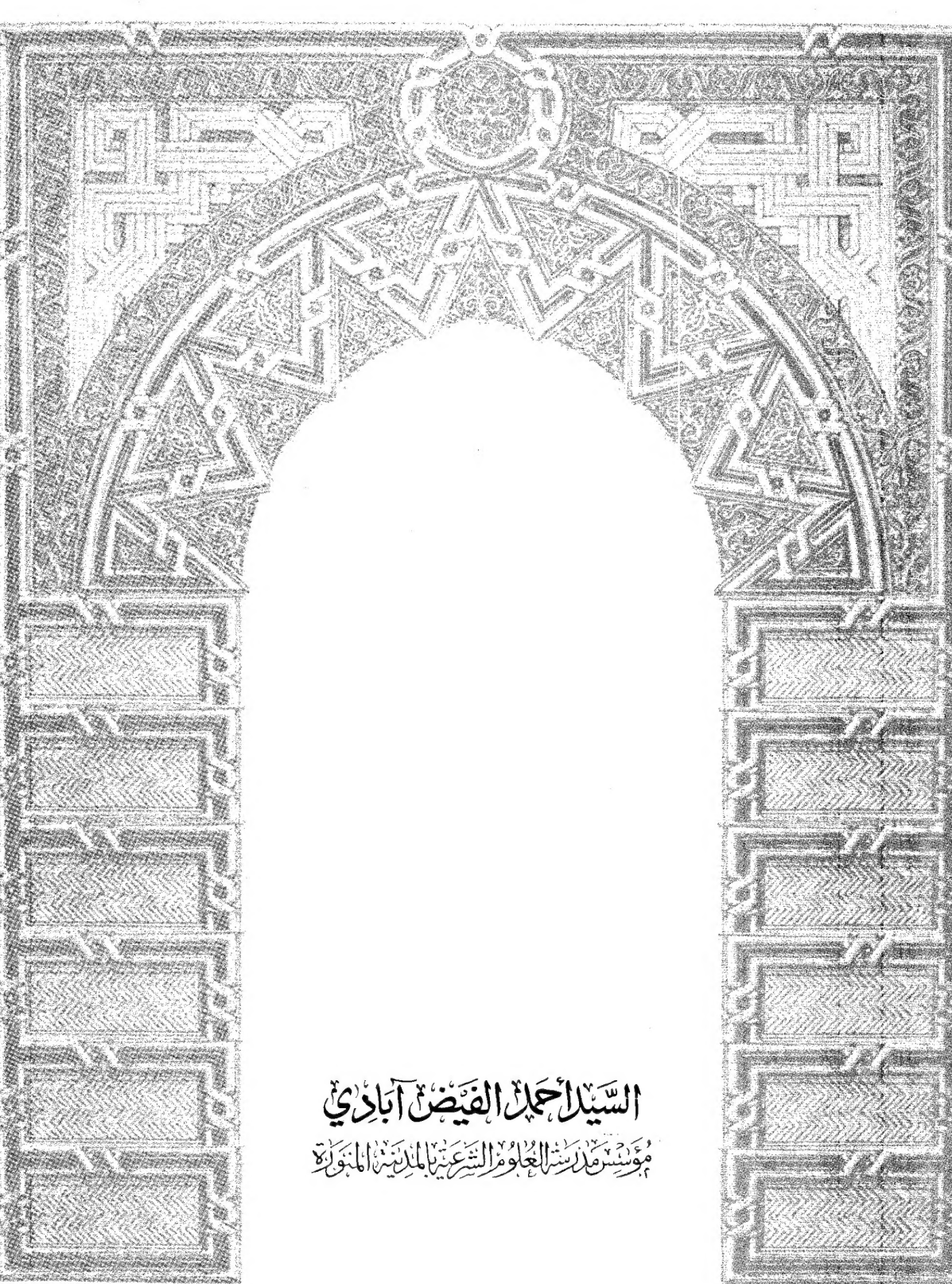
الحمد لله حمداً يليق بجلاله ، والشكر له شكراً يليق بنعمائه وآلائه ، وصلاة وسلاماً على خير خلقه وخاتم رسله وأنبيائه وبعد .

فهذا هو الجزء الرابع من أعلام الحجاز تحدث فيه عن عشرة من أعلام الرجال كانوا ملء السمع والبصر ، وقد فارقوا هذه الحياة الدنيا فانتهت حياتهم ، وبقيت لنا آثارهم وذكرياتهم .

ولعل أطول هذه التراجم وأحفلها بالمادة التاريخية هي ترجمة الشيخ عبدالله غازي مؤلف الكتاب الموسوعة في تاريخ مكة والذي سَمَّاه « افادة الأنام في أخبار البلد الحرام » هذا الكتاب المخطوط في ست مجلدات كبيرة ضخمة ، وقد استخلصت منه ما أعتبره اكماً لما سبق أن ورد في الأجزاء الماضية من أعلام الحجاز عن آثار مكة المكرمة والكعبة المشرفة والمسجد الحرام ، وقد فصلت ذلك كله في مكانه ليكون القارئ ملماً بهذا التاريخ الضخم عبر القرون ، وبتلخيص كتاب افادة الأنام للشيخ الغازي يكون هذا الجزء من أعلام الحجاز قد احتوى على حقائق تاريخية كثيرة عن الكعبة المشرفة والمسجد الحرام ، ومكة المكرمة وجبالها وعيونها ومعالمها ، وبعض هذه الحقائق يرجع تاريخه الى قرون سالفة كثيرة ، ولا أريد الاطالة في الحديث عن كتاب الغازي في هذه المقدمة فقد تحدثت في الترجمة نفسها عن ذلك باسهاب .

والأعلام الذين تحدثت عنهم في هذا الجزء فيهم العالم والمؤرخ والشاعر والتاجر والمصلح والأديب والناشر ، وكل منهم كان علماً في مجاله ، وقد اجتهدت ما وسعني أن أقول فيهم كلمة حق مشيداً بالحسنات مبتعداً عن الشوائب والهينات التي لا تخلو منها حياة الناس ، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يتنفع القارئ بما في سيرة هؤلاء الرجال من القدوة الطيبة والعمل الصالح إنه وحده سميع مجيب .

محمد علي مغربي



السَّيِّدُ أَحْمَدُ الْفَيْضُ أَبَادِي
مُؤَسَّسُ رِشْدِ الْعَالَمِ الشَّرْعِيِّ بِالْمَدِينَةِ الْمُبَارَاةِ

السيد أحمد الفيض آبادي

أسمر اللون ، متوسط القامة ، ينمُّ بريق عينية عن ذكاءٍ وقادٍ ، قويَّ العزم ، اشتعل رأسه شيئاً قبل أن يبلغ المشيب ، خفيف اللحية التي يختلط فيها البياض بالسواد ، بسيط المظهر ، يرتدي ثوباً من القماش الأبيض ، ويعتمر قلنسوة حجازية ملتصقة بالرأس^(١) ، تفيض نفسه بالرغبة في الإصلاح والمحبة للناس ، مشغول الفكر بالعمل العظيم الذي نذر نفسه لتحقيقه رغم المصاعب والعقبات .

الاسم والنسب :

ولد السيد أحمد الفيض آبادي بقرية « بانكرمو » التابعة لفيض آباد بتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٢٩٣ هـ ، ويرجع نسبه الى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، حيث هاجر جدُّه الأعلى السيد نور الحق الى الهند في عهد السلاطين الغزنويين واستقر بقرية « الله داربور » من أعمال فيض آباد التي استوطنتها أسرته جيلاً بعد جيل ، حتى نزح منها حفيده حبيب الله الى الحجاز ، وحبيب الله هو والد السيد أحمد الفيض آبادي .

تعليمه :

التحق أحمد الفيض آبادي بمدرسة حكومية في قرية تانده ، حيث كان والده مدرساً بها ، ونجح الطالب أحمد وكوفئ باعانة مالية شهرية من قبل القائمين بأمر المدرسة تشجيعاً له . ثم التحق بمدرسة ديوبند الجامعة في سنة ١٣١٥ هـ حين بلوغه الثانية والعشرين من العمر ، وبعد تخرجه بعام واحد هاجر والده من الهند الى المدينة المنورة بأسرته وجاء الشاب أحمد الفيض آبادي الى المدينة المنورة مع أسرته ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى الهند حيث بقي بها

(١) ٢- ١٧- ١٨ السيد أحمد الفيض آبادي لعبد القدوس الانصاري .

أربعة أعوام ، وفي عودته الى الهند اتصلت أسبابه بالسيد أحمد الكنكوهي طيلة عامي ٢١ ،
٢٢ ، ولازمه ملازمة الظل وأفاد من هذه الصحبة رياضة النفس على الأخلاق الفاضلة .
كان السيد أحمد على علم باللغات فقد كان يتكلم اللغتين الفارسية والأردية الى جانب
إتقانه للغة العربية مع إلمام بمبادئ اللغتين التركية والانجليزية .
وكان يتقن الخط والكتابة ، وكتابته بقلم النسخ آية في الجمال ، وأجل منها كتابته بقلم
التعليق الفارسي^(١) .

أسرته :

وينتمي السيد أحمد الى أسرة اشغلت بالعلم والتعليم فوالده عمل رئيساً للمدرسين في
مدرسة صفى بور بالهند ، ثم تنقل في البلاد والأعمال حتى ألقى عصا التسيار ببلده - بانكرومو -
فعين مدرساً باحدى مدارسها واقرن بابنة عمه وهو مقيم بها ، وبها ولد ابناؤه صديق ، وأحمد
الفيض آبادي ، وشقيقه حسين ، ومن هذه البلدة هاجر الى المدينة المنورة^(٢) .
وشقيقه السيد حسين أحمد ، الذي وصل الى المدينة برفقة والده كان مشغولاً في بدء حياته
بالعلم والتعليم .

كانت له حلقة بالمسجد النبوي الشريف وتلمذ على يديه الكثيرون من علماء المدينة المنورة
وشعرائها منهم . على سبيل المثال ، الشيخ / عبد الحفيظ كردي عضو المحكمة الكبرى بالمدينة
المنورة وأحد شعرائها ، وأحمد البساطي نائب القاضي ، ثم أحد مدرسي القسم العالي
بمدرسة العلوم الشرعية ، ومنهم بشير الابراهيمى الزعيم الجزائري الذي وصل الى المدينة
مهاجراً من بلده ، بعد أن احتلته فرنسا وأصرّت على اعتبار الجزائر اقليماً فرنسياً .
وحسين أحمد هو الذي نصح الابراهيمى الزعيم الجزائري وزميله عبد الحميد باديس
بالعودة الى بلدهما قائلاً لهما ما معناه .

ان بقاءكما بالمدينة لن يفيد الجزائر بشيء ، ولكن عودوا الى بلادكم وابدأوا بتعليم القرآن
الكريم في كل مكان يتيسر لكما ذلك ، ان الفرنسيين لن يستطيعوا الأمر بمنع تعليم أطفال
الجزائر القرآن الكريم .

وهذا القرآن هو الذي يفتح الباب للعمل لاستقلال الجزائر ، وعاد الابراهيمى وعاد معه
عبد الحميد باديس ، وبدأ العمل لاستقلال الجزائر من كتابت تعليم الأطفال سور القرآن
الكريم ، وقد كتب الله لحسين أحمد العودة الى الهند ليشترك في العمل على اخراج الانجليز
من الهند فكان واحداً من أبرز الرجال الذين عملوا لاستقلال الهند ، ونعود بعد هذا
الاستطراد لتحدث عن حسين أحمد بالمدينة .

(١) ١ - ٥٩ - ٦٢ أحمد الفيض آبادي .

(٢) ١ - ٢٧ السيد أحمد الفيض آبادي لعبد القدوس الانصاري .

ظل حسين أحمد مقيماً بالمدينة يلقي الدروس على تلاميذه بالمسجد النبوي الشريف الى أن نشبت الحرب العالمية الأولى ، فسافر الى مكة المكرمة والطائف ، وبعد أن قامت الثورة على الحكومة العثمانية طُلب منه أن يفتي بوجوب الخروج على الدولة ، ولم يكن يرى ذلك فامتنع فنُفي الى جزيرة مالطة ومكث بها الى أن انتهت الحرب العالمية وأطلق سراحه فعاد الى الهند ، وعمل بالنصيحة التي نصح بها الابراهيمي وباديس ، فعاد الى الهند لبدأ جهاده فيها ، رائداً ينشر العلم ، ومصلحاً يوقظ الهمم الخاملة ، داعياً الى الاصلاح الديني والاجتماعي ، فهما السبيل الى رفعة الأمة لتخلع عن عاتقها نير الاستعباد وكان الرجل يتقن اللغتين العربية والأردية كما رزق موهبة الخطابة والفصاحة ، فكان لذلك تأثيره القوي في السامعين . وبعد كتابة ما تقدم قرأت للاستاذ / محمد حسين زيدان في سبب نفي حسين أحمد الى مالطة مايلي :

والصحيح أنه جمع أموالاً تبلغ أكثر من مليون روية فذهب بها الى الطائف عوناً للباشا التركي ضد موقف الحسين بن علي ، فحكومة الشريف هي التي سلمته للانجليز فنفوه الى مالطة^(١) .

أقول : انني شخصياً استبعد صحة هذه الرواية التي ذكرها الزيدان ولم يذكر مصادره فيها ، فالزمن الذي قام فيه الحسين بن علي بالثورة على الأتراك زمن الحرب العالمية الأولى ، فكيف تمكن حسين أحمد وهو بالمدينة أن يجمع المليون روية ويذهب بها الى الطائف ليسلمها للقائد التركي هناك وأهل المدينة ليس لديهم ما يكفيهم وحجاج الهند بينهم وبين الوصول الى المدينة الحرب العالمية ؟ . أخشى أن يكون الخبر مكذوباً أو مبالغاً فيه .

اشتغل حسين أحمد مدرساً بالجامعة التي تخرج منها فشغل منصب مشيخة علم الحديث النبوي ، كما عمل نائباً لرئيس جمعية العلماء في دهلي .

وقدم الى المدينة زائراً سنة ١٣٥٨ هـ وألقى محاضرة قيّمة في مدرسة العلوم الشرعية التي أسسها أخوه السيد أحمد ، فكانت محاضرة جامعة تحدّث فيها عن المجتمع الاسلامي ، ارتجلها باللغة العربية الفصحى ، فكانت آيةً في الاستيعاب والدقة ، والملاحظات الشاملة ، وقد نشرت هذه المحاضرة في مجلة المنهل في أعداد متسلسلة^(٢) .

وأخوه الثاني جميل أحمد ، التحق بالمكتب الاعدادي التركي بالمدينة المنورة ، ومن هذا المكتب أوفد الى الاستانة للالتحاق بالمدارس العليا بها ، ولكن المنية وافته وهو في ذروة شبابه فتوفي بالمدينة قبل اكمال دراسته العليا .

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٤٣ .

(٢) ١٨ ٢٠ السيد أحمد الفيض آبادي .

وأخوه الرابع محمود أحمد ، التحق بالمكتب الاعدادي في المدينة المنورة ، وتخرج منه عام ١٢٣٥ هـ والتحق كاتباً بالمحكمة الشرعية بالمدينة ، وتدرج في وظائفها حتى أصبح رئيساً لكتاب المحكمة في العهد الهاشمي ، وفي العهد السعودي استمر في عمله بالمحكمة ثم انتدب قاضياً لمدينة جدة ، ومارس فيها وظيفة القضاء عامين ، ثم عاد الى المدينة بعد أن اعتذر عن البقاء في جدة ، واشتغل بالأعمال التجارية الى جانب الأعمال الحكومية التي أسندت اليه ، ومنها كتابة عدل المدينة المنورة ، وعضوية المجلس الاداري ، ورئاسة مجلس الأوقاف ورئاسة المجلس البلدي^(١) .

تفكيره في تأسيس المدرسة :

في هذه البيئة العلمية نشأ أحمد الفيض آبادي ودرج ، فلما عاد من الهند واستقر بالمدينة المنورة ، رأى أن هذه البلدة الطيبة في حاجة الى مدرسة تنشر العلم بطريقة منظمة ، كانت الدروس الدينية وحلقات العلم موجودة بالمسجد النبوي الشريف ، ولكن المدرسة التي فُكّر فيها أحمد الفيض آبادي نمطاً آخر يجمع بين ما يُلقى في حلقات المسجد النبوي الشريف من علوم الدين ، وما يحتاج اليه الناس في حياتهم من أسباب المعاش ، يقول أحمد الفيض آبادي عن ذلك :

منذ وصلت الى المدينة المنورة مهاجراً اليها مع الوالد عام ١٣١٦ هجرية تعلق بذهني مشروع انشاء مدرسة لتعليم أبناء هذه البلدة المطهرة ما يعيد اليهم مجد أسلافهم في ناحيتي العلم والعمل ، وظلّت هذه الأمنية الغالية عالقة بذهني الى أن قدم أحد معارفنا من أثرياء الهند الى المدينة المنورة سنة ١٣٣٤ هـ ، فعرضت عليه تفاصيل مشروع فإبدى استعدادة للتبرع بمبلغ سبعة عشر ألف روية للمشروع اذا شرعت فيه .

لذلك تقدّم أحمد الفيض آبادي الى الحكومة التركية بطلب الأذن بتأسيس المدرسة وذكر الوعد الذي تلقاه من الثريّ الهندي بالمبلغ الكبير الذي رصده لهذا المشروع .

كانت الحكومة التركية قد قرّرت انشاء جامعة اسلامية بالمدينة المنورة تحمل اسم صلاح الدين الأيوبي يلتحق بها المتخرجون من المدرسة الاعدادية الوحيدة بالمدينة والتي تأسست عام ١٣١٨ هـ ، ويرغبون في مواصلة دراستهم العالية ، وكانت الدولة العثمانية تبعث طلاب الدراسات العليا الى القدس والأستانة .

شرعت الدولة العثمانية في بناء الكلية عام ١٣٣٢ ، وتم تشييد الطابق السفلي منها بالحجارة السود المنحوتة التي تبني بها المباني العظيمة في المدينة المنورة .

(١) ٢٠/٢١ السيد احمد الفيض آبادي .

وحينما تقدّم أحمد الفيض آبادي بطلبه الترخيص ببناء المدرسة قبل بالرفض وطلب منه تقديم تبرع الثريّ الهندي الى مشروع الجامعة الاسلامية التي تبنيها الدولة .
وكان هذا الرفض ضربة لآمال أحمد الفيض آبادي تلقّاها على مضض وهو يترقب ما تأتي به الأيام .

أما مشروع الدولة العثمانية فكان وقوع الحرب العالمية الأولى من الأسباب التي قضت عليه ويقول الدكتور محمد العيد الخطراوي ان الطابق السفلي من مدرسة طيبة الثانوية في الوقت الحاضر كان هو النواة لبناء الجامعة المذكورة التي بدى في تأسيسها^(١) .

جاءت الحرب العالمية الأولى وهاجر الناس من المدينة وهاجر أحمد الفيض آبادي مع من هاجر من أهلها الى أدرنة في تركيا ، ثم عاد اليها مع من عاد من أهلها سنة ١٣٣٧ ومازالت فكرة المدرسة تلح على خيال الرجل وتستولي على أفكاره .

وفي سنة ١٣٣٩ قدم للحج أحد أغنياء الهند وكانت له معرفة سابقة بأحمد الفيض آبادي ، وأتيحت له الفرصة ليتحدث الى هذا الثريّ عن آماله في انشاء المدرسة بالمدينة المنورة ووعدته الرجل خيراً ، وبعد عودته الى الهند بعث الى أحمد الفيض آبادي أربعين جنيهاً ذهباً كانت هي النواة الأولى للعمل في مشروع المدرسة العتيد .

البدء بالمشروع :

لم يكن أحمد الفيض آبادي من ذوي اليسار ، ولكنه كان عالي الهمة حسن التدبير وهذا تفكيره أن يبدأ بمشروع المدرسة صغيراً ليكبر مع الأيام .

اشترى أرضاً بجوار المسجد النبوي وابتدأ البناء فيها مستعيناً بالمبلغ الذي تلقاه من الثري الهندي ، وبما يصل اليه من تبرعات بعد ذلك ، وقرر التوسع في البناء كلما توفرت له الموارد وهي في البداية انما تأتي من تبرعات أثرياء الهند الذين يفدون للحج والزيارة في كل عام ، وكانت البداية سنة ١٣٤٠ للهجرة .

ولم يكن المبلغ الذي تبرع به الثريّ الهندي كافٍ للقيام بالمشروع فاقترض ثمن الأرض التي اختارها بجوار المسجد النبوي الشريف ، اقترض قيمة هذه الأرض من الشيخ عبد الجبار الدهلوي من كبار تجار مكة المكرمة ، ومن أخيه السيد محمود أحمد الذي تحدّثنا عنه آنفاً^(٢) .

وفي سنة ١٣٤١ كمل البناء الابتدائي للمدرسة ، وقام أحمد الفيض آبادي باختيار المدرسين الذين يقومون بالتعليم فيها ، واختار للعمل معه الشيخ محمد الطيب الأنصاري ، وكان له تلاميذ كثيرون يتلقون العلم على يديه في المسجد النبوي الشريف ليل نهار .

(١) ٩/٨ مدرسة العلوم الشرعية للخطراوي

(٢) مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة .

فكان هؤلاء التلاميذ مع من لحق بهم هم النواة الأولى لطلاب المدرسة ، وقد بقي الكثيرون منهم حتى تخرجوا من المدرسة وعملوا فيها^(١).

بدأت الدراسة باثني عشر مدرساً يرأسهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ، وكان البرنامج الذي وضعه مؤسس المدرسة يجمع بين العلم والعمل ، فالى جانب العلوم الدينية التي تلقى على التلاميذ ، كانت هناك الفنون الحديثة التي تفتح عقول الطلاب وتستهيوي أفكارهم . ولما كانت موارد المدرسة تقوم على التبرعات وخاصة من أثرياء الهند ، فقد أحدث المؤسس قسماً للتعليم الصناعي ليكون وارد هذا القسم رافداً من روافد المدرسة لمواجهة مصروفاتها .

القسم الصناعي :

هذا القسم الصناعي كان يقوم على تعليم الطلاب بعض الحرف المهنية مثل مزاولة الخياطة الآلية ، وزخرفة الأخشاب ونجارتها ، ونسيج السجاجيد المحلاة بالزخارف والصور ، وعمل لوحات جميلة مكتوبة من الخشب المزخرف وصناعة الأدوات المنزلية ذات النقوش المتموجة ، وتطور القسم الصناعي مع الأيام فصار يقوم بصنع الكراسي والمناضد والمكاتب ، ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وانقطع استيراد الآلات من الخارج تطور هذا القسم فأصبح يسدُّ حاجة المدينة وغيرها من قطع المكائن التي تحتاجها الزراعة في المدينة ، فالمدينة بلد زراعي ، وقد تعرفت على المكينة في ري المزارع بها ، فلما نشبت الحرب العالمية الثانية انقطع ماكان يرد إليها مما تحتاجه من قطع الغيار لهذه المكائن فكانت مخارط مدرسة العلوم الشرعية تقوم بصنع القطع المطلوبة لمن يحتاجها ، فكان ينتج البساتم والبنوز وطلسمات رفع الماء .

وفاضت شهرة القسم الصناعي بما يخرج من آلات متقنة فكانت الادارات الحكومية تطلب منه ما تحتاج اليه ، كما كان يقدّم هذه القطع للمكائن الزراعية التي يملكها الأمراء والمواطنون في الرياض وعنيزة وحائل وغيرها من مدن المملكة علاوة على سدِّ حاجة المدينة المنورة منها .

ومن هذا القسم الصناعي تخرج المهندسون الذين عملوا في تسيير الآلات اللاسلكية للدولة ، فكان منهم المهندسون والمساعدون^(٢).

هذا القسم الصناعي كما قلنا كان رافداً من روافد الصرف على المدرسة وقد أدرك أحمد الفيض آبادي بما وهبه الله من الحكمة وبعد النظر أن أمور الحياة لا تستقيم إلا على الموازنة بين

(١) ٣٨/٣٥ أحمد الفيض آبادي .

(٢) ٥٠/٤٨ أحمد الفيض آبادي .

الأمر فالمدرسة التي قامت على تبرع المحسنين تفتقر الى مورد ثابت ، وهي تكبر مع الأيام ، لهذا فقد قام باحداث هذا القسم الصناعي ليسدّ به حاجة المدرسة لما تحتاج اليه من نقص في ايرادها ، ولتخرج في نفس الوقت صناعات يتقنون بعض المهن التي تحتاج اليها البلاد ، وهذا في حد ذاته كسب للطلاب وللبلد الذي ينتمون اليه .

ويقوم فريق من المتخرجين من القسم الصناعي بادارة مطبعة المدرسة وتسيير مطحنتها اللتان تساعدان على تنمية واردات المدرسة لمواجهة النفقات المستمرة في الاتساع^(١).

نستطيع أن نقول بحق أن أحمد الفيض آبادي كان بما أحدثه في مدرسة العلوم الشرعية من الجمع بين علوم الدنيا والدين رائداً من الرواد ، كان رائداً في ادخال التعليم المهني ضمن برامج مدرسته الرائدة ، وقد أثبتت الأيام أن هذا القسم الصناعي أحدث أثره الطيب حينما نشبت الحرب العالمية الثانية ، واحتاجت البلاد الى انتاجه لتسيير الآلات التي كادت أن تتعطل عن العمل والدوران .

المكائد تثور :

يتعرض المصلحون في كل زمان ومكان لمكائد الكائدين وحسد الحاسدين ، وبقدر اخلاصهم وثباتهم يهيم الله تعالى لهم أسباب النجاح والظفر .

قامت المدرسة في رحاب المدينة المنورة ، وانتظم فيها الطلاب وافتتح فيها القسم الصناعي وبدأت تؤتي أكلها الطيب ، وأخذ الناس يشعرون بما تقدمه هذه المؤسسة بقسميها العلمي والصناعي من فائدة لسكان طيبة الطيبة ، فأثار هذا النجاح حقد بعض الحاقدين الذين لا يخلو منهم مجتمع أو مكان .

رأوا أن تبرعات الأثرياء الهنود تأتي الى مؤسس المدرسة فصوّرت لهم نفوسهم الأمانة بالسوء أن ينسبوا اليه أنه اتخذ هذه المدرسة أداة لجمع المال ، مع أن التبرعات لم تكن تكفي لمواجهة مصاريف المدرسة التي تتصاعد عاماً بعد عام .

ان المدرسة تبدأ صغيرة بفصل واحد ثم تزيد فصولها عاماً بعد عام . ورأوا أن القسم الصناعي يُدر على المدرسة بعض المال لتغطية مصروفاتها فزاد ذلك من غيظهم ومكائدهم .

كان العهد هو عهد الحكومة الهاشمية ، وكان الخلاف بين هذا العهد وبين المذهب الوهابي الذي تمثله دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والذي يراه آل سعود معروفاً للكافة .

ومن هذه الثغرة دخل المغرضون فاتهموا المدرسة أنها تعلم طلبتها المذهب الوهابي يقول الدكتور محمد العيد الخطراوي :

(١) ٥٠ / ٤٩ أحمد الفيض آبادي .

استغل الحاقدون هذا الوضع ، وأشاعوا أن مؤسس المدرسة السيد أحمد رحمه الله وهابي وأن المدرسة انما أسست لخدمة المذهب الوهابي ، متخذين من قيام المدرسة بتدريس كتب الحديث وشروحاتها البعيدة عن الخرافة ، وتدريس الفقه وأصوله أصعباً تشير الى وهابيته ، علماً بأن الوهابية لقب أطلقه أعداء الدعوة السلفية على أتباع الدعوة للنيل منها ، واطهارها بمظهر الابتداع والمروق ، وانما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رجلاً حنبلياً المذهب ، دعا الناس الى تصحيح عقائدهم ، وتطهيرها مما علق بها من خرافات وأضاليل ، ولكن الموازين عند هؤلاء وأمثالهم تنقلب ، لتصبح الاستقامة على منهج السلف جرماً يعاقب عليه ، وتهمة توجه لتقويض الناس والمؤسسات .

اغلاق المدرسة :

فعلت الوشائيات والمكائد فعلها فقام المسؤولون الحكوميون عن التعليم بالمدينة المنورة بالتفتيش على المدرسة والتأكد مما نسب اليها والى صاحبها ، وبعد محاورات مريرة مع السيد أحمد والمدرسين أمروا باغلاق المدرسة وتسريح طلابها وموظفيها . أغلقت المدرسة أبوابها ، ولكن المؤسس والمدرسين انتقلوا بطلابهم الى رحاب المسجد النبوي الشريف فباشروا تدريس الطلاب في حلقات في رحاب المسجد الشريف ، واتخذوا العلنية شعاراً لهم ليرى الناس ويسمعوا ما يلقي في هذه الحلقات من دروس واستمروا يمارسون عملهم هذا بضعة أسابيع كانت كافية لتفنيد التهم الكاذبة والوشائيات المغرضة المدسوسة فعادت المدرسة الى مقرها في منتصف عام ١٣٤٣ هـ . وتلقى مؤسس المدرسة الموافقة من امارة المدينة بالترخيص للمدرسة بالعمل فعادت الى مقرها في شهر شوال من عام ١٣٤٣^(١) . وهكذا انتصر الخير على الشر ، وأبطل الله كيد الكائدين ومكر الماكرين ، وعادت المدرسة لمزاولة عملها الطيب دون حذر أو مخاوف .

معاونة الطلاب :

من المشاكل التي واجهت مدرسة العلوم الشرعية ، أوعلى الأصح التي واجهت مؤسسها السيد أحمد الفيض آبادي نشوب الحرب العالمية الأولى ، واشتغال الناس بتدبير أمور معاشهم ، وانصراف الآباء عن تعليم أولادهم ، ولترغيب الآباء في تعليم أولادهم ، عمد السيد أحمد الى تخصيص مكافآت شهرية للمتفوقين من الطلاب ، وخصّ الفقراء منهم بمكافآت أسبوعية أو يومية مراعيّاً حالة الآباء المادية ، واحتياجهم الى تشغيل ابنائهم والافادة منهم .

(١) ٢١/١٩ مدرسة العلوم الشرعية و ٤٢/٣٨ أحمد الفيض آبادي .

هذا الاسلوب نفسه عمد اليه الحاج محمد علي زينل بالنسبة لطلاب القسم العلمي ، كانت الدراسة في مدرسة الفلاح ست سنوات ، ثم أنشأت المدرسة القسم العلمي ومدته ثلاث سنوات ، يتخرج منها الطالب بعد تقوية معلوماته في العلوم الدينية والعربية ، ورأى كثير من آباء الطلاب أن السنوات الست الأولى كافية ، فحينما يتخرج منها الطالب يستطيع أن يعمل كاتباً في البيوت التجارية ، أو موظفاً في دوائر الحكومة ، وهذه الوظيفة حكومية أو أهلية تتيح للأسرة الاستفادة من عمل أبنائها ، ورغب مؤسس الفلاح أن يستبقي المتفوقين من الطلاب للدراسة في القسم العلمي ، فعمد الى ترتيب مرتب شهري لآباء الطلبة المتفوقين حتى يسمحوا لأولادهم بالاستمرار في هذه الدراسة العلمية المتخصصة ، وقد أشرت الى ذلك في ترجمتي للحاج محمد علي زينل مؤسس الفلاح في الجزء الأول من أعلام الحجاز^(١).

هذه السياسة التي انتهجها السيد أحمد الفيض آبادي في مدرسة العلوم الشرعية حققت الاقبال من قبل الطلاب وآبائهم على المدرسة ، فأقبلوا على الدراسة فيها زرافات ووحدانا^(٢).

وهذا التشجيع على طلب العلم من مؤسس مدرسة العلوم الشرعية مع قلة الموارد في المدرسة واعتمادها على التبرعات وعلى واردات القسم الصناعي بها يدل على أن فكرة المدرسة احتلت من قلبه وفكره مكاناً عظيماً .

وهذا البذل مع الاقلال ، لا يجوده إلا العظماء من الرجال .

المتخرجون :

ثم افتتحت المدرسة في سنة ١٣٤٠ للهجرة كما ذكرنا ، وانتظمت الدراسة وبدأت المدرسة تؤتي ثمارها يانعة طيبة ، ونورد فيما يلي أعداد المتخرجين منها في الأقسام المختلفة من بدء افتتاح المدرسة الى نهاية العام الدراسي ١٣٥٨ - ١٣٥٩ هـ .

عدد المتخرجين

١٨٧	من شعبة القرآن الكريم .
٦٧	الحاصلون على الشهادة الابتدائية .
٣٠	الحاصلون على شهادة العلوم العربية العالية ^(٣) .

(١) أعلام الحجاز ج ١ ص ٣٢٢/٣٢٣ .

(٢) أحمد الفيض آبادي ٨٤/٨٣ .

(٣) انظر اسماء المتخرجين من الشعب المختلفة في مدرسة العلوم الشرعية صفحة ٦٤/٤٩ .

هذه هي أعداد المتخرجين في السنوات الثماني عشر التي ذكرناها ، فاذا قرأنا أسماء هؤلاء المتخرجين وجدنا بينهم رجالاً برزوا في مختلف مجالات الحياة العامة ، وتسلم بعضهم أعلى المراكز نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- الشيخ محمد علي الحركان : الذي تولى القضاء بالمدينة المنورة ثم تولى رئاسة المحكمة الشرعية الكبرى بجدة ، وكان أول وزير للعدل في المملكة ، ثم اختير أميناً لرابطة العالم الاسلامي الى جانب عضويته في هيئة كبار العلماء في المملكة^(١).

- الاستاذ عبدالقدوس الأنصاري : المؤرخ والمؤلف والأديب الغني عن التعريف مؤسس مجلة المنهل وصاحب التأليف الكثيرة المشهورة ، والذي عمل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية ثم عمل في ديوان امانة المدينة المنورة ثم انتقل الى مكة المكرمة رئيساً لتحرير جريدة أم القرى ، ثم نقل الى ديوان سمنو نائب الملك بالحجاز ، ثم تقلد وظائف كثيرة في مجلس الوكلاء بعد تأسيسه^(٢).

- الاستاذ محمد عمر توفيق الوزير والكاتب الشهير وصاحب المؤلفات المعروفة ، والمقالات المستفيضة في مختلف الصحف ، تقلب في وظائف عديدة وأسند اليه جلالة المرحوم الملك فيصل وزارة المواصلات ، ثم ضم اليها وزارة الحج والأوقاف^(٣).

- الاستاذ محمد الحافظ من أبرز قضاة المحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة ، عمل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية وتلمذ على يديه الكثيرون من أدبائها وعلمائها كما عمل مدرساً بالمسجد النبوي الشريف ، وشارك في النشاط الأدبي والعلمي بالمدينة المنورة^(٤).

- الاستاذ عبدالعزيز الربيع : الذي قضى حياته في التربية والتعليم مديراً لبعض المدارس في المدينة الى أن تولى مديريةية التعليم بها وله مؤلفات ومساهمات أدبية كثيرة معروفة^(٥).

- الاستاذ محمد هاشم رشيد : شاعر المدينة المنورة ورئيس ناديها الأدبي وصاحب الدواوين الشعرية الكثيرة ، والنشاطات الأدبية العديدة^(٦).

ونكتفي بهذا القدر من أعيان المتخرجين ، ومن رغب الاستزادة فليرجع الى كتاب الدكتور محمد العيد الخطراوي الذي أورد أسماء المتخرجين في مدرسة العلوم الشرعية من أقسامها المختلفة وحسب سنوات تخرجهم .

(١) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٨٨/٥٩٠ .

(٢) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٩٣/٥٩١ .

(٣) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٩٠ .

(٤) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٩٦/٥٩٤ .

(٥) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٩٩/٥٩٧ .

(٦) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٦٠١/٦٠٠ .

ان متعلماً واحداً في أسرة هو كسب عظيم لها ، وكم رأينا آباءً حرموا من نعمة العلم ، هبط
الجهل بهم ، ثم ظهر من أبناء هذا الرجل عالم واحد ارتفع بأبويه فبرزت أسماؤهم ، وتحسنت
أحوالهم فاغتنوا بعد فقر ، واذا كان هذا شأن العلم والمتعلمين في الأسرة الواحدة فان شأنه
بالأمة أعظم .

لهذا كان هؤلاء المتخرجون من مدرسة العلوم الشرعية ، وأمثالها من المدارس كسباً عظيماً
لأهلهم ولبلادهم .

واذا علمنا أن مؤسس مدرسة العلوم الشرعية انما أسسها في العهد العثماني الذي كان
التعليم المنظم فيه قليلاً ، والجهل فيه فاشياً أدركنا مدى أهمية هذا العمل ، وبُعد همة المؤسس
يرحمه الله ، ثلاثة رجال عظماء ظهوروا في هذه البلاد المباركة في ثلاث مدن مختلفة من مدن
الحجاز ، أدركوا فداحة ما تعانيه الأمة من الجهالة والفقر ، فانشأوا المدارس ، كل في البلد
الذي ظهر فيه ، بدأوا صغاراً ، كما تبدأ المزرعة بغراس صغيرة ، حتى كبرت مع الأيام فأتت
أكلها أشجاراً عالية تحفل بالثمر الجني وتمتد ظلها الوارفة ، فيفيء إليها الناس آمنين
مطمئنين .

أولهم الشيخ / رحمه الله العثماني مؤسس المدرسة الصولتية بمكة الذي أسس مدرسته بمكة
سنة ١٢٨٥ للهجرة^(١) .

وثانيهم الحاج محمد علي زينل رضا مؤسس مدارس الفلاح بدأها بافتتاح مدرسة الفلاح
بجدة سنة ١٣٢٣ ، ثم بافتتاح مدرسة الفلاح بمكة المكرمة سنة ١٣٣٠ ، واتبعها بمدرستي
الفلاح في دبي والبحرين سنة ١٣٤٧ ، ومدرسة الفلاح في بومباي سنة ١٣٥٠^(٢) .
وثالثهم هو السيد أحمد الفيض آبادي الذي خصصنا له هذه الترجمة مؤسس مدرسة العلوم
الشرعية بالمدينة المنورة سنة ١٣٤٠ للهجرة .

كان الدافع للرجال الثلاثة واحداً ، هو الرغبة الجارحة في محو الجهالة ، ونشر العلم
والمعرفة .

بدأوا صغاراً ثم كبروا مع الأيام .

بعث الله الأميرة الهندية صولت النساء لأداء فريضة الحج ، واتصلت أسباب الشيخ رحمه
الله العثماني بها حينما قدمت الى مكة ، وقد أحضرت معها مبلغاً من المال لتشييد به رباطاً
باسمها فاقنعتها أن مكة تحتاج الى مدرسة أكثر من حاجتها الى رباط ، فتحول مشروع الرباط
الى مدرسة سماها الشيخ رحمه الله المدرسة الصولتية نسبة الى هذه الأميرة الخيرة الكريمة .

(١) انظر ترجمته في الجزء الثاني من اعلام الحجاز ص ٣١٣/٢٨٦ .

(٢) انظر ترجمته في الجزء الاول من اعلام الحجاز ص ٣٣٠/٣١٧ .

وبدأ محمد علي زينل مدرسته في مقعد بأحد المنازل بمدينة جدة ، ثم تبرعت زوجته بمجوهراتها وحليها ليشتري المبنى الذي حوله الى مدرسة الفلاح بجدة ، وهاجر الى الهند ليعمل بالتجارة حيث يتوفر له المال للصرف على المدرسة ففتح الله له أبواب الرزق ، وعمل في تجارة اللؤلؤ حتى أصبح ملك اللؤلؤ في العالم ، ثم ظهر اللؤلؤ الصناعي وانهارت أسعار اللؤلؤ الأصلي ، ولكن مدارس الفلاح بقيت ، فقد حلت الأمة كلها محل الرجل الذي أنفق على مدارس الفلاح طيلة أربعين عاماً .

واقترض أحمد الفيض آبادي من أخيه ومن أحد تجار مكة قيمة الأرض التي بني بها مدرسته بجوار المسجد النبوي الشريف وبدأت المدرسة صغيرة حتى أصبحت صرحاً شامخاً مبناها الاسلامي الطراز .

وهكذا بارك الله في أعمال الرجال الثلاثة الذين وهبوا حياتهم للعلم فتخرج من مدارسهم الأجيال الذين أمسكوا زمام الأمور في البلاد ، فكان منهم العلماء والوزراء ، والقضاة والمدرسون والكتّاب ، والذين عملوا في مختلف مجالات الحياة فأفادوا واستفادوا رحمهم الله تعالى وجزاهم أفضل ما يجزي به عباده العاملين والمصلحين .

وفاة السيد أحمد الفيض آبادي :

توفي السيد أحمد الفيض آبادي عصر يوم العاشر من شوال سنة ١٣٥٨ للهجرة عن عمر يناهز الخمسة والستين سنة ، وكان قد أصيب بالمرض منذ وقت مضى ولكنه لم يلزم سريره إلا بعد اشتداد المرض عليه ، وكان يشكو من ضغط الدم^(١)

توفي بعد أن قرّت عينه بنجاح المشروع العظيم الذي كرّس حياته له فمدرسة العلوم الشرعية التي بدأت صغيرة صارت صرحاً شامخاً يبلغ تعداد طلابها الستمائة والمتخرجون منها يشاركون في الحياة العامة عاملين في مختلف المجالات ، والمبنى الصغير تحول الى عمارة ضخمة على الطراز الأندلسي بجوار المسجد النبوي الشريف ، تستوقف الأنظار بجملها ومتانتها . والقسم الصناعي فيها تطور وكبر وعظمت منافعه في البلد الطيب المقدس .

حبيب أحمد يخلف عمه :

أحس السيد أحمد الفيض آبادي قبل أن يدركه المرض بضرورة وجود من يخلفه على رعاية المدرسة بعد وفاته ، والموت حق على العباد وكان الشاب حبيب أحمد بن أخيه السيد محمود أحمد طالباً من طلاب مدرسة العلوم الشرعية ، ظهرت بوادر نجابته منذ أن كان ناشئاً ، فحفظ

(١) ٦٢/٥٩ أحمد الفيض آبادي .

القرآن الكريم في سنة واحدة^(١) وواصل دراسته حتى تخرج من القسم العالي سنة ١٣٥٨ ، وهو ابن عشرين سنة .

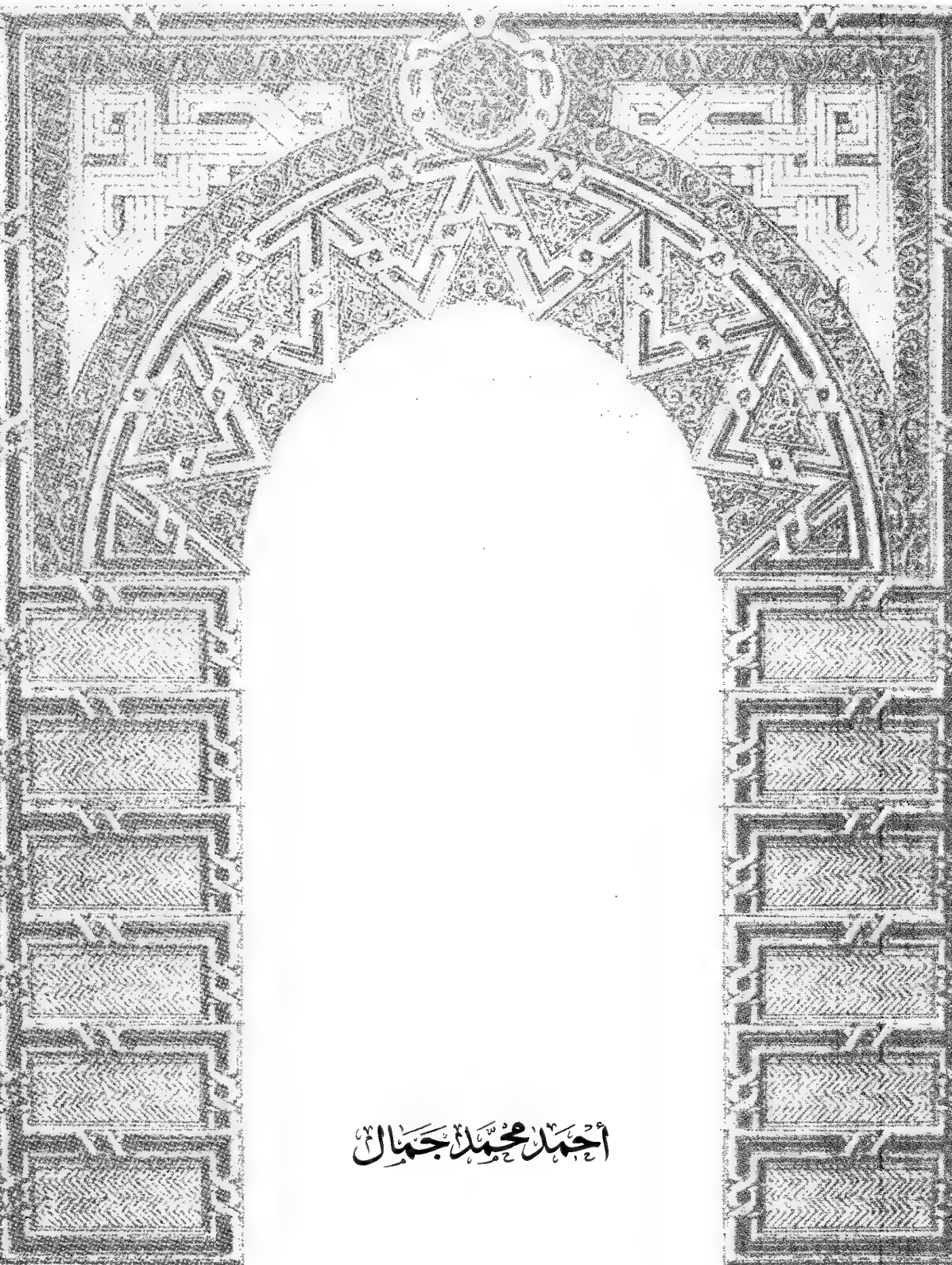
ورأى عمه السيد أحمد أن ابن أخيه حبيب هو خير من يخلفه في ادارة المدرسة ورعايتها فأنابه عنه في ادارة المدرسة وأكد هذه الانابة بصك شرعي منحه فيه التصرف المطلق في أمورها بما يراه مناسباً لادارتها واستمرارها فتولى ادارة المدرسة بعد وفاة مؤسسها ، فأتى العمارة التي بدأها المؤسس ، وعمل على تطوير الأقسام الصناعية بها بتزويدها بالآلات الحديثة ، وحينما أزيل مبنى المدرسة وأدخل في توسعة الحرم النبوي الشريف ، أقدم على شراء أرض قريبة من المسجد وشيد فيها المبنى الجديد للمدرسة وهو من أجمل المباني في المدينة المنورة ، التي أصبحت تسير في برامجها حسب منهج وزارة المعارف ، ولا تزال المدرسة تمارس مهمتها العظيمة في البلدة المقدسة وقد بلغ تعداد طلابها سنة ١٤١٠ هـ ألفاً وثلاثمائة طالب^(٢) .

رحم الله السيد أحمد الفيض آبادي وجزاه خير الجزاء بما بذل من جهد في نشر العلم في مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ووفق الله السيد حبيب لاكمال العمل العظيم الذي بدأه المؤسس والذي يقوم عليه من بعده خير قيام .



(١) ٣٩٠/٣٩١ مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة .

(٢) ٤٠١/٣٩٠ مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة .



أَحَبُّكَ مُحَمَّدٌ جَبَّالٌ



احمد محمد جمال

أحمد محمد جمال

جميل الصورة . أبيض البشرة ، اقنى الأنف ، خفيف اللحية والشارب ، حليق العارضين ، معتدل القامة والبنية ، مشرق الوجه ، تلوح في وجهه علامات الذكاء والهيبة . ولد أحمد محمد جمال بمكة المكرمة سنة ١٣٤٣ للهجرة ، وتلقى دراسته الابتدائية بالمدرسة العزيزية بحي الشامية ، وتخرج منها سنة ١٣٥٨ هـ ، والتحق بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة .

ولكنه ترك الدراسة بالمعهد بعد عام واحد من التحاقه به ، حيث عمل موظفاً بالمحكمة الشرعية بمكة ، ويبدو أن ظروف عائلته اضطرته الى العمل ، وكانت أول وظيفة أسندت اليه بدائرة رئاسة القضاء التي كان يتولاها الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ في سنة ١٣٥٩ هـ ، وبعد بضع سنين انتقل الى دائرة كاتب العدل بمكة المكرمة التي كان يرأسها الشيخ عرابي سجيبي .

ولكن أحمد جمال لم ينقطع عن العلم والتعليم ، فقد وازب على الدراسة في حلقات السيد / علوي مالكي بالمسجد الحرام ، وغيره من علماء مكة المكرمة الذين تنتظم الدراسة في حلقاتهم في أوقات معينة بعد صلاة الفجر ، وبعد صلاة العصر ، وبين المغرب والعشاء . وحبب اليه القرآن الكريم فاجتهد في حفظه حتى أتمه ، واكب على معرفة أسراره فتتلمذ على السيد علوي مالكي في دراسة التفسير ، ومازال هذا القرآن الكريم نوراً يضيء العقول ، ويهدي النفوس للسامعين والدارسين وسيكون لنا حديث عن أثره العظيم في نفس أحمد جمال حينما نتحدث عن كتبه العظيمة في تفسير القرآن الكريم ، ونعود الآن الى رحلة أحمد جمال في مطلع شبابه ، ومن المحكمة الشرعية انتقل الى العمل في جريدة البلاد السعودية سنة ١٣٦٥ هـ عمل فيها أولاً بوظيفة محاسب ولكنه تحول من العمل المالي الى التحرير فأصبح

سكرتيراً للتحرير ، وفي جريدة البلاد السعودية بدأ أحمد جمال نشاطه الأدبي ، فظهرت كتاباته الاولى في صحيفة البلاد .

ثم انتقل للعمل في وزارة الداخلية مساعداً لمدير قسم الثقافة والتعليم ، قبل انشاء وزارة المعارف ، وشغل في وزارة الداخلية وظائف ادارية حتى أصبح مدير ادارة الجوازات والجنسية .

وحينما أصدر شقيقه الاستاذ/ صالح محمد جمال جريدة حراء كان أحمد جمال يشارك أخاه أعباء اصدارها وتحريرها والكتابة فيها ، وبعد دمج الصحف صدرت الندوة بعد حراء فكان أحمد جمال يشارك أخاه في شؤونها^(١) .

وفي الصحف التي عمل فيها أحمد جمال وجد المجال للكتابة والنشر ، ووجد الطريق ممهداً ليظهر آرائه وآماله للناس ، وكان الشاب أحمد جمال جريئاً في ابداء الرأي لا يخشى في الحق لومة لائم ، وقد وهب القدرة على التعبير ، فكان لكلماته وقعها في نفوس القارئ . مارس أعمال جمال هوايته الأدبية في مجالات شتى في الشعر والنثر ، وأصدر العديد من المؤلفات وستحدث عن مؤلفاته بعد استكمال مسيرة حياته العملية والتي نوجزها فيما يلي :

عين في عام ١٣٧٥ عضواً في مجلس الشورى .

وفي عام ١٣٨١ اختير عضواً في لجنة وضع النظام الأساسي للحكم .

وحينما تأسست جامعة الملك عبدالعزيز اختير أحمد جمال استاذاً للثقافة الاسلامية في عام ١٣٨٧ هـ .

واختير استاذاً لمادة تفسير القرآن الكريم بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، واستمر يدرس هذه المادة الى أن توفاه الله .

وأشرف على اصدار مجلة التضامن الاسلامي التي تصدرها وزارة الحج والأوقاف . كما ظل مشرفاً على اصدار كتاب دعوة الحق ، وهي مجلة شهرية تصدرها رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ، ويمثل كل عدد منها كتاباً من الكتب التي تعني بشؤون الدعوة وبلغ ما أشرف على اصداره من هذه الكتب مائة وخمسة وثلاثين كتاباً .

وكان الى جانب هذه الأنشطة جميعها يحتل عضوية مجالس ولجان كثيرة .

كان عضواً في اللجنة الثقافية برابطة العالم الاسلامي .

وعضواً بمجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي منذ عام ١٤٠٦ هـ .

كما كان عضواً بالمجلس البلدي بمكة المكرمة ، وعضواً بمجلس الأوقاف .

(١) انظر تفصيل ذلك في ترجمة صالح جمال في نفس هذا الكتاب .

والى جانب هذا وذاك كان يشارك في المؤتمرات الاسلامية في خارج المملكة ، ويشرف على المعسكرات الاسلامية والثقافية التي تقيمها الدولة في داخل المملكة .
ويلقي المحاضرات والبحوث في هذه المؤتمرات في كثير من دول العالم .
واختير بعد وفاة شقيقه الأكبر / صالح جمال لرئاسة جمعية البر بمكة المكرمة التي كان عضواً فيها .
بعد هذا الاستعراض لمسيرة أحمد جمال العظيمة آن لنا أن نتحدث عن مؤلفاته .

مؤلفات أحمد جمال :

- أصدر الاستاذ / أحمد جمال اثنين وثلاثين كتاباً ، نثبت أسماءها وتاريخ اصدارها فيما يلي :
- ١ - ماذا في الحجاز ، وهو أول مؤلفاته صدر سنة ١٣٦٤ هجرية الموافقة لعام ١٩٤٥ الميلادي .
 - ٢ - سعد قال لي - وهو كتاب قصصي صدر سنة ١٣٦٦ الموافقة لسنة ١٩٤٦ للميلاد .
 - ٣ - الطلائع - ديوانه الشعري الوحيد صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٦٦ الموافقة لسنة ١٩٤٦ هـ وصدرت طبعته الثانية بعنوان « وداعاً أيها الشعر » عام ١٣٩٧ هجرية الموافقة لعام ١٩٧٧ للميلاد .
 - ٤ - على مائدة القرآن - ما وراء الآيات صدر سنة ١٣٧١ الموافقة لسنة ١٩٥٢ للميلاد .
 - ٥ - على مائدة القرآن - دين ودولة صدر سنة ١٣٧٢ الموافقة لسنة ١٩٥٣ للميلاد .
 - ٦ - على مائد القرآن - مع المفسرين صدر سنة ١٣٧٣ الموافقة لسنة ١٩٥٤ للميلاد .
 - ٧ - استعمار وكفاح - صدر سنة ١٣٧٤ الموافقة لسنة ١٩٥٥ للميلاد .
 - ٨ - على مائدة القرآن - مبادئ ومثل صدر سنة ١٣٨١ الموافقة لسنة ١٩٦١ للميلاد .
 - ٩ - نحو سياسة عربية صريحة - صدر سنة ١٣٨١ الموافقة لسنة ١٩٦٢ للميلاد وهو الجزء الثاني لكتابه السابق استعمار وكفاح .
 - ١٠ - الاسلام أولاً - صدر سنة ١٣٨٤ الموافقة لسنة ١٩٦٤ للميلاد .
 - ١١ - مجتمعنا العربي كما ينبغي أن يكون صدر سنة ١٣٨٤ الموافقة لسنة ١٩٦٤ للميلاد .
 - ١٢ - مكانك تحمدي صدر سنة ١٣٨٤ الموافقة لسنة ١٩٦٤ للميلاد .
 - ١٣ - رفقاء بالقوارير صدر سنة ١٣٨٥ الموافقة لسنة ١٩٦٥ للميلاد .
 - ١٤ - من كشمير الى فلسطين وخطر الصهيونية والصليبية على الاسلام صدر سنة ١٣٨٥ هـ الموافقة لسنة ١٩٦٥ للميلاد .
 - ١٥ - مسؤولية العلماء في الاسلام صدر سنة ١٣٨٦ الموافقة لعام ١٩٦٦ للميلاد .
 - ١٦ - تاريخنا لم يقرأ بعد - صدر سنة ١٣٨٧ الموافقة لسنة ١٩٦٧ للميلاد .
 - ١٧ - محاضرات في الثقافة الاسلامية صدر سنة ١٣٩١ الموافقة لسنة ١٩٧١ للميلاد .

- ١٨ - مفتريات على الاسلام صدر سنة ١٣٩٢ الموافقة لسنة ١٩٧٢ للميلاد .
 - ١٩ - من أجل الشباب - صدر سنة ١٣٩٥ الموافقة لسنة ١٩٧٥ للميلاد .
 - ٢٠ - كرائم النساء - صدر سنة ١٣٩٧ الموافقة لسنة ١٩٧٧ للميلاد .
 - ٢١ - الشباب - دراسات ولقاءات صدر سنة ١٣٩٩ الموافقة لسنة ١٩٧٩ للميلاد .
 - ٢٢ - نساؤنا ونساؤهم تكريم الاسلام للمرأة المسلمة صدر سنة ١٣٩٩ الموافقة لسنة ١٩٧٩ للميلاد .
 - ٢٣ - عقود التأمين بين الاعتراض والتأييد صدر سنة ١٤٠٠ الموافقة لسنة ١٩٨٠ للميلاد .
 - ٢٤ - نحو تربية اسلامية صدر سنة ١٤٠٠ الموافقة لسنة ١٩٨٠ للميلاد .
 - ٢٥ - الأمة الواحدة - صدر سنة ١٤٠١ الموافقة لسنة ١٩٨١ للميلاد .
 - ٢٦ - يسألونك - صدر سنة ١٤٠٣ الموافقة لسنة ١٩٨٣ للميلاد .
 - ٢٧ - نساء وقضايا - صدر سنة ١٤٠٤ الموافقة لسنة ١٩٨٤ للميلاد .
 - ٢٨ - مآدبة الله في الأرض - صدر سنة ١٤٠٤ الموافقة لسنة ١٩٨٤ للميلاد .
 - ٢٩ - قضايا معاصرة في محكمة الفكر الاسلامي صدر سنة ١٤٠٦ الموافقة لسنة ١٩٨٦ للميلاد .
 - ٣٠ - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته صدر سنة ١٤٠٦ الموافقة لسنة ١٩٨٦ للميلاد .
 - ٣١ - تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل صدر سنة ١٤٠٩ الموافقة لسنة ١٩٨٩ للميلاد .
 - ٣٢ - الصحافة في نصف عمود - صدر سنة ١٤١٢ الموافقة لسنة ١٩٩٢ للميلاد .
- وهناك كتاب شارك أحمد جمال في اصداره وتحقيقه والتعليق عليه هو كتاب أعلام العلماء ببناء المسجد الحرام ، اشترك مع الاستاذ/ عبدالعزيز الرفاعي في تحقيقه والتعليق عليه وقد صدر هذا الكتاب عام ١٣٦٩ الموافقة لسنة ١٩٥٠ ميلادية^(١) .
- والتأمل في هذه المكتبة العظيمة من مؤلفات أحمد جمال يرى أن الرجل قد أوقف حياته كلها في الدعوة الى الله فالقرآن الكريم ، والاسلام العظيم ، وقضايا المسلمين هي محور هذه المؤلفات ، هي القاسم المشترك الأعظم الذي جند أحمد جمال قلمه وفكره لايضاحها للناس وشرحها للطلاب ، والدفاع عنها في كل زمان ومكان .
- كتب المقالات في الصحف ، ودرّس الطلاب في الجامعات وألّف الكتب ونشرها منذ مطلع شبابه الى أن لقي الله تعالى وهو في السبعين من العمر ، وطاف بالدنيا شرقها وغربها ، مشاركاً في المؤتمرات الاسلامية ، في آسيا وافريقيا وأوروبا وفي استراليا يلقي المحاضرات ،

(١) استقينا هذه المعلومات من العدد الخاص لمجلة الاربعاء عن احمد محمد جمال الصادر بتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٤١٣ .

ويناقش الآراء ، ويعلق على ما يستمع اليه من آراء ويجب على أسئلة شباب المسلمين في بلادهم ، وفي ديار الغرب ، الشباب الذين يستمعون الى اعتراضات العلمانيين وتشويهات المضللين من الكتابيين مسيحيين ويهود ، فيجيب بما وهبه الله من قوة الحجة ، وسعة الأفق ، والاحاطة بمشاكل العصر ، وأقوال الفقهاء والمفكرين .

فيشفي الغلة ، ويزيل الغمة ، ويهدي بقدرة الله تعالى الى الحق والى طريق مستقيم . وكان للمرأة المسلمة وهي نصف المجتمع النصيب الكامل من اهتمامات الاستاذ / أحمد جمال يرحمه الله ، فدافع عنها ، وأظهر ما خصها به الاسلام من حقوق تحفظ كرامتها وتصور وجهها وعرضها .

وقد أدركته المنية وهو يكتب عن المناهج الدراسية لتعليم البنات ، ويشرح آراء المعلمات ويدلي برأيه فيما يتعرض له البعض منهن من متاعب أو مشكلات . وكان أحمد جمال يرحمه الله يعيش مشاكل الأمة العربية والاسلامية ، فيجهر بالرأي الجريء وإن خالف به الكثيرون . ولقد كان من أوائل الكتاب الذين طالبوا باتباع سياسة الأمر الممكن في فلسطين بدلاً من التمسك بالحق الكامل الميؤوس منه .

كان يدعو الى هذا الرأي منذ ربع قرن بعد أن استمع الى الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة وهو يتحدث عن تجربته في انتزاع استقلال تونس من الفرنسيين ، نأخذ الممكن ، ونطالب بالباقي طالما أننا لا نستطيع أن نأخذ حقنا كاملاً ، وحينما زار السادات القدس وعقد اتفاقية كامب ديفيد التي استرد بها الأرض المصرية من الاسرائيليين كان أحمد جمال من المؤيدين لهذه السياسة ، مع أن الاجماع العربي في ذلك الزمان كان يخالف السادات ، ولكن أحمد جمال بشجاعته في الحق كان يقول للفلسطينيين افعلوا كما فعل السادات ، واسترجعوا ما استطعتم من أرضكم ، ثم طالبوا بالباقي ، بدلاً من الوقوف دون حراك . كان يتساءل ماذا فعلنا خلال أربعين عاماً .

رفضنا التقسيم فأخذ اليهود أكثر منه . وحاربنا اسرائيل فحسرتنا فلسطين كلها بما فيها القدس ، وخسرنا الى جانبها الجولان وسيناء .

وعاش أحمد جمال يرحمه الله الى أن رأى العرب يتفاوضون مع الاسرائيليين بعد طول امتناع واعتراض .

وكان الى جانب الاهتمام بشؤون المسلمين العرب يهتم بشؤون الناس في بلاده ، فيكتب في الصحف ما يترأى له من أمور تستحق الاصلاح والالتفات ، أو ما يصله من رسائل

الناس ، ومحادثاتهم الهاتفية ، داعياً الى الاصلاح والتقويم بالكلمة الهادفة والرأي الصائب البعيد عن الاسفاف .

نستطيع أن نقسم مؤلفات أحمد جمال رحمه الله الى أقسام عدة نوجزها فيما يلي :

- ١ - القرآن الكريم وله فيه ستة مؤلفات .
- ٢ - الاسلام وله فيه عشر مؤلفات .
- ٣ - المرأة وله فيها ست مؤلفات .
- ٤ - الشؤون السياسية للعرب والمسلمين وله فيها أربع مؤلفات .
- ٥ - الشباب المسلم وله فيه كتابان .
- ٦ - الشؤون الاجتماعية المحلية وله فيها كتابان .
- ٧ - الشعر وله فيه ديوان واحد .
- ٨ - القصة وله فيها كتاب واحد .

هذا ما تيسر لي الإلمام به من مؤلفات الاستاذ/ أحمد جمال ، وربما كانت له مؤلفات أخرى لم تصل الى علمي كما أنني أرجح أن تكون هناك مؤلفات مخطوطة لم تقدم الى المطبعة بعد ، فقد كان الرجل دائم النشاط كتابة وتدريساً ، وكان يجمع ما يكتب ويقدمه الى المطابع ليقرأه الناس ، والمتتبع لتواريخ طبع مؤلفاته يرى أنها تتواصل عاماً بعد عام ، واذا حدث أن تأخر النشر في بعض الأعوام ، فإن أعواماً أخرى تشهد ظهور أكثر من كتاب واحد ، كما يظهر ذلك من بيان مؤلفاته الذي اثبتناه قبل .

كان الكتاب الأول الذي ظهر لأحمد جمال وهو في الحادية والعشرين من العمر كتاب ماذا في الحجاز ، وهو كتاب يهدف الى التعريف بالحجاز وما يأخذ به من أسباب النهضة ومواكبة العصر ، وهذا الكتاب لم يتح لي الاطلاع عليه ، وقد وصفه الاستاذ/ عبدالعزيز الرفاعي بأنه كتاب اعلامي ، ولا غرابة في أن يكتب أحمد جمال معرّفاً ببلده ، فقد كان الناس في البلاد العربية الأخرى لا يعرفون عن بلادنا إلا النذر اليسير لم تكن صحفنا مقروءة في خارج بلادنا ، ولم يكن لدينا من الصحف إلا أقل من أصابع اليد الواحدة ، وكأن الشاب أحمد جمال الممتلئ حباً لبلاده أراد أن يقدم للناس صورة مشرفة عنها ، فكتب كتابه ماذا في الحجاز .

ومارس أحمد جمال نظم الشعر في بداية حياته ونشر ديوانه الطلائع ، وهو في الثالثة والعشرين من العمر ، وكانت هذه البداية تبشر بميلاد شاعر متمكن يجمع بين حرارة العاطفة والعلم باللغة ، وتصريف الكلمات ، ولكن أحمد جمال انصرف عن الشعر الى المهمة العظمى التي هيا لها نفسه ، والتي سخره الله تعالى لها والتي عمل فيها الى أن توفاه الله تعالى .

وحينما أعاد طبع ديوانه الأول والوحيد بعد أكثر من ثلاثين عاماً من اصداره اختار له عنواناً جديداً هو- وداعاً أيها الشعر .

كما مارس أحمد جمال نظم الشعر في بداية حياته ، مارس كتابة القصة فصدر له وهو كذلك في الثالثة والعشرين من العمر كتابه القصصي سعد قال لي :
انصرف أحمد جمال عن الشعر وعن القصة ، وغيرهما من فنون الأدب ليتفرغ للكتابة عن القرآن الكريم بعد أن حفظه ، وتلقّى تفسيره في المسجد الحرام ، ثم عكف على دراسة كتب المفسرين ، فلم يَأْرَئِهِمْ ، وأضاف إليها اجتهاداته الخاصة فظهرت مؤلفاته الاولى ، « على مائدة القرآن » وهو دون الثلاثين من العمر ، ثم انتهى به الأمر أن يُختار مدرساً لمادة تفسير القرآن الكريم في جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وكان قد سبق اختياره مدرساً للثقافة الاسلامية في جامعة الملك عبدالعزيز حين تأسيسها عام ١٣٨٧ ، وهو في الرابعة والأربعين من العمر .
وأود أن أقف قليلاً مع القارئ لنرى كيف اختير أحمد جمال مدرساً في جامعتين من أكبر جامعات المملكة ومؤهله الدراسي الشهادة الابتدائية ، ودراسة عام واحد في المعهد العلمي السعودي ، وبتعبيراً آخر وهو متخرج من السنة الاولى الاعدادية ، كما هو الاصطلاح في الوقت الحاضر . . . ؟

وأجيب على هذا السؤال بتساؤل آخر : كيف كان علماء المسلمين الذي نبغوا في شتى فنون العلم والأدب وألفوا فيها المؤلفات العظيمة التي لازالت تتدارسها الأجيال جيلاً بعد جيل . . . ؟

هل كانت هناك جامعات يدرسون فيها ويقدمون فيها الرسائل التي تمنح الماجستير والدكتوراة . . . ؟

لم يكن شيء من هذا ولا ذاك كما هو معلوم ، ولكن كان هناك أساتذة يتلقون العلم على أيديهم ، وكانوا الى جانب هؤلاء الأساتذة يقرأون ويبحثون ، يهبون أنفسهم للعلم ، ويفرغون أنفسهم لتحصيله ، فاذا بلغ الواحد منهم الحد الذي يرى فيه مشايخه أنه تأهل لتعليم الناس أجازوه ، فجلس يعلم كما تعلم .

ولكن أحمد جمال اذا استثنينا دراسته على السيد علوي المالكي يرحمه الله في المسجد الحرام ، فإنه لم يتلق العلم عن المشايخ وانما تلقاه عن ائمة المفسرين والفقهاء فقرأ كتبهم وأطال النظر فيها ، وأضاف إليها ما هداه الله اليه من آراء كشف عنها العلم ، أوظهر لها معاني جديدة مع تغير الزمان ، ان القرآن الكريم كتاب معجز بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وفي آياته الكريمات من المعجزات ما يظهر مع توالي العصور ، وافي أقص هنا ما حدث لي شخصياً مع آية من آيات الكتاب العظيم، كنت كلما تلوت قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

كنت كلما تلوت هاتين الآيتين الكريمتين أو سمعتهما وددت أن أعرف كيف يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ورجعت الى كتب المفسرين قديمهم وحديثهم فوجدت أنهم يفسرون خروج الحي من الميت بالحبة من القمح تغرس في الأرض فتنبت الشجرة ، والنخلة من النواة ، والبيضة من الدجاجة ، والمؤمن من الكافر (٢) .

وكنت أقول في نفسي ان المعنى أعمق وأكبر من ذلك مع اكباري لسادتنا العلماء الأجلاء . وظل المعنى يدور في ذهني زمناً ، وأخيراً تذكرت وأنا أفكر في الأمر أن التفسير قائم بين أيدينا في كل يوم ؟ . . .

ألا يؤخذ القلب من الميت فيزرع في جسم الحي ، فيمشي به بين الناس . . . ؟ ألا تؤخذ الأعضاء الأخرى من الموتى فتزرع في أجسام الأحياء ، أليست عمليات زراعة القلوب والأعين ، والكلى ، والكبد ، عمليات يومية تجري في مستشفيات الدنيا كلها كل يوم بل كل ساعة أليس هذا هو التفسير لاجراء الحي من الميت ، واخراج الميت من الحي . . . ؟

تبارك الله وتعالى ما أعظم كتابه ، وما أعجب آياته ، وما أجل معجزاته . . . ؟
ان القرآن الكريم كما ذكرت كتاب معجز تتجدد آياته مع كُر الزمان ، فيظهر له في كل زمان معنى لم يكن معروفاً للناس في زمان سابق ، بل ان كُر الأيام يزيد هذه المعاني جلاءً ، ولقد توصل الطب بقدرة الله تعالى الى استبدال الأعضاء التالفة في جسم الانسان الحي باعضاء من أجسام الموتى ، فكان هذا التفسير أكثر جلاءً ووضوحاً ، ولم يك هذا التفسير ميسوراً في الزمن السابق لتوصل الطب الى هذه الانجازات ، ففسره المفسرون بما ذكرنا من خروج الزرع من الحبة والبيضة من الدجاجة ، مما أشرنا اليه قبل ، ولقد أشرت الى هذا المعنى في بعض شعري حيث قلت :

يَمُضِي الزَّمَانُ وَيَبْقَى سِرُّ مَعْجَزِهِ سَحَرَ الْعُقُولِ تَقْرَأُ الْإِلْبَاءُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مَعْنَى يَجْدُّهُ كُرُّ الزَّمَانِ وَتَبْقَى مِنْهُ أَشْيَاءُ
وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَطِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ يُوَفِّقَنِي اللَّهُ تَعَالَى إِلَى التَّأَمُّلِ فِي بَعْضِ آيَاتِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَأَنْ يَهْدِيَنِي إِلَى مَعَانِيهَا وَأَسْرَارِهَا ، وَيُوَفِّقَنِي إِلَى كِتَابَةِ مَا يَهْدِيَنِي اللَّهُ إِلَيْهِ
وَإِذَاعْتَهُ لِلْقَارِئِينَ .

(١) سورة آل عمران الآيات ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) انظر موجز تفسير المفسرين في صفوة التفاسير ص ١٩٤ / ١٩٥ الجزء الاول .

ونعود بعد هذا الاستطراد الى ترجمة الاستاذ/ أحمد محمد جمال فنثبت هنا بعض ما كتبه في تفسير بعض آيات القرآن الكريم نقلاً عن كتابه « مآدبة الله في الأرض » .

(مآدبة الله في الأرض)

يقول الاستاذ/ أحمد جمال في تفسيره للآية الكريمة : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ مايلي :

وهناك حقيقة آلهية أخرى في قوله عز وجل « وترزق من تشاء بغير حساب » يقول بل هو مظهر آخر للقدرة الآلهية والمشيئة الآلهية أيضاً . وهو مثار جدل وشكوى بين الناس في كل زمان ومكان بل ربما كان محل اعتراض واستنكار من بعضهم ، لأنهم يرون غنياً فاسقاً وفقيراً صالحاً ، ويتساءلون : لماذا لا يفتقر الفاسق . . . ؟ أو لماذا لا يستغني الصالح . ؟ ويكرر القرآن هذا المعنى أو هذه الحقيقة الآلهية لأن الناس يتكرر اعتراضهم عليها ويتكرر عجبهم منها في قوله تبارك وتعالى في آيات متعددة منها .

﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(١) .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾^(٢) .

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٣) .

﴿ كُلُّ إِنَّا رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

يقول الاستاذ/ أحمد جمال :

ونجد هذا المعنى في سورة الروم والرعد والقصص والشورى والزمر ونلاحظ أن الله عز وجل في سورة الشورى يبين حكمته في قسمته للأرزاق بين عباده قبضاً وبسطاً حيث يقول : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ .

ويؤكد نفس الحكمة في آية الاسراء السابقة :

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ .

وفي آية العنكبوت :

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

(١) البقرة آية ٢٤٥ .

(٢) الاسراء آية ٣٠ .

(٣) العنكبوت آية ٦٢ .

(٤) سورة سبا آية ٣٦ .

وفي آية سباً :

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ويأتي الحديث القدسي فيزيد القضية بياناً :

« يا عبادي ان منكم من أغنيته ، ولو أفقرته لفسد حاله ، وان منكم من أفقرته ولو أغنيته

لفسد حاله » ^(١) .

أقول : وهكذا نرى أن بسط الرزق أو تقتيره على الناس هو لحكمة ارتضاها الخالق جل

وعلا فهو أعلم بعباده ، وأعلم بما يصلحهم وما يفسدهم .

ويقول في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٢) .

يقول بعد استعراض أقوال المفسرين ومناقشتها مايلي :

ونحن نلمس هذا السكن مع آثاره من المودة والرحمة بين الزوجين ، فيما نراه من ايثار

الرجل للمرأة على أهله من أبوين وأخوة ، وايثار المرأة للرجل على أهلها كذلك .

ان كلا منهما يحن الى زوجه أكثر مما يحن الى أبويه وأخوته . .

ويعارض هذا « الواقع » الزوجي بين المرأة والرجل ما جاء في القرآن الكريم وحديث

النبي صلى الله عليه وسلم من مطالبة الأبناء ببر الآباء ربما يؤكد بطريق غير مباشر لأنه يعني

التحذير من طغيان العاطفة الزوجية على حق الآباء في بر الأبناء .

كذلك ما أسرع كلا من الزوجين اذا ظلم رفيقه أو أخطأ في حقه الى الندم ثم المصالحة

والرضا بكلمة أو همسة ، ونسيان ما حدث من خطأ أو ظلم في لمح البصر .

ولا يكون ذلك على هذه الصورة السريعة بين الآباء والأمهات ، ولا بين الاخوة ، ولا بين

البنات والأمهات ^(٣) .

أقول : وكأن الله تعالى قد أودع في نفوس الزوجين ما أودع من المحبة والايثار ، أراد أن

ينبه الأولاد الى حقوق الآباء والأمهات حتى لا تطغى العاطفة الزوجية على عاطفة البنوة ،

فشدد الحرص على البر بالآباء والأمهات .

وقال في تفسير قوله تعالى من سورة الرحمن : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ

هُوَ فِي شَأْنٍ فَبَيَّءَ لَاءَ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

(١) مادبة الله في الأرض ٦٩ / ٧١ .

(٢) سورة الروم آية ٢١ .

(٣) مادبة الله في الأرض ٨٤ / ٨٥ .

كل المخلوقات تتوجه إليه عز وجل في كل لحظة بلسان مقالها ، أولسان حالها على اختلاف لغاتها وكلماتها ، تسأله الغنى من فقر أو الشفاء من علة ، أو الاستقواء من ضعف ، أو الاقتدار من عجز ، ويسأله العقيم ولداً ، والأرملة عائلاً ، والعانس زوجاً ، ويسأله المظلوم ناصراً ، والحائر هدى .

فكل يوم هو في أمر جديد من أمور خلقه ، وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ .

فقالوا : وما ذاك الشأن يا رسول الله . . ؟

قال : « أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويرفع قوماً . ويضع آخرين »^(١) .

ويقول في وصف الموت وسكراته :

الموت بداية اليقظة . بداية معرفة الحقيقة التي نسيها أو جهلها الانسان ، وبداية الحساب على ما قَدَّم من خير أو شر ، فاذا نفخ في الصور ، واستيقظ اليقظة الكبرى ، كان الحساب الأكبر والجزاء الأوفر ، فريق في الجنة وفريق في السعير^(٢) ويقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

فهو صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين في الدنيا بما حمل الى الناس من نور وهدى فأنقذهم من الضلال والكفر ، ورحمة للعالمين في الآخرة بما يشفع لأهل المعاصي فيخرجون من النار ويدخلون الجنة^(٣) .

ونكتفي بهذه الأمثلة التي نقلناها من كتاب مآدبة الله في الأرض ، وأود أن يقرأ القارئ كتب الاستاذ / أحمد جمال ، ويتأمل ما جاء فيها في تفسير بعض الآيات الكريمات فإن ذلك أبلغ وأنفع .

مذكرات أحمد جمال :

للاستاذ / أحمد جمال يرحمه الله مذكرات بعضها منشور وبعضها مخطوط ، وقد تفضل نجله الكريم الأستاذ / رجاء باطلاعي عليها ، وفي هذه المذكرات يتحدث عن مسيرته الأدبية ، كما يتحدث عن مسيرته كأستاذ للثقافة الاسلامية في جامعتي الملك عبدالعزيز وجامعة أم القرى ، وعن أمور أخرى كثيرة كأدب المرأة وتوظيفها والأعمال التي تمارسها والتي لا يرى أنها صالحة لها ، والاسئلة التي كانت توجه اليه من بعض الصحفيين أو من بعض الصحف واجابته عليها .

(١) مآدبة الله في الأرض ٨٩ / ٩٠ .

(٢) مآدبة الله في الأرض ١٠٣ .

(٣) مآدبة الله في الأرض ١٢٥ / ١٢٦ .

وتحدّث كذلك عن رحلاته الى أقطار الدنيا المختلفة ، داعياً الى الله تعالى مع الدعاة في المؤتمرات الاسلامية التي حضرها ، وكيف رأى أن من الضروري للداعية اتقان مخاطبة الناس ارتجالاً ، وانه بدأ تدريب نفسه على ذلك سنة ١٣٧٧ هـ ، في أول رحلة له الى باكستان تلبية لدعوة تلقاها من جامعة البنجاب للمشاركة في الندوة العالمية للإسلاميات^(١) .

ثم تحدّث عن الموضوعات التي أثّرت في مؤتمرات أخرى كثيرة وأبدى رأيه فيما تم التطرق اليه من بحوث ورّدّه على من يخالفونه الرأي وهي موضوعات هامة ويجدر بالقارىء أن يقرأها بنفسه لأن تلخيصها لا يقدم الصورة الكاملة عنها .

وفي المذكرات مراسلات دارت بينه وبين بعض كبار المسؤولين على جانب كبير من الأهمية لما تضمنته من آراء ومناقشات يستقطب بعضها اهتمام الناس ويدور تساؤلهم حولها . وقد استوقف نظري في مذكراته الأدبية التي نشرت سلسلة في مجلة المنهل بعض الحوادث والطرائف أنقلها .

فمن الحوادث التي تعرض لها وزملاؤه في المعهد السعودي انهم أصدروا مجلة خطية سمّوها الأمل اشترك في اصدارها الطلاب إذذاك في المعهد العلمي السعودي ، عبدالعزيز الرفاعي ، وسراج مفتي ، وعبدالقادر جان ، وعبدالعزیز الربيع ، وسراج خراز وعلي غسّال ، وغيرهم .

وكان الطلبة ينشرون في هذه المجلة الخطية الكلمات والقصائد من انتاجهم ، يقول أحمد جمال في مذكراته : فاذا بنا نفاجأ بطلب من الشرطة لكل واحد منا في بيوتنا مما أفرغ آباءنا وأمهاتنا ، وذهبنا الى مقر الأمن العام فيما كان يسمى - الحميدية - على عهد مهدي بك ، وكان رجالاً مهيباً يرحمه الله ، واقنّادونا الى غرفة القسم العدلي ، وكان يرأسه طلعت وفارحه الله ، وهناك أخذ منا تعهداً بعدم اصدار المجلة ، وألاً كان جزاؤنا شديداً فقلنا سمعنا وأطعنا^(١) .

واذا كانت هذه الحادثة قد انتهت نهاية سليمة فإن الحادثة التالية لم تكن كذلك فقد نشر بعض القصص القصيرة في مجلة الرابطة الاسلامية التي كانت تصدر بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ ، وكانت هذه القصص بعنوان « صور من المستشفى » وكانت هذه القصص تصور حالات من اهمال الأطباء ومعاينة المرضى ، وبسبب هذه القصص سجن سبعة أيام في السجن الاحتياطي بأجباد .

ويقول أحمد جمال ، وقد حظيت في السجن بزيارة كبار القوم من العلماء والوجهاء . أمثال السيد محمد أمين كتبي ، والشيخ سليمان الصنيع وكلاهما من العلماء ، والشيخ بكر حمدي من

(١) مجلة المنهل العدد ٤٤٩ الربيعان ١٤٠٧ هـ .

(٢) مجلة المنهل الحلقة السادسة من المذكرات .

كبار موظفي رئاسة القضاة وهوزوج أخت أحمد جمال ، كما أنه أطلق من السجن بعد توسط الشيخ عمر بن حسن رئيس عام هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدى الملك عبدالعزيز ، وكان عمر بن حسن يعطف عليه كثيراً ، وكان يحثه دائماً على الاستمرار في طريقه الذي يسير فيه نحو العمل الاسلامي^(١) .

الرقابة على الصحف :

ومن الطرائف التي تضمنها المذكرات الحديث عن الرقابة على الصحف وقد جاء فيها ما يلي :

وذكر الاستاذ/ الأنصاري في مقدمتهم - مراقبي الصحف - الشيخ حسين عبدالغني يرحمه الله ، وقال انه كان يضيف عبارات من عنده بين سطور المقالات والقصائد المراد نشرها في جريدة أم القرى التي يتولى الاستاذ/ الأنصاري رئاسة تحريرها ما بين سنة ١٣٥٩ هـ وسنة ١٣٦٩ هـ ، وأنه كان متشدداً جداً .

ومما عاناه الأنصاري من شدته أنه كان يشطب من المقالات جملة السعادة الاجتماعية ويعلل تصرفه بقوله في هامش المقال أنه ليس هناك سعادة في الدنيا وأن السعادة في الآخرة . كما أضاف ذات مرة في قصيدة للشيخ / أحمد ابراهيم الغزاوي كان قد ألقاها في احتفال لجلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله أضاف جملة (بإذن الله) بعد كل عبارة بها - سنعمل ، سنضع ، سنقوم .

ونشر الاستاذ/ الأنصاري القصيدة بهذه الاضافات الشاذة التي اضطرب لها وزن القصيدة متعمداً اثاره الشيخ الغزاوي ، وفعلاً كان له ما أراد وأسرع اليه مستنكراً^(٢) .

الكاتب الاسلامي :

ومما جاء في هذه المذكرات أن أحمد جمال كان يدعو الله تعالى بعد طوافه بالبيت الحرام أن يجعله أديباً اسلامياً مثل مصطفى صادق الرافعي^(٣) .

آدم وحواء :

ومن الملاحظات الدقيقة التي وردت في المذكرات انتقاده لبعض الصحف المصرية ، بل بعض كتابها البارزين استعمال اسمي آدم وحواء رمزاً للخطيئة بين الرجل والمرأة ، أو للمناكفة بين الزوج والزوجة ، يقول أحمد جمال بعد أن أورد غمادج مما نشره بعض كبار الكتاب المصريين مبدياً رأيه يقول :

(١) مجلة المنهل الحلقة الثالثة من المذكرات .

(٢) الذكريات - مجلة المنهل الحلقة الخامسة .

(٣) مجلة المنهل - الحلقة الثالثة عن الذكريات .

تفعل ذلك بعض الصحف والمجلات المصرية ازاء آدم عليه السلام ، بينما هو رمز التجلة والتكريم بما أسجد الله له ملائكته ، ورمز الرفعة والمعرفة بما علّمه الله من أساء خلقه ، ورمز الأفضلية والأولية بما جعل الله له من استاذية في السماء وخلافة في الأرض ، والذين يكتبون التفاحة المحرمة ، وخروج آدم وحواء من الجنة بسببها أجهل الجهلاء وأسفه السفهاء ، وان حملوا أرقى الشهادات وتزيوا بزي العلماء والعقلاء^(١).

وأكتفي بهذا القدر من التعليق على الذكريات الأدبية التي تضمنتها مذكرات الاستاذ/ أحمد جمال ، وأرجو أن يوفق ابنائه الكرام الى جمع هذه المذكرات على اختلاف مواضيعها ، ونشرها في كتاب ليتاح لقرائه الكثيرين الاستمتاع بها ومعرفة بعض الامور الهامة أو الطريفة في حياة الكاتب وعمله ، وفقهم الله لذلك وأعانهم عليه .

وفاة أحمد جمال :

توجه أحمد جمال الى القاهرة بصحبة شقيقه محمود في أوائل شهر ذي الحجة ، وكان قد انقطع عن زيارة القاهرة ست سنوات ، وفي ليلة التاسع من ذي الحجة أخبر مرافقيه انه سيصبح صائماً وضبط جرس الساعة في غرفته ليستيقظ قبل الفجر ، ليصلي لله تعالى في جوف الليل كما هي عادته دائماً .

واستيقظ أخوه على صوت الجرس الذي قرع طويلاً ، فأسرع الى غرفة أخيه ودعاه فلم يجب وحركه فلم يتحرك . واستدعى الطبيب ، فقال : لقد توفاه الله .

هكذا انتهى أحمد جمال وهو على نية الصلاة في الليل وصيام يوم عرفة ، فيا لها من خاتمة سعيدة لجهاد طويل في الدعوة الى الله .

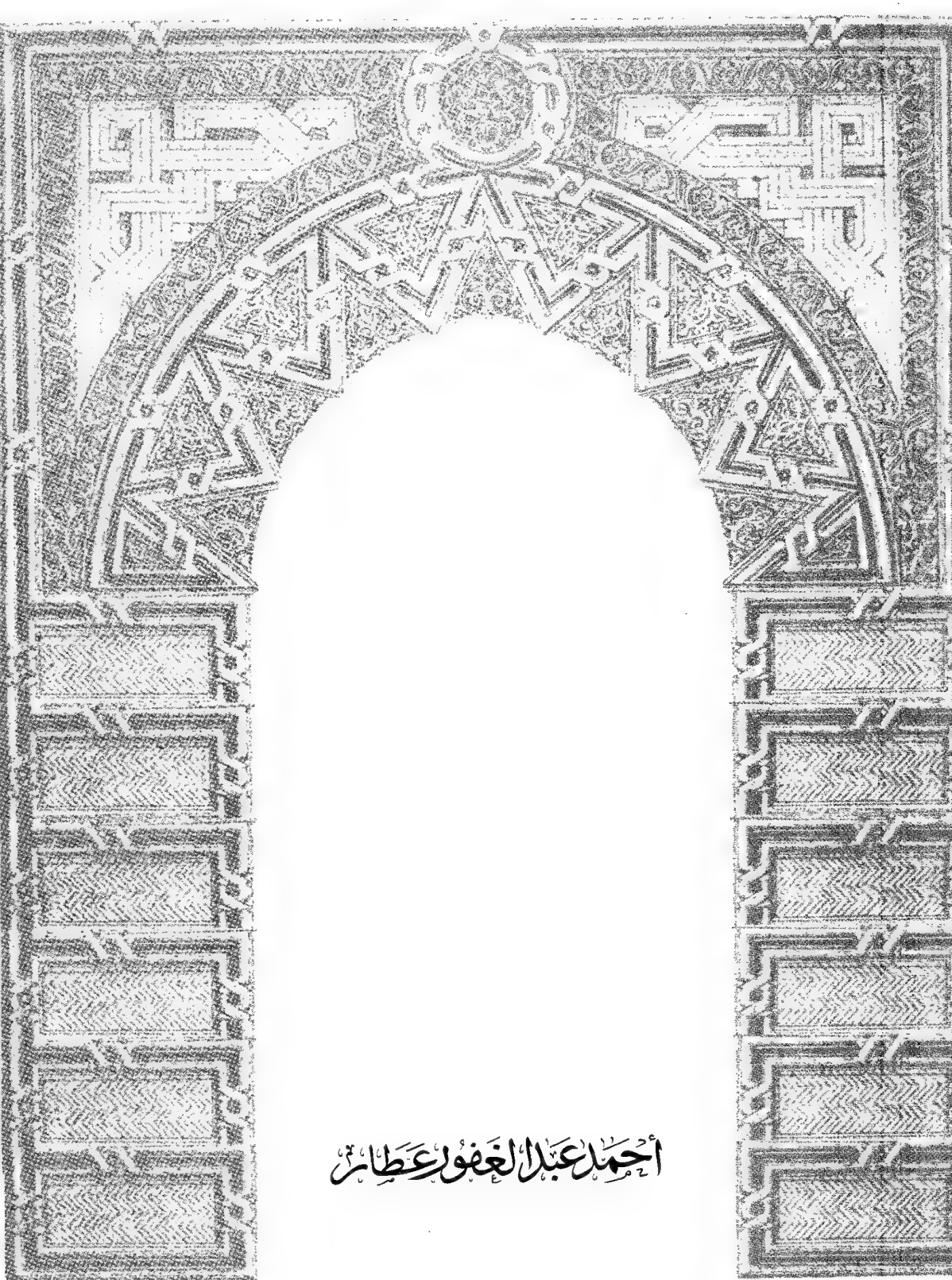
وكان لوفاته المفاجئة صدى أليم في نفوس الكثيرين من الناس الذين ذهلوا للنبا وسارع البعض الى التأكد وكأنهم يرجون أن لا يكون صادقا ، ولكنها ارادة الله وقضاؤه ولا راد لما قضاه الله .

نُقل جثمان أحمد جمال في طائرة خاصة بأمر من خادم الحرمين الشريفين ، ووصل الى مكة مساء يوم التاسع من ذي الحجة ١٤١٣ ، وصُلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الفجر ، ودفن في مقبرة المعلاة .

فإلى رحمة الله وعفوه . وإلى رحاب جناته ، انه سميع مجيب .



(١) مجلة المنهل - الحلقة التاسعة والعشرون من الذكريات .



اَحْمَدُ عَبْدُ الْغَفُورِ عَطَائِرُ



احمد عبدالغفور عطار

أحمد عبد الغفور عطار

أسمر اللون ، شديد السمرة ، نحيل البدن ، متوسط القامة ، واسع العينين يضع على عينيه نظارة سوداء بعد أن كبرت سنه وقصر نظره يرتدي ملابس بيضاء ويضع على رأسه غترة وعقالاً .

ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٣٧ هـ ، وتلقى دراسته بها ، وتخرج من المعهد العلمي السعودي بمكة ، وابتعث الى مصر للدراسة ، ولكنه لم يتم دراسته في مصر وأعيد الى مكة المكرمة ، على أثر وشاية وشيت عنه وسجن في مكة ، ثم نفي الى الرياض وسجن في سجن المصمك لعدة شهور ، وقد ألف العطار كتاباً عن هذه الواقعة سماه « بين السجن والمنفى » سأتحدث عنه فيما بعد .

استقر به المقام في مكة المكرمة وعمل موظفاً في الوظائف الحكومية لعدة سنوات ، أذكر منها وظيفته في ادارة الأمن العام .

ولكن العطار الذي عشق البحث والكتابة ، والذي حكمت عليه الأيام بالابتعاد عن الدراسة الأكاديمية المنتظمة لم يثنه ذلك عن مواصلة البحث والدرس ، والكتابة والتأليف فاستقال من الوظائف الحكومية وفرغ نفسه للبحث والتأليف فألف ما يقرب من مائة كتاب .
أول مؤلفات العطار :

ألف العطار كتابه الأول وهو مجموعة مقالات سماه « كتابي » وتم طبع هذا الكتاب بمطبعة أم القرى في مكة المكرمة على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز - الملك فيصل فيما بعد - وكان الأمير فيصل يعطف على العطار ويشجعه منذ أن كان تلميذاً بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة^(١) .

(١) بين السجن والمنفى ص ١٥

ومما أذكره عن هذا الكتاب أن العطار يرحمه الله أوكل أمر توزيعه الى الشركة العربية للطبع والنشر بمكة المكرمة التي كان الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله قد أسسها ، وكنت أشرف على أعمالها بحكم عملي لديه .

وجاء العطار من مصر ، وحضر الى مكتب الشيخ محمد سرور الصبان يرحمهما الله جميعاً ، ورأيت لأول مرة في عام ١٣٥٦ هـ شاباً صغير السن وسأل عن كتابه « كتابي » وكان غاضباً لأن شركة الطبع والنشر لم تحسن تسويقه كما قال لي إذ ذاك .

وكان الكتاب يفتقر الى الكثير من مقومات النجاح ، فهو أول كتاب ألّفه العطار وماذا ينتظر من مقالات يكتبها شاب حديث السن في الخامسة عشرة من العمر . . ؟ هل سيقبل الناس على شرائه ، وقراءته ، ولم يظهر اسم الكاتب بعد ، ولم يعرف عنه الاجادة . . . ؟ قلت له انك قد حضرت فلتتولّ أنت أمر التسويق والنشر .

وأود أن أذكر هنا أن العطار الذي ألّف الكتب الكثيرة في اللغة بعد ذاك والذي أخرج معجم الصحاح كان كتابه الأول يحتاج الى تصحيح بعض ما جاء فيه من اللغة والاعراب ، وليس ذلك ليعيب العطار ، فقد كانت بدايته متحمسة متعجلة ولكنه لم يلبث أن استدرك ما فاتة ، واستكمل عدته ، فكان منه الأديب الضليع لغة وفكراً وأسلوباً وعلماً ، وبعد هذه المقدمة نذكر ثبت مؤلفاته كما أوردتها جريدة المدينة المنورة بعد وفاته .

أعمال ومؤلفات العطار :

أ - كتب نفدت :

١ - كتابي - مجموعة مقالات ، طبع بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة حرسها الله سنة ١٣٥٤ هـ الموافقة ١٩٣٤ م .

٢ - محمد بن عبد الوهاب : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) ، الطبعة الثانية - القاهرة سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) ، الطبعة الثالثة - بيروت ، سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) .

٣ - محمد بن عبد الوهاب : (كتاب جديد غير السابق) الطبعة الاولى بيروت ٣٠ ذي الحجة ١٣٩١ هـ (٨ يناير ١٩٧٢ م) ، الطبعة الثانية بيروت ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١ هـ (٤ فبراير ١٩٧٢ م) ، الطبعة الثالثة بيروت ١٠ محرم ١٣٩٢ هـ (٢٤ فبراير ١٩٧٢ م) ، الطبعة الرابعة بيروت ٥ رجب ١٣٩٢ هـ (٤ أغسطس ١٩٧٢ م) ، الطبعة الخامسة بيروت سنة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .

٤ - محمد بن عبد الوهاب : (باللغة الأردية ترجمة العلامة الشيخ محمد صادق خليل) الطبعة الاولى لاهور (باكستان) ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) .

- ٥ - الهوى والشباب : (ديوان شعر) الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٧م) .
- ٦ - الخراج والشرائع : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) .
- ٧ - أريد أن أرى الله (مجموعة قصص) الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) ،
الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٨ - المقالات : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) .
- ٩ - الهجرة : (مسرحية) الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) الطبعة الثانية
(ضمن مجموعة بحوث تحت عنوان الهجرة) بيروت ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ١٠ - صقر الجزيرة : (٣ أجزاء) الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م) ، الطبعة
الثانية جدة سنة ١٣٨٥هـ (١٩٥٦م) ، الطبعة الثالثة (ثلاثة أجزاء في مجلد واحد)
جدة سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) .
- ١١ - البيان (نقد أدبي) : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) .
- ١٢ - الزنابق الحمر (مسرحية لطاغور ، مترجمة عن البنغالية) : الطبعة الاولى القاهرة سنة
١٣٧١هـ (١٩٥١م) .
- ١٣ - المقدمة (دراسة لمعجم صحاح الامام الجوهري) : الطبعة الاولى (كتبت مقدمة
لمعجم « تهذيب الصحاح » للزنجاني) ، القاهرة سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) ، الطبعة
الثانية - القاهرة سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) .
- ١٤ - قطرة من يراع : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) .
- ١٥ - الصحاح ومدارس المعجمات العربية : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٧٥هـ
(١٩٥٦م) ، الطبعة الثانية (صدرت مع معجم الصحاح للجوهري تحت عنوان
« مقدمة الصحاح ») في جزء مستقل - القاهرة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) ، الطبعة الثالثة -
بيروت سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) ، الطبعة الرابعة مع معجم الصحاح للجوهري ،
الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ١٦ - مقصورة ابن دريد (بحث تاريخي أدبي) : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٧٦هـ
(١٩٥٦م) .
- ١٧ - الاسلام والشيوعية : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٦م) ، الطبعة
الثانية (مزيدة ومنقحة) بيروت سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .
- ١٨ - حرب الأكاذيب : الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) ، الطبعة الثانية
نشرت بجريدة « عكاظ » الطائف سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) الطبعة الثانية ، نشرت في
الطبعة الثانية من كتاب الاسلام والشيوعية ، بيروت سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .
- ١٩ - الفصحى والعامية : الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) .

- ٢٠ - عشرون يوما في الصين الوطنية : الطبعة الاولى - تايبيه (الصين الوطنية) سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) .
- ٢١ - الشرعية لا القانون : الطبعة الاولى جدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .
- ٢٢ - الاسلام طريقنا الى الحياة : الطبعة الاولى جدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .
- ٢٣ - آراء في اللغة : الطبعة الاولى جدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .
- ٢٤ - كلام في الأدب : الطبعة الاولى جدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .
- ٢٥ - المفتش : (مسرحية لنقولا جوجول) الطبعة الاولى دمشق ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) ، الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٢٦ - الزحف على لغة القرآن : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م) .
- ٢٧ - الاسلام خاتم الأديان : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) .
- ٢٨ - انسانية الاسلام : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) .
- ٢٩ - اليهودية والصهيونية : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .
- ٣٠ - صقر الجزيرة ٧ أجزاء : (وهو غير الكتاب السابق) الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٤م) .
- ٣١ - ابن سعود وقضية فلسطين : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .
- ٣٢ - الشيوعية ولادة الصهيونية : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .
- ٣٣ - الماسونية : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .
- ٣٤ - عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين - والهيكلم لم يكن مقدساً عند سليمان واليهود : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .
- ٣٥ - حجّة النبي صلى الله عليه وسلم : الطبعة الاولى دمشق سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .
- ٣٦ - مؤامرة الصهيونية على العالم : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) الطبعة الثانية (خاصة بوزارة المعارف بالملكة العربية السعودية) بيروت ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) ، الطبعة الثالثة بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٣٧ - بروتوكولات صهيون (مترجم) : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ب - كتب محققة نفذت :
- ٣٨ - تهذيب الصحاح : (معجم لغوي) تأليف الامام الزنجاني ٣ أجزاء بالاشتراك مع الاستاذ/ عبدالسلام هارون - الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) .
- ٣٩ - مقدمة تهذيب اللغة : للامام الأزهري - الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) .

- ٤٠ - ليس في كلام العرب : للامام ابن خالوية - الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٨٦هـ (١٩٥٦م) .
- ٤١ - آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الاسلامية لابن خلدون وغيره - الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) ، الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) .
- ٤٢ - الصحاح : للامام الجوهري ٧ أجزاء (منها المقدمة) الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ج - كتب مترجمة للمؤلف ، طبعت حديثاً :
- ٤٣ - محمد بن عبد الوهاب : باللغة الانكليزية ، ترجمة الدكتور راشد البراوي ، الطبعة الاولى مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٤٤ - محمد بن عبد الوهاب باللغة الأردية : ترجمة الشيخ / محمد خليل صادق الطبعة الثانية مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٤٥ - انسانية الاسلام : باللغة الانكليزية - الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- د - كتب صدرت حديثاً : ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) :
- ٤٦ - الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) .
- ٤٧ - أحكام الحج والعمرة من حجة النبي وعمراته : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .
- ٤٨ - الحجاب والسفور : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٤٩ - وفاء الفقه الاسلامي بحاجات هذا العصر وكل عصر : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٥٠ - وفاء اللغة العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٥١ - دفاع عن الفصحى : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٥٢ - الهجرة : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٥٣ - الهجرة (مسرحية) : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٥٤ - جحا يستقبل نفسه : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
- ٥٥ - ويْلِكَ آمِنْ (نقد لبعض آراء الشيخ ناصر الدين الألباني) : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٦ - شرح مقصورة ابن دريد ، لابن هشام اللخمي (تحقيق) : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٥٧ - الشيوعية والاسلام : الطبعة الثانية بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٥٨ - اليهودية والصهيونية : الطبعة الثانية بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٥٩ - الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهاث : الطبعة الاولى بيروت ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٦٠ - الاسلام دين خاص أم عام : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٦١ - انحسار تطبيق الشريعة في أقطار العروبة والاسلام : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٦٢ - الجوهري : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٦٣ - أصلح الأديان للبشرية عقيدة وشريعة : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٦٤ - عروبة فلسطين والقدس : الطبعة الثانية مزيدة ومحقة بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٦٥ - انسانية الاسلام : طبعة ثانية بيروت ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٦٦ - ليس في كلام العرب : الطبعة الثانية مزيدة ومحقة ومفهرسة بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

٦٧ - الديانات والعقائد في مختلف العصور : أربعة أجزاء في أربعة مجلدات - الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ - (١٩٨٠م) .

هـ - كتب أعيد طبعها :

١ - حجة النبي - صلى الله عليه وسلم : الطبعة الثانية دمشق سنة ١٣٩٦هـ - (١٩٧٦م) .

٢ - صقر الجزيرة ٧ أجزاء : الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٧هـ - (١٩٧٧م) .

٣ - محمد بن عبد الوهاب : الطبعة الخامسة بيروت سنة ١٣٩٧هـ - (١٩٧٧م) ، الطبعة السادسة بيروت سنة ١٣٩٧هـ - (١٩٧٧م) .

و - كتب معدة للطبع :

١ - المكتبات .

٢ - فيصل .

٣ - مئة كلمة .

٤ - لا أؤمن بالاشتراكية لأنني أؤمن بالاسلام .

٥ - مع الكتب والمؤلفين .

٦ - الأسرة .

٧ - نقد كتاب « كشف الظنون » .

٨ - مذكرات لارا .

٩ - قال بيديا .

١٠ - خمس دقائق قبل الفطور .

١١ - وراء القضبان .

١٢ - ورود من كلام .

١٣ - العقاد .

١٤ - مسلمة في سيبريا .

١٥ - مع الملوك والرؤساء .

١٦ - الأدب الضاحك .

١٧ - الرحلات .

١٨ - عائشة أم المؤمنين .

١٩ - في اللغة .

ز - كتب محققة للطبع :

٢٠ - الأزمنة ، لقطرب .

٢١ - ما أتفق لفظه واختلف معناه ، لابن العميثل .

٢٢ - كشف الظنون ، لحاجي خليفة .

٢٣ - مجموعة المعاني (مختارات شعرية) طبعة الجوائب .

وقد استلقت نظري أن العطار أعاد تأليف بعض كتبه بمعنى أنه لم يكتب بتأليف الكتاب لأول مرة ، وإنما أعاد تأليفه مرة أخرى وينطبق هذا على كتابه محمد بن عبد الوهاب الذي صدرت طبعته الاولى بالقاهرة سنة ١٣٦٢ هـ الموافقة لسنة ١٩٤٣ م .

فقد أعاد كتابته أو تأليفه مرة أخرى في سنة ١٣٩١ هـ الموافقة لسنة ١٩٧٢ م أي بعد ثلاثين سنة من تأليف الكتاب لأول مرة .

وكذلك الأمر بالنسبة لكتابه صقر الجزيرة الذي صدرت طبعته الاولى في القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ الموافقة لسنة ١٩٤٦ م فقد أعاد تأليفه مرة أخرى وصدرت طبعته الاولى سنة

١٣٩٢ هـ الموافقة لسنة ١٩٧٢ م أي بعد أكثر من ربع قرن من تأليفه لأول مرة ويقول العطار في مقدمة الطبعة الاولى لكتابه الجديد مايلي :

هذه الطبعة تختلف عن الطبعات السابقة ، فهي تمتاز عليهن بالتنقيح والزيادة والصور التاريخية ، ومن بينها صور لم يسبق نشرها في أي مؤلف عن صقر الجزيرة^(١) والاضافات والتنقيح للمؤلفات حين اعادة طبعها أمر معروف للمؤلفين والقراء خاصة اذا مضى على تأليف الكتاب عشرات السنين . واطلع المؤلف على جديد تحسن اضافته الى ما كتبه أول مرة ، فسجله ليضاف في الطبعة الجديدة .

على أي حال فان اعادة التأليف أو اعادة النظر على الأصح في الكتاب بعد تأليفه وازداده ما يستحق الاضافة اليه يدل على أن المؤلف كان دائم البحث في المواضيع التي يتوفر على كتابتها وبحثها .

هذه ملاحظات عابرة رأيت أن أذكرها ونحن أمام هذه المكتبة التي خلفها العطار من المؤلفات والتي يمكن تقسيمها الى :

١ - كتب اسلامية تدافع عن الاسلام ضد أضاليل العصر وأكبر هذه الضلالات الشيوعية التي أكرم الله تعالى العالم كله بمشاهدة انهيارها وفضح أكاذيبها بعد أن احتلت العالم إلا القليل حوالي السبعين عاماً ، وللعطار في هذا المجال عشرون كتاباً .

٢ - كتب في اللغة تشتمل على تحقيق المعاجم ، وتبويبها وكتابة المقدمات لها ، والدفاع عن اللغة العربية وصلاحيتها لكل عصر ، وللعطار في هذا المجال ستة عشر كتاباً .

٣ - كتب أدبية تشمل المقالات والشعر والقصة والنقد والمسرحيات وللعطار في هذا المجال سبعة عشر كتاباً .

٤ - الصهيونية واليهود ومؤامراتهم وبروتوكولاتهم ، وهي مشكلة الأمة العربية في هذا القرن ، وللعطار في هذا المجال أربع مؤلفات .

٥ - التراجم وللعطار فيها خمس كتب .

وهكذا نرى العطار لم يترك مجالاً من المجالات إلا وشارك فيه بقلمه وبحثه وعلمه فخلف للناس مكتبة شاملة تضم الكثير من فنون العلم والأدب والتاريخ والدين .

ولإكمال ثبت مؤلفات العطار أذكرها هنا كتابين أهدهما إليّ يرحمه الله قبل وفاته ولم أجدهما ضمن ما نشرته المدينة وهما بين السجن والمنفى وقد صدر في مكة المكرمة سنة ١٤٠١ هـ الموافقة لسنة ١٩٨١ م ، ومحمد رسول الله تحاربه قوى الشر والتخريب ، وقد صدر في عمان سنة ١٤٠٨ هـ الموافقة لسنة ١٩٨٨ م وأشرفت على طباعته وتصحيحه واخراجه زوجته مزين

(١) صقر الجزيرة مقدمة الكتاب ص ٧ .

خالد حقي بعد أن تأثر نظر العطار بعد اصابته بالجلطة وفقد نظره الى أن أكرمه الله بالشفاء جزئياً من هذه الاصابة ، وكانت زوجته تعني به وتقرأ له الصحف والكتب ، ويعلي عليها ما يريد كتابته^(١) .

هذا هو العطار الكاتب المؤلف اللغوي المؤرخ ، الذي تفرغ للبحث والدرس والكتابة والتأليف والنشر فترك وراءه مكتبة حافلة في شتى العلوم والفنون والأدب .

جائزة الدولة التقديرية :

وقد منح العطار جائزة الدولة التقديرية في سنة ١٤٠٤ هـ^(٢) وهو يستحقها بكل جدارة وقد تبرع العطار برحمه الله بقيمة الجائزة في السنة التي منحها فيها للمجاهدين الأفغان وكانت حرب تحرير أفغانستان قائمة على أشدها إذ ذاك .

العطار الصحفي :

أسس العطار جريدة عكاظ سنة ١٣٧٩ ، وحينما تحولت الصحف الى مؤسسات انشئت مؤسسة عكاظ للصحافة وهي من أنشط الصحف اليومية ، تُصدرُ جريدة عكاظ باللغة العربية وسعودي جازيت باللغة الانجليزية ، وتعتبر جريدة عكاظ من أكثر الصحف اليومية توزيعاً ، ولها قراء كثيرون .

والى جانب جريدة عكاظ أسس العطار مجلة كلمة الحق الاسلامية التي أصدرها سنة ١٣٨٦ هـ^(٣) .

ويبدو أن هذه المجلة لم تستمر طويلاً ، ولا أعرف شيئاً عن أسباب توقفها والمدة التي استمر صدورها .

العطار الشاعر :

وللعطار ديوان شعر وحيد سماه الهوى والشباب ظهرت طبعته الاولى سنة ١٣٦٢ هـ وقدمه الدكتور طه حسين بمقدمة أثني فيها على الديوان قال فيها :

وجدت في شعرك من رصانة اللفظ وعمق المعنى ، وعذوبة الموسيقى ، وحسن الانسجام وحرارة العاطفة وصدق الشعور ما أذكرني عهوداً لم أنسها ، ولن أنسها بل لم أفارقها ولن أفارقها لأنها قوام الحياة الأدبية لكل أدب عربي ، وهي عهود الشعر الحجازي حين كان غض الشباب خصباً من جميع نواحيه^(٤) .

(١) المدينة المنورة العدد ٨٦٧٢ ، ٢٧ رجب ١٤١١ هـ .

(٢) جريدة المدينة المنورة العدد ٨٦٧٢ ، ٢٣ رجب ١٤١١ هـ .

(٣) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٤٥٧ ، ١٠/٢/١٩٩١ م .

(٤) الهوى والشباب ص ١١/١٠

وأعاد العطار طبع ديوانه هذا سنة ١٤٠٠ هـ الموافقة لسنة ١٩٨٠ م ، ولكن العطار انقطع عن الشعر مشغلاً بالتأليف الكثيرة والمباحث المتنوعة التي ملأت أيامه ولياليه .

صلة العطار بأدباء عصره :

كان للعطار يرحمه الله نشاط عظيم في الاتصال بالأدباء الكبار في مصر ، ومن أبرز هذه الاتصالات صلته بالعقاد التي سنتحدث عنها بعد ، وقد أثمرت صلاته هذه أعمالاً أدبية فاشترك مع الاستاذ/ محمد عبدالسلام محمد هارون في اخراج تهذيب الصحاح للزنجاني وكتب له العطار مقدمة ضافية ، وقام بطبعه ونشره معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله ، وإذا كانت صلة العطار بأدباء عصره أنتجت عملاً أدبياً ولغوياً نافعاً ، فان بعض هذه الصلات أوصله الى السجن .

فقد كان على صلة بالكاتب المصري المسيحي سلامة موسى ، واتهم العطار بسبب هذه الصلة وما يشبهها بأنه ينشر دعايات ضارة ضد المملكة وحكومتها ، وسجن بسبب ذلك وأبعد عن البعثة السعودية في مصر وحرّم من التعليم الجامعي ، وكتب العطار في آخر سني حياته كتاباً عن هذه الواقعة سماه بين السجن والمنفى ، وهو من أمتع الكتب بما يحويه من عفوية وبساطة وسلاسة في الاسلوب .

صلة العطار بالعقاد :

كانت صلة الاستاذ أحمد عبدالغفور عطار - يرحمه الله - بالكاتب والأديب العبقرى الكبير الاستاذ/ عباس محمود العقاد صلة حميمة بلغت حدّ انها اشتركا في تأليف كتاب اسمه « الشيوعية والاسلام » صدرت طبعته الاولى سنة ١٣٧٦ هـ الموافقة لسنة ١٩٥٦ م وطبع مرة ثانية سنة ١٣٩٢ هـ الموافقة لسنة ١٩٧٢ م .

ولا أريد أن أتعرض لحقيقة الأمر في هذا الكتاب وهل شارك الاستاذ/ الكبير عباس محمود العقاد في تأليفه مع الاستاذ/ العطار ، أم أنه وضع اسمه على غلاف الكتاب من قبيل المجاملة التي تقتضيها الصداقة الحميمة بينه وبين العطار ولكن قبول العقاد بوضع اسمه على الكتاب مع العطار هو أعظم دليل على صلة الطرفين وعلى ما يمكنه كل منهما للآخر من مودة وتقدير .

وقد حدثني العطار - يرحمه الله - كيف بدأت صلته بالعقاد قال :

بعد وفاة زعيم مصر الكبير سعد زغلول - يرحمه الله - أصدر العقاد كتابه المعروف عن سعد زغلول في سنة ١٩٣٦ الموافقة لسنة ١٣٥٥ هـ .

كان العقاد من الكتاب المقربين الى الزعيم الراحل ، وكان يحظى منه بالتأييد وكان

اعجاب سعد بالعقاد كبيراً حتى لقبه بالكاتب الجبار ، وقد أشار العقاد الى هذه التسمية في رثائه لسعد حيث يقول في قصيدة طويلة مطلعها :

أمضت بعد الرئيس الأربعون كيف بالله اذا تمضي السنون
ويخاطب العقاد سعداً فيقول :

أنا جَبَّارُكَ لا تعهدي ذلك الجبار في الدمع السخين
أصدر العقاد كتابه في الوقت الذي ثار الخلاف بين زعيم مصر مصطفى النحاس باشا ، وبعض أعضاء الوفد بزعامة الدكتور أحمد ماهر والنقراشي باشا ، وانضم العقاد الى المنشقين على النحاس والذين ألفوا فيما بعد حزباً جديداً سموه الحزب السعودي نسبة الى اسم الزعيم سعد زغلول .

وفي الوقت الذي كان يأمل فيه العقاد أن يتخاطف الناس كتابه عن سعد زغلول ، كان العداء بينه وبين النحاس باشا وأعضاء الوفد قد استشرى فأثر هذا العداء على الكتاب ، وربما امتنع الكثيرون من أعضاء الوفد وأشياعهم عن شراء الكتاب خشية إغضاب النحاس باشا . في هذا الوقت بالذات وصل العطار الى مصر وزار العقاد في بيته وعرف الموقف بالنسبة للكتاب ، والحالة النفسية التي يتعرض لها العقاد بسبب الخصومة مع النحاس باشا . يقول العطار :

خرجت من منزل العقاد وذهبت لزيارة الشيخ عبدالله السليمان الحمدان وزير المالية السعودية الأسبق الذي كان يزور مصر وذكرت لمعالیه أن الاستاذ/ عباس محمود العقاد قد أصدر كتاباً قيماً عن زعيم مصر الراحل سعد باشا زغلول ، ولم يخرج العطار من مجلس الشيخ عبدالله السليمان إلا وفي يده مبلغاً لعله مائتي جنيه مصري وكان الجنيه في ذلك الزمان جنيهاً ورجع الى العقاد ليسلمه المبلغ ويخبره أن الشيخ عبدالله السليمان الوزير السعودي يقدمها لشراء كمية رمزية من كتاب سعد زغلول وسرَّ العقاد كثيراً بهذه البادرة التي قام بها العطار ، فأثَّرت في نفسه أعظم تأثير ، وكانت هي البداية للمصداقة الحميمة بين الرجلين .

العطار ينتصر للعقاد :

ولقد كان إعجاب العطار بالعقاد عظيماً الى حدِّ أنه كاد أن يخرج الشيخ محمد سرور الصبان مع الدكتور طه حسين بسبب انتصاره للعقاد ضد طه حسين ، وتفصيل الموضوع ان معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله أقام في منزله بمكة المكرمة حفلاً لتكريم الدكتور طه حسين الذي حضر للزيارة أول الحج في ذلك العام ، ودعى لهذا الحفل علماء المملكة وأدباءها وكثيراً من الحجاج الزائرين للبلاد المقدسة .

وخطب الخطباء في الحفل معبرين عن شعورهم بلقاء الأديب الكبير أو عميد الأدب العربي كما كان يسمى يرحمه الله ، وقام العطار لا ليذكر محاسن المحتفى به ، وإنما ليدلي برأيه في الخصام الذي كان مستعراً في ذلك الوقت بين العقاد وطه حسين وكانت مجلة الرسالة تنشر للأديبين الكبيرين مقالاتهما النارية ضد بعضهما البعض وكان عنوان هذه المقالات « لاتينيون وسكسونيون » واللاتينيون هم الذين درسوا في فرنسا وطلبوا العلم في جامعاتها ، فاتسمت ثقافتهم بهذا الطابع الفرنسي الذي عبر عنه باللاتينية والذي كان يمثل الدكتور طه حسين يرحمه الله ، أما العقاد فقد كان يتقن اللغة الانجليزية وقد قرأ الكثير من مؤلفات الشعراء والعلماء والأدباء والمؤرخين بهذه اللغة « السكسونية » فنسب اليها في هذا الخصام بينه وبين طه حسين باعتباره يمثل الطرف السكسوني أو الانجليزي بحكم ثقافته في هذه اللغة .

كنت أنا والاستاذ/ محمد حسين زيدان نجلس الى مائدة واحدة في حديقة منزل الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله حينما قام العطار وألقى خطابه المكتوب ينتصر للعقاد ضد طه حسين ، وشعرنا أنا والزيدان بالخرج مما فعله العطار ، ولعل الشيخ محمد سرور الصبان شعر بخرج أكثر ، ولكن طه حسين يرحمه الله لم يلبث أن نهض للرد على كلمات الخطباء وخصص الجزء الأكبر من خطابه للرد على كلمة العطار ، وكان الرد بليغاً ، وقد كتب محمد حسين زيدان يرحمه الله في اليوم التالي في جريدة البلاد السعودية يصف الموقف ويلوم العطار على فعلته ، لأن المقام لم يكن ليسمح له بفعل ما فعل .

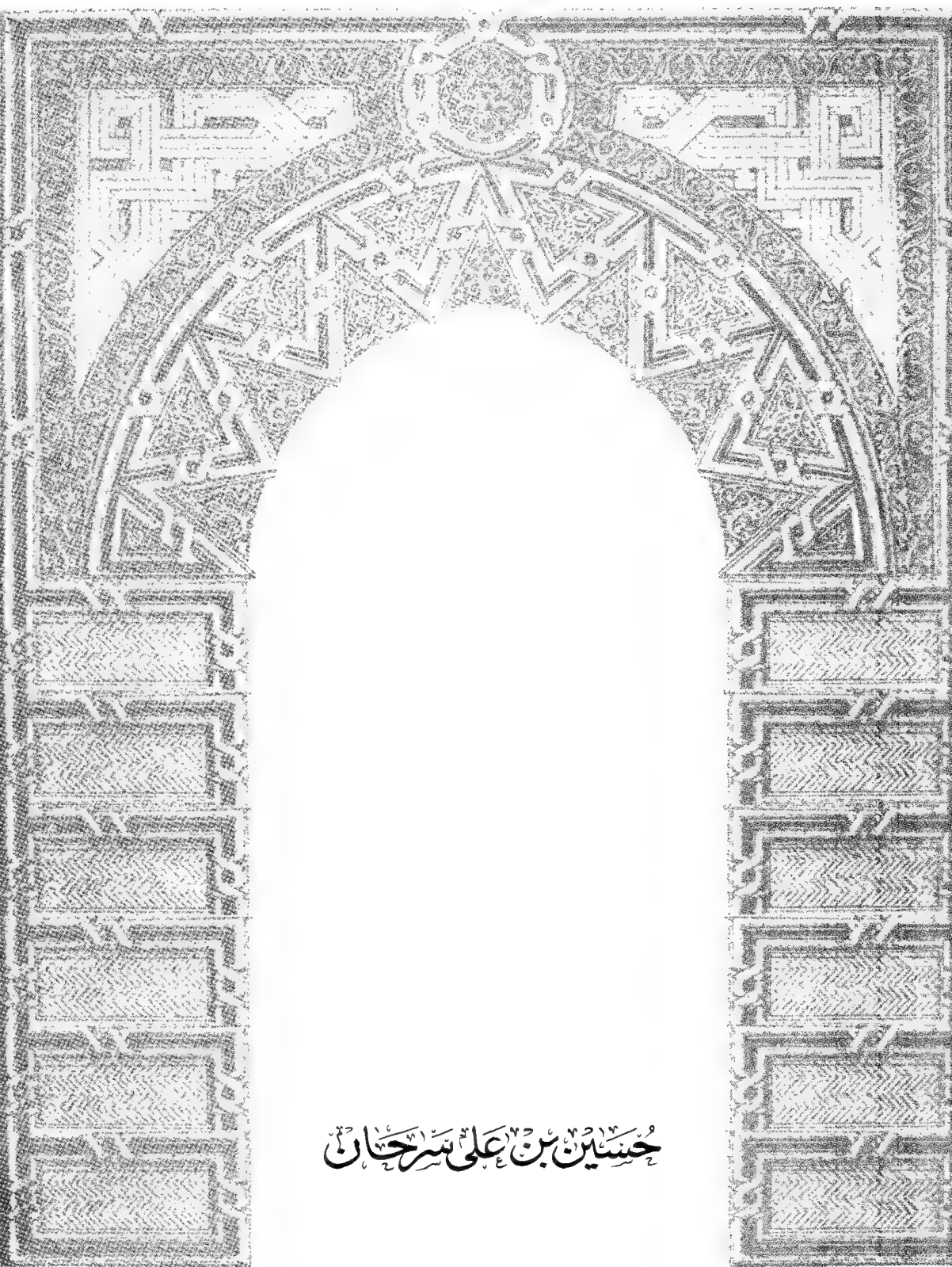
أردت من سرد هذه الحادثة أن أذكر أن العطار كان في اعجابه بالعقاد قد ذهب بعيداً حتى سمح لنفسه بالاقدام على نقد طه حسين في حفل أقيم لتكريمه في مكة المكرمة بعيداً عن مصر وعن العقاد وفي موقف هو موقف التكريم والاشادة .

الأيام الأخيرة في حياة العطار :

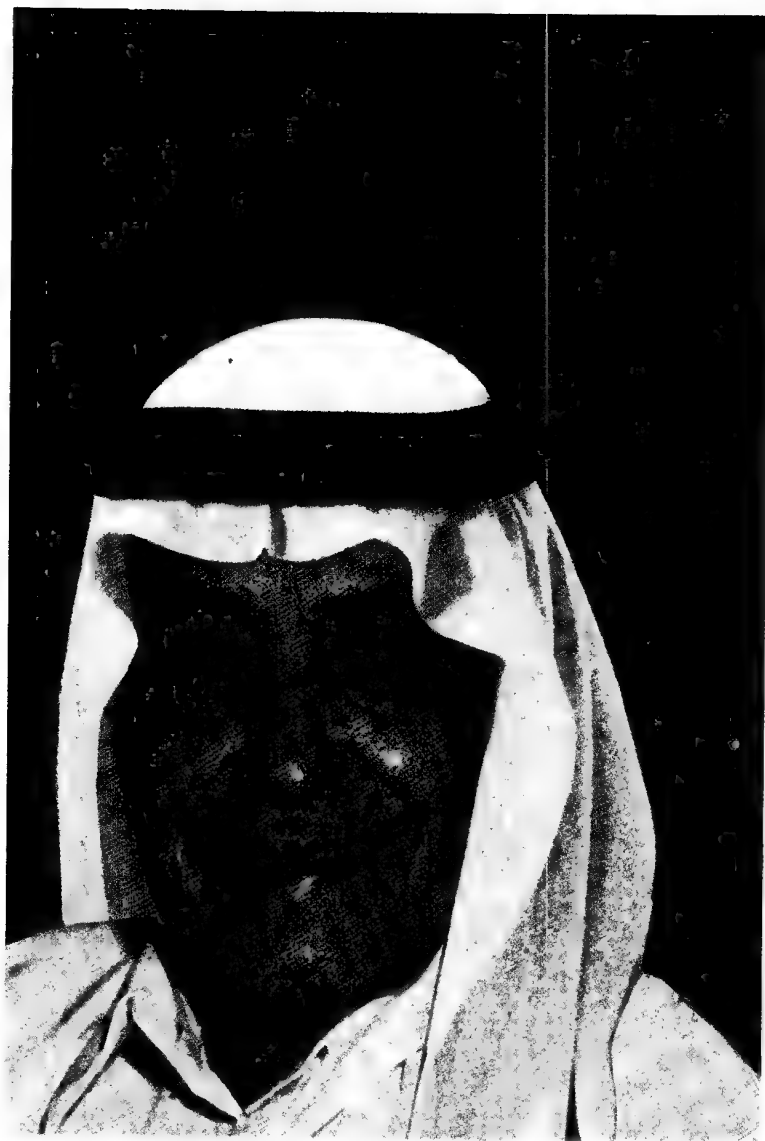
مرض العطار وانتقل الى جدة وعصر يوم من الأيام اتصل بي يرحمه الله وسألني عن تسمية الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بذي النورين ، فأحلته الى كتابي « عثمان بن عفان ذو النورين » ، وكنت أهديته اليه حين صدوره كما أفعل بجميع مؤلفاتي ، ويفعل هو يرحمه الله باهدائي مؤلفاته حين صدورها ، ورأيت أن أرسل اليه الكتاب مع بعض كتيبي الأخرى ، وسألته عن محل اقامته لأرسل اليه الكتب ولأقوم بزيارته ، وتفضلت زوجته الفاضلة باخباري عن العنوان ، وأرسلت اليه كتاب عثمان بن عفان ومجموعة من كتيبي الأخرى ، وبعث اليّ مع الرسول بعض آخر مؤلفاته مسجلاً اهداءه عليها بخطه الجميل ، وكان يتقن الخط كما يتقن فنون كثيرة أخرى مضمناً الاهداء مشاعره الكريمة وجميل تقديره .

وكننت على عزم الذهاب لزيارته في جدة حينما اتصلت بي صحيفة البلاد ونعته الى ىرحمه
الله ، فقد توفي الى رحمة الله تعالى يوم الجمعة ١٧ رجب ١٤١١هـ عن عمر يناهز الرابعة
والسبعين عاما تغمده الله برحمته الواسعة ، وأسكنه فسيح جناته .
وأرجو أن يوفق الله تعالى أبناء الفقيد الى طبع ما ترك من الكتب المخطوطة وفاءً بحقه
وتكريماً لذكراه ، والله ولي التوفيق .





حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ سَاحِبِ



حسين بن علي سرحان

حسين بن علي سرحان

بدوي الطلعة ، أصفر الوجه ، نحيف البدن ، كبير الرأس ، أقرب الى القصر منه الى الطول ، حليق اللحية والشارب والعارضين ، تبدو في وجهه سيماء الشموخ ، وليس هو بالمتعالي ولكنه لا يحفل بما تعارف عليه الناس من احتفاء بالمظاهر ، وإكبار للمناصب فهو يعيش في دنيا خاصة من أفكاره .

ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٣٤هـ أو سنة ١٣٣٢هـ على اختلاف بين الروايين . وتلقى تعليمه الابتدائي في الكتاتيب في المعابدة ، ثم انتقل للدراسة في المسجد الحرام على يد الشيخ محمد العلي التركي ، فمكث عدة أشهر يتلقى عنه دروسه في الفقه والتفسير والفرائض ، وبعض علوم اللغة العربية ، ثم أشار عليه الشيخ التركي بالانتظام في مدرسة الفلاح ، فالتحق بها ، وبقي بها لمدة عام ونصف العام من عام ١٣٤٨ - ١٣٤٩هـ ، وترك المدرسة وهو في الصف السابع الابتدائي دون أن يحصل على الشهادة الابتدائية^(١) .

قرأ حسين سرحان الكثير من أمهات الكتب العربية شعراً ونثراً ، وقد استقبلني في بيته بمكة في محلة المعابدة في مجلس تكتظ رفوفه بالكتب ، فأدركت لأول وهلة أن حسين سرحان أديب يستمد ثقافته من منابع الأدب العربي الأصيل ، وكان هذا اللقاء في أواخر الخمسينات وهو في الرابعة والعشرين من العمر ، وكان الى جانب هذا وذاك يطالع الصحف ويقرأ أحدث ما تخرجه المطابع من مؤلفات أدباء العصر ، فكان يجمع في ثقافته بين قديم الأدب وحديثه^(٢) . وكان للبيئة التي يعيش فيها تأثيرها في تكوين شخصيته فهو كما جاء في التعريف به في آخر مؤلفاته ينتسب إلى قبيلة الروسان من المراوحة من طفيح من برق من عتيبة من هوازن^(٣) .

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ١٩/١٥ .

(٢) حديث عبدالله بلخير بجريدة عكاظ بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٤١٣هـ .

(٣) الصوت والصدى التعريف بالشاعر في الغلاف الأخير .

وكان أبوه علي بن سرحان من حاشية سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز النائب العام لوالده الملك عبدالعزيز في الحجاز « ملك المملكة العربية السعودية » فيما بعد ، وكان يسكن في محلة المعابدة ، وهي محلة بظاهر مكة المكرمة تتميز بالسمات البدوية لسكانها الذين يأخذون بأسباب الحضارة ومظاهرها ، ويحتفظون في نفس الوقت بإباء البادية وخشونتها .

نشأ حسين سرحان في كنف جده لأمه عبيد الله بن سرحان لأن والده كان يعيش في نجد ، وكان جده عمدة لمحلة المعابدة ، وكان في نفس الوقت يتجَرَّ في الماشية وله أغنام يشرف على رعيها وبيعها ، ونشأ الشاعر في هذه البيئة البدوية فمارس في صباه ما كان يمارس جده وتمارسه القبيلة من رعي الأغنام والاتجار فيها بيعاً وشراءً ، وكان جده ينتجع الرصيفة وهي في الجنوب الغربي لمكة ، فيقضي مع أسرته ومن يلوذ بهم شهوراً عديدة يصيِّفون بها ، وقد استمر يحيا هذه الحياة البدوية الى ما قبل البلوغ بقليل^(١) .

وقد وصف حسين سرحان نفسه أصدق وصف في هذا البيت :

بدوي طبعٍ عنجهي سليقةً وكأنني من قد نماه مُكْدُمٌ^(٢)
عاش حسين سرحان في بحبوحة من العيش في ظل جده ، فلم يبحث عن وظيفة يعيش منها أو يعين أهله بما تدره عليه ، كما كان الحال بالنسبة لكثير من أترابه وزملائه في ذلك الزمان .

ووجد الوقت أمامه فسيحاً للقراءة والاطلاع ، والتفرغ للشعر والأدب .

كان أبوه من حاشية النائب العام الأمير فيصل بن عبدالعزيز الذين يطلق عليهم مسمى - الخويا - وحينما شب ابنه حسين التحق بالحاشية وأصبح من الخويا ، واستمر على هذه الصفة فيما بعد ، وكان من مقتضيات الخويا اجادة الرماية ، وحمل السلاح خاصة في الأوقات التي يرافقون فيها الأمير في رحلاته ، ورافق حسين سرحان سمو الأمير فيصل في رحلات متعددة الى لِيَّة ثم الى الخرجة ، والى العتمة^(٣) .

وفي عام ١٣٦٢ وحسين سرحان في الثلاثين من العمر التحق بأول عمل رسمي له فقد دعاه الشيخ عبدالله السعد ليعمل في فرع مصلحة اللوازم العامة بالطائف ، ولم يكن راغباً في الوظيفة ، ولكنه وقد رأى نفسه يبلغ الثلاثين من العمر دون ارتباط بعمل يدر عليه دخلاً، قبل العمل الذي عرض عليه ، وقد وصف شعوره بعد ارتباطه بالوظيفة في قصيدة عنوانها « الموظف الجديد » ستتحدث عنها حينما نتحدث عن أبواب الشعر في دواوين حسين

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ١٧ .

(٢) اجنحة بلاريش ١٦٦ .

(٣) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ٢٢ .

سرحان ، ومن هذه القصيدة نعرف أنه انتظم في سلك الوظائف مكرهاً ولم تكن الوظيفة صالحة له ، ولم يكن هو بحكم طباعه ، وما درج عليه في حياته صالحاً لها ، ولكنه اضطر اليها .

ومن اللوازم العامة انتقل الى الادارة العامة بوزارة المالية بوظيفة سكرتير في سنة ١٣٧٠ هـ ، وربما كان لصفته الأدبية دخل في اختياره هذا العمل ، وبعد العمل في وزارة المالية انتقل الى ادارة شؤون الحج ، ولعل لصداقته بالاستاذ الشاعر أحمد قنديل يرحمه الله أثر في هذا الانتقال ، فقد كان القنديل مديراً لادارة شؤون الحج ، وحينما انتقل من ادارة الحج الى عمل آخر وجه لصديقه القنديل قصيدة فيها دعابة .

ثم انتقل الى مشروع توسعة الحرم المكي الشريف ثم عمل بعد ذلك في مطبعة الحكومة ، ثم استقال أخيراً وأوى الى الراحة^(١) .

لم يحقق حسين سرحان في عمله الوظيفي ما كان خليقاً بمثله أن يحققه ، من علو مركز أو نباهة ذكر وخفض عيش ، فلم يكن مهتماً للعمل الوظيفي ، ولم تكن طموحاته في مجاله ، فبقي في الوظائف الكتابية التي لم يبلغ مرتبها الشهري الألفي ريال حتى أحيل الى التقاعد ، وكان راتبه التقاعدي أقل من هذا .

يقول صديقه العلامة الشيخ / حمد الجاسر :

ولولا نظرة كريمة من أولي الأمر نحو حالته لعاش عيشة فقر وبؤس فقد أكرمهم الله بزيادة راتبه التقاعدي وبقضاء دين لحقه حين بنى بيتاً^(٢) .

الى جانب العمل الحكومي كان لحسين سرحان حضور واضح في الصحافة : كان ينشر قصائده الشعرية في جريدة أم القرى منذ عام ١٣٤٩ هـ .

وحينما ظهرت صحيفة صوت الحجاز سنة ١٣٥١ هـ كان ينشر فيها القصائد والمقالات واستمر في نشر انتاجه الأدبي بها بعد أن أصبح اسمها البلاد السعودية ، وقد اشترك في تحرير هذه الصحيفة حينما كان يرأس تحريرها الاستاذ/ عبدالله عريف يرحمه الله ، كما أشرف على الصفحة الأدبية في نفس الجريدة بعد أن صار اسمها البلاد ، وكان ينشر انتاجه الأدبي في الصحف الأخرى عكاظ ، والمدينة ، والندوة ، والمنهل ، وقريش^(٣) .

وفي الآونة الأخيرة كان ينشر مقالات قصيرة في جريدة الرياض^(٤) . ولا بد أن يكون هذا النشر بلحاح من أصدقائه ، لانه أثر الانزواء التام والبعد عن المجتمع في السنوات الأخيرة ، كما يفهم ذلك من أحاديث أصدقائه المقربين .

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ٢٢ .

(٢) ذكريات حمد الجسر المنشورة في جريدة الشرق الأوسط العدد ٥٢٦٧ بتاريخ ٣٠/٤/١٩٩٣ الموافقة ٩ ذو القعدة ١٤١٣ هـ .

(٣) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ٢٣ .

(٤) جريدة الرياض العدد ٩٠٧٥ بتاريخ ٨ ذو القعدة ١٤١٣ هـ .

هذه هي سيرة حسين سرحان العملية في الحياة ، وقد آن لنا أن ننظر في شعره لنقرأ فيه ما أراد هو أن يقوله عن نفسه ، فهو أعرف بها من الناس ، ولا يثبتك مثل خير .

مؤلفات حسين سرحان :

- أصدر حسين سرحان ثلاث دواوين شعرية .
- أجنحة بلا ريش طبع الطبعة الاولى سنة ١٣٨٩ ، والطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هجرية .
- الطائر الجريح .
- الصوت والصدى ، طبع سنة ١٤٠٩ هجرية .
- أوزان في الميزان مخطوط .
- مجموعة مقالات أصدرها النادي الأدبي بالرياض .
- الأدب والحرب مجموعة مقالات أصدرها النادي الأدبي بالطائف .
- وهناك مجموعة أخرى من المقالات والقصائد يجري اعدادها للطبع .
- أول ما يطالعك من ديوانه الأول أجنحة بلا ريش قصيدة عنوانها لا أبتغي إلا التفاتاً .
- هذه القصيدة شهدت ميلادها اذا صح هذا التعبير ، ولعها من بواكير شعره فان تاريخها يعود الى عهد الشباب الى النصف الثاني من الخمسينات في القرن الرابع عشر الهجري .
- كنا جماعة من الشباب نجتمع أصيل كل يوم في محلة قروة بالطائف في الفضاء الفسيح أمام القشلة - الثكنة العسكرية في الطائف - وكان حسين سرحان عضواً في هذه الجماعة ، وكانوا جميعاً من أدباء الشباب ، وكانت أحلام الشباب وآماله تتدفق في مشاعرهم ، وتجري على ألسنتهم .

وذات مساء دعوت حسين سرحان يرحمه الله الى منزلي ، وتحدثنا ، وقرأ عليّ القصيدة وهي موجهة الى صاحب السمو الأمير فيصل النائب العام لجلالة والده الملك عبدالعزيز في الحجاز يرحمهم الله جميعاً ، وأعجبت بالقصيدة ، بموسيقيتها المتمثلة في القافية النونية المتبوعة بالهاء ، وكأنها رنين الوتر ، وبمعانيها الجميلة الأنيقة والتي تبدأ بهذه الأبيات :

يامن أود لو أنني سوط تحركه يمينه
وأود لو أني عقيدته المكيـنة أو يقينه
وأود لو أني هُـداه اذ ارسا فيه مكينه
وأود أني ظلـه أحمي خـطاه ولا أدينه
وأود أني سيفه أردي عـداه ولا أخونه
ومنها : وأود لو أني المنيام له اذا أرقّت جفونه

ومنها : وأود لو أي كتاج زانه فيما يزينه^(١)

وقلت : لحسين هل قدمت القصيدة لسمو الأمير فيصل . . . ؟

قال : لا

قلت : أسرع بتقديمها اليه فانها قصيدة رائعة وستحل من نفسه محلاً حسناً .

وذهب حسين سرحان وقدم القصيدة لسمو الأمير فيصل يرحمه الله وأبدى اعجابه بها وجاء حسين وقص على القصيدة ، واتفقنا أن نغتم هذه القصيدة لتتقدم بطلب الإذن لنا بإصدار مجلة أدبية .

وقلت : لحسن تقدم أنت بطلب الإذن فلعل صلتك بسمو الأمير فيصل تجعل له قبولاً .

وتقدم حسين سرحان بالطلب ولكن الإذن لم يصدر .

أذكر هذه القصيدة بعد أن مضى عليها أكثر من خمسة وخمسين عاماً ، وأعود الآن الى القصيدة نفسها التي نظمها حسين سرحان وهو في منتصف العشرينات ، فأجد أن هذه القصيدة لا تصدر إلا عن شاعر أسلست له أعنة الشعر قيادها ، فتدفقت فيها الصور الشعرية ، رائعة وضاعة لتستولي على القارئ بموسيقيتها العذبة الرنين .

وإذا كانت هذه القصيدة التي نظمها في عنفوان شبابه بهذا المستوى من الابداع والاجادة ،

فقد كانت مؤشراً لما سيكون عليه حسين سرحان في دنيا الشعر في قابل الأيام .

ولقد لاحظت أن المبدعين في جميع الفنون تظهر آثار ابداعهم في سن مبكرة فكأن الموهبة تولد مع الانسان ثم تصقلها الأيام .

وحسين سرحان شاعر يذكر شعره بالصور الشعرية التي تحفل بها دواوين فحول الشعراء

في العصرين الأموي والعباسي .

فقد أكب على قراءة هذه الدواوين ، فانطبعت صورها الشعرية الرائعة في ذهنه ، وأثرت

موسيقيتها في نفسه ، ومكن لهذا الأمر حياته الشخصية التي تتصل بالصحراء وحياة البادية .

يقول في قصيدة النأي :

قضى الدهر ما بيني وبينك بالذي

قضاه فانناك افترأ واناني

تيمم بي سياراً نحو مكة

وسيرت على الخوص النواجي لنجران

فاشملت إذ أجنبت يا بُعداً فرقـد

تحدأك طـولاً بيننا وتحذاني

م (١) اجنحة بلاريش ص ١٦/١٥ .

فيا بعد مجرى العين عن بئر عسكر
وأين كـدأء عن سبـاسب ظهـران

إذا أعنقت فيها المطايا تظالعت
وحنّت بـارزام مـلح وازنـان
هذه الصورة للمطابا وهي تحنُّ بارزام وأرنان هي صورة لاعرابي فارق حبيته فسارت
شمالاً وسار هو جنوباً ، وهذا البيت الذي يقول فيه :

فاشملت إذ أجنبت يابعد فرقد تحداك طولاً بيننا وتحداي
هذا البيت يذكرني بصورة مشابهة وردت في شعر عمر بن أبي ربيعة يقول فيها :
أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استهلت وسهيل إذا استهل يمان
وابن أبي ربيعة يكتفي بنجوم السماء لأن الحبيبة اسمها الثريا .

ومن الصور البدوية التي يحفل بها شعر حسين سرحان قوله في ذكريات هوى :
وثبت وثبة كدري على قُللٍ من الجبال طوال فوق اثباج^(١)
انه هنا ينجو بنفسه هارباً فيثب كما يثب طائر القطا على قمم الجبال .

ويقول في وصف النيل :

والنيل بـاركه الاله اشمَّ مَطرُدُ القـوام
ان مـرَّ سبـقا كـالجـوا دوان تـلألاً كـالحـسام^(٢)
ووصف النيل بالجواد الأشم في جريانه ، وبالحسام في تلألئه ولمعانه من أجل ما توصف به
الأنهار والبحار ، ولكنها صور بدوية تبدعها مخيلة فارس بدوي شاعر .
وأمثال هذه الصور كثيرة ، ولسنا هنا في مجال الاستقصاء ، وإنما نقدم المثل لايضاح
الصورة .

حسين سرحان الموظف :

وصف حسين سرحان نفسه ، وسخر منها بعدما مارس عمله موظفاً في - قلم اللوازم -
التابع لوزارة المالية في الطائف فقال في قصيدته الموظف الجديد .
أصبحت في قلم اللوازم كـالغـلام مـسـخـراً
قد بعت أربح بيعـة وشريت اغبن مشـترى
يسعى الزمان الى الامـا م وانت تسعى القهقهـرى

(١) اجنحة بلاريش ص ٤٨ .

(٢) اجنحة بلاريش ص ٥٤ .

ومنها :

كنت الـطليق تجرُّ ذيلك فوق مررتفع الذرى
كالبرعم الشوان يـأرج في الصبـاح منـورا
كالبـلبـل الصداح يوقظ بالغناء ذوي الكرى
ثم يقول :

ما بال نفسك مُرَّة واديم قلبك مقفـرا
تهتاج مثل الثور يو م يرى الـرداء الأحمرا
اتـراك حـين وقعت في الشرك المـعدَّ مخـيرا
أـم كنت تسخر بالزمان وبالمكان وبـالورى
ويصف السرحان وصول الرئيس الى الادارة :

واذا جـرى الجـلواز يـو ما قلت ويحك ما جرى ؟
قـال الـرئيس أـقـى فـقمت مـهلاً ومكـبرا
ونفخت زقا فارغا ورفعت صوتا منكرا
وضحكت واستنجـدت نابا أسودا أو أصفرا
هذا عقابك يا حسين صـبرت أـم لم تصـبرا^(١)

لقد ذكرت أن حسين سرحان لم يلتحق بالوظيفة إلا بعد أن بلغ الثلاثين من العمر ، كان يحيا حياة طليقة من أغلال الوظيفة ومراسمها ، يفعل بأيامه ما يشاء دون حسيب أو رقيب ، ولا بد أنه كان مكفي المؤونة بما يوفره له والده الذي كان من حاشية الأمير فيصل بن عبدالعزيز ، وكذلك كان هو من الحاشية أو « الخوايا » كما اصطلاح على تسميتهم ، ولهذا عاش حياة حرة لا تعرف قيود الوظيفة ، ولا ما يجب لها من التزام ، فلما اضطر اليها أدرك بطبيعته الساخرة ، وبما غرس في طبعه الشامس من اعتزاز أنها لا تصلح له ولا يصلح لها ، فصور حاله ومشاعره في الوظيفة الجديدة .

وفي تصوري أن حسين سرحان كان مضطراً الى دخل ثابت يقيم به شؤون نفسه وأسرته فهو يصف حاله وحال أسرته وهم ينتقلون من دار الى دار في مقطوعة صغيرة بعنوان ايجار الدار .

دائن جـاء يـتغـي ايجـاره بعد أن أسبل الدجى أستاره
ومضى العام شـرَّ عامٍ وقد ذقنا الرزايا في حارةٍ بعد حاره
كل عام يـزيد عـما مضى في اجرة الدار كالرياح المثاره

(١) اجنحة بلاريش ص ١٥٧/١٥٨ .

رب كوخ أركانہ مائلات وهو في سعره كدار سفاره
المئات المئات ماذا؟ أنرمي الأهل من رأس شاهق أو مناره
أم ترانا نعود كالعرب الرحل والناس هرولوا للحضاره
بين رسم عفى ونؤي تبدى ويعير شمردل وحماره^(١)
وقد وصف حسين سرحان حاله بعد أن قضى عامه الأول في الوظيفة في قصيدة عنوانها
« تورطت » يقول فيها :

تورطت فيها بعد طول تمنع وكنت مثال الحازم المترفع
مناصب يرقاها وضع فيعتلي بها ويلقاها جهول فيدعي
ويحسب أن الناس من طوع أمره بغلوة سهم أو بمقعد أصبح
وتصقله حتى يكون كيلمع وتنفخه حتى يظل كللع
وتبرز فيه من خفايا غروره أفانين من بعد الطوى والتسكوع
وبعد هذه الأبيات الذي يصف فيها ما تفعله الوظائف ببعض أربابها يقول عن نفسه :
وما أنا من طلابها أو هواتها فان تلحني فالح القضاء اذن معي
دفعت اليه لم تكن لي حيلة ولا رأي فاعذرني والا فقرع
عبودية شعاء يملكها الفتى ويفني بقلب عن هواها مشيع
ثم يصف ما كان حاله قبل الوظيفة فيقول :

وقد كنت عنها غانياً بين مونتق من الكتب اصفيه الوداد ممتع
أحدث فيها الجاحظ الفذ تارة وآونة اصغي الى ابن المقفع
فكيف قبلت القيد ارسف تحته بخيلا باحساسي سخياً بادمعي
وكيف أرى حريتي بعد محبس مقيت الجنى أبصر به ثم أسمع^(٢)
وقد شبه حسين سرحان حاله في الوظيفة بالعيش بين الجن ، بل أنه اعتبر أن العيش بين
الجن على سوئه وفظاعته أحسن موقعاً من حاله أو عيشه في الوظيفة يقول :

قل للذي جعل الوظيفة هم وسعى اليها سعى ضيغم غاب
العيش بين الجن آنس موقعا من زحمة الكتاب والحساب
هذا يجيئك باحثاً عن نمرة ويحوم ذاك على رتاج الباب
ويسومك الفرأش شرح رسالة ويرومك الساقى لعرض كتاب
وتظل تحفر باليراع جداولاً ولوائح سودا بغير حساب
متبرماً مما يشق على النهى متلوياً من شدة الأكباب

(١) اجنحلا بلاريش ص ١٣١ .

(٢) اجنحة بلاريش ص ١٥٩/١٦٠ .

وترى الرئيس مناوحاً لك قائلاً اشرح وحرر واحتفل بجواب
 بيمينه التوقيع يحسب أنه توقيع قيصر في غنى وغلاب
 وإذا أتى الزوار ظلوا برهته يتلفتون تَلَفَتْ الهَيَّاب
 وللقصيدة بقية أبيات وضع الناشر مكانها أصفاراً مما يدل على أن هذه الأبيات مما لا يحسن
 نشره . (١)

وإذا كان لنا أن نقول كلمة في شأن الوظيفة والشاعر فإن سواد الناس ومنهم الأدباء والعلماء يعملون في الوظائف وهي سبيل معاشهم ، ولا ينظرون إليها هذه النظرة الهازئة المتعالية ، ومنهم من يأخذ على مجتمع الوظائف ما قد يكون فيه من غرور بعض الرؤساء ، وانتهازية بعض الزملاء ، وسخف بعض المترددين ، ولكن الحياة تحفل دائماً بهذه الأشكال من الناس ، وباختلاف الطبائع والغايات ، والرجل الحصيف هو الذي يَكَيِّفُ نفسه مع واقع الحياة دون أن يفقد أصالة الخلق ، ويعامل الناس المعاملة الكريمة اللائقة به وبهم .
 لقد كان حسين سرحان يؤثر أن يعيش حياته بين الكتب ، فلا يشارك الناس حياتهم اليومية بما فيها من مضحكات أو مبكيات ، ولكن الحياة ليست بين صحائف الكتب ، وإنما هي في زحام المجتمعات .

والغزل عند حسين سرحان غزل حسي إذا صح هذا التعبير ، يصف جمال المحبوبة وصفاً حسياً يذكرك بالمشهورين من شعراء الغزل كعمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد ، ولكنك لا تجد فيه وجدانيات الشعراء العذريين المعروفين كعباس بن الأحنف وكثير عزة وجميل بشينه ، يقول حسين سرحان في قصيدة رشاً :

يا	بعيني ومهجتي	رشاً طاب محتده
في بني هـ	شامٍ يقوم	على العزّ مولده
نـ	عاس الطرف حُلوه	نـاعم العود املده
اصـ	طفاني بحبه	وصفاً لي توؤده
وسقـ	اني بثغره	عللاً لذّ موردّه
قبـ	لا تبعث المنى	بين لحن يردده
نغمـ	ا رجعتُ	منه لها تعسجده
لكاني	إذا فتحت	له السمع أشهدّه

رب لحن تـراه بالعين رؤيا تجده
 مستعداً كما استعيد مثـال تحدّه

يا حبيبي عشقت حبك لولا مسهده
وعشقت البكاء فيك اذ كنت تسعهده
وعشقت الصبا الجميل يرى منك امرده
وعشقت الجفون حبلى بسحر تولده
وعشقت الوصال يدنو اذا شئت مبعده
وغداً ارتجيه لولاك لم يرتغب غده
وزماننا تضمننا منه اذ نلتقي يده
وسهلاً اذا على انتظارك يحلو تعدده
رب غصن اذا طلعت جفاه تأوده
وخلا من ليانه ونآه مُغرده

هذه القصيدة من شعر الغزل تعطينا صورة للشعر الغزلي عند الشاعر ، الغزل الحسي الصريح فالحبيب .

نعاكس الطرف حلوه ناعم العود املده
وهو قد اصطفى الشاعر بحبه وصفى له الود معه :
وسقاني . بثغره عللاً لذّ مورد
قبلاً تبعت المنى بين لحن يردده
والشاعر يعشق هذا الحب لولا ما يجره هذا العشق من السهاد ، ويعشق البكاء في الحب اذا
كان الحبيب يسعده :

وعشقت الصبا الجميل يرى منك امرده
وعشقت الجفون حبلى بسحر تولده
وعشقت الوصال يدنو اذا شئت مبعده
كل هذه عواطف حسية نفتقد معها المعاني الروحية السامية التي تبعثها عاطفة الحب ،
وهي من أقوى العواطف الانسانية وأعظمها تأثيراً في النفوس ، ولكن الشاعر هنا يعبر عن
مشاعره ، وهو صادق في هذا التعبير وفي هذا التعبير صور جميلة تلفت النظر فيقول في وصف
غناء الحبيبة :

رب لحن تراه بالعين رؤيا تجده
هذا الغناء الذي يحس به السامع يصوره الشاعر رؤيا تراها العين وهو معنى جديد ، وفي
بيت آخر يصف الجفون المثقلة بالسحر فيقول :

وعشقت الجفون حبلى بسحر تولده
والمعنى جديد كذلك إلا أني لا أستسيغ الجفون الحبلى ، حتى وان كانت مثقلة بالسحر

والدلال .

ولحسين سرحان قصيدة أخرى ، ربما كانت من شعر الصبا والشباب يقول فيها :
خذ من وصال الغواني ما سمحن به
وكن خفيفاً كدأب العبابث الراجي
اني اذا ماقرعت الباب بعد مدى
فتحتـــــــــــــــــه وان استعصى بـــــــــــــــــارتاج
اذا أدمت الهوى أدمت منـــــــــــــــــاهله
مشوبـــــــــــــــــة من أخـــــــــــــــــاليط وامشاج
.....

حتى أعيش بقلب جـــــــــــــــــد مهتاج^(١)
وقد أمسكت عن اثبات الأبيات التالية ، ولكن القارئ لهذه القصيدة يخرج منها بانطباع
من أن قائل هذا الشعر لا يعرف إلا لوناً واحداً من ألوان الحب هو هذا اللون العابث النهاز
للفرص حيثما أتيج له انتهازها ، واستثناءً من هذا الرأي أثبت له بيتين يقول فيهما :
ماهو الحسن ياترى شفة رفت وطرف سبي وعطف مالا
انما الحسن حين تعشق نقصا ثم يمسي من فرط حب كمالا^(٢)
وهذا الذي ذكره حسين سرحان هو الذي كنت أبحث عنه في شعره الغزلي ، الحب الذي
يرى النقص في المحبوب فيستحيل من فرط الحب كمالا في عين المحب ، هذا المعنى الانساني
السامي . . . ولكنهما بيتان يتبيان اذا صح هذا التعبير ، أثبتهما من باب الأمانة ، ولعل هذين
البيتين هما الاستثناء الذي تثبت به القاعدة .
حسين سرحان في بيته :

لحسين سرحان قصيدة نشرت في جريدة صوت الحجاز سنة ١٣٥٤ هـ بعنوان « يا ابنتي »
وهي أول بنت رزقها وهو في مطلع شبابه ، مطلعها :
يا ابنتي ما شربت خمرا من الراوق أحلى من خمر فيك واسكر
لا ولا قد جنت يداي من البستان وردا من ورد خديك انضر
ومنها :

يا ابنتي ان رأيتني اتمنى عمراً خالداً ومالاً وفيرا
فهو من أجل ان اراك على حال جميل فــــــــــــــــاغتدى مسرورا

(١) اجنحة بلاريش ص ٤٨ / ٥٠ .

(٢) اجنحة بلاريش ص ١٨٩ .

فأماني ابيك انت تدرين بما في فؤاده من أماني
أنت لا تعرفين شيئاً سوى الشدي فمصييه في رضى وأمان
ثم يقول :

يا ابنتي أيما أحب اليك قبله الأم أم عناق أبيك
لست أدري لكنني أتمنى قبله استمدها من فيك
اتسامى بها الى الفلك العالي فاحيا بها وتنعش روحي
هي رمز الحياة لكنها في كبر العمر رقصة المذبوح^(١)
والقصيدة تعبر عن مشاعر الأبوة التي تعتلج في صدر الشاعر وهو يستقبل هذه الطفلة التي كانت أول ما رزق من الولد .

وقد رزىء حسين سرحان بفقد ولده الوحيد في حادث سيارة ولكني لم أجد له شعراً في هذا المصاب ، ولعله من شعره الذي لم ينشر ، فليس أقسى من فقد الولد على الوالد وخاصة اذا كان هو الولد بين أخواته البنات ، ويقول أصدقاء حسين سرحان ان الحادث أثر في نفسه كثيراً ، ولكني كما ذكرت لم أجد فيما قرأت من شعره المنشور - والغير مطبوع شيئاً في هذا المصاب الأليم .

وحسين سرحان مقطوعة صغيرة في رثاء أبيه يقول فيها :
أنما لم أهناً بليقياك أبي لا بأهلٍ قلت لي أو مرحب
كنت مثل الشلو ممدودا على ثبح من غمرات الكرب
رد منك الطرف نحوي فاذا فيه ايماض كومض السحب
وجرى منه دموع سكبت في فؤادي أي دموع سكب
أنما أخفيه ولكن كذبت مهجة ما وصمت بالكذب^(٢)
وفي هذه المقطوعة يصف الشاعر حياته مع أبيه الذي كان مبتعداً عنه يقول في مطلعها :
أنما لم أهناً بليقياك أبي لا بأهلٍ قلت لي أو مرحب
لقد جاء الأب وقد أثقله المرض فلما وقعت عينه على الابن أومضت ايماضة فاضت منها الدموع دموع الولد والوالد ، ثم كان الفراق الأخير .
(متى أعيش)

وحسين سرحان قصيدة نشرت في النصف الثاني من الخمسينات مطلعها :
ياليت اني بلا عم ولا خال ولا أحاط بحساد وعذال

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ٣٨٢ .

(٢) أجنحة بلاريش ص ٤٤ .

وقد جاءت في ديوان الصوت والصدى وقد تحول المطلع الى :
متى أعيش — لا عم ولا خال ولا أحاط بحساد وعزال
ثم يقول :

قوم اذا عاش أقوام بصمتهم عاشوا على رغد بالقيـل والقال
والهبوا بالرياح الهوج السنة كأنهم صلالٌ بين ادغال
تبيت تحفر للاعراض هاوية كبرى وتشعل فيها أي اشعال
موكلون بها مستلثمون لها اذا استدارت رحاها ألف سربال
ما النار تشتد في رطب وفي يس منهم باقى ولا انكى على حال
بل ليت أني نبت — رابية شجرا يلتف فيها السبع بالضال
يجري السحاب عليها كل محتفل وتسحب الريح فيها أي اذبال
والقارئ لهذه القصيدة يستشف منها ضيق حسين سرحان بمجالس الغيبة التي كان يرتع
أصحابها في لحوم الناس ، والذي كانت تضمهم المجالس التي وصفها والتي أنكرها عليهم
أشد انكار .

والقارئ لشعر حسين سرحان يرى فيه مسحة من التشاؤم والحزن ، لعلها تعبير صادق
عن حالته النفسية في السنين الأخيرة من عمره ، ولكن الدارس والمتأمل لشعره يجد هذه
المسحة تطل برأسها في الشعر الذي نظمه في شبابه ورجولته .
يقول في قصيدة موجز حياة :

أغدو مع الناس لا اني أعاشيهم ولست اسخر لكن يسخر القدر
في هيكل عن هباء الجسم مصدره فقد تعذر فيه الورد والصدر
مخطا آويا في كل مرزئة الى خراب عليه العقل يندحر
ورب نائبة في أثر نائبة تلقى الكلاكل عندي ثم تنتظر
وضحكة بدرت في غير ساعتها على فؤاد من اللأواء ينفطر
حتى الكواكب في لألاء طلعتها اطفأتها ودموع القلب تعتصر^(١)
واذا كان هذا وصفه لنفسه بعدما تقدم به السن فقد وصف نفسه بقوله :

ولدت شيخا أو أرى أنني خلقت من قبل الثرى والجبـال
كـابرت دهري ثم خلقت يذب من خلفي ديب النمال

(١) الصوت والصدى ص ٢٥ / ٢٦ .

ويقول :

اليوم عندي سنة مُرَّةٌ والعام لا يوصف عندي بحال
كم قد طواني حين لم اطوه عمر شديد الوطء جم النكال
لومت طفلاً خلت اني به معذب المهجة فيما اخال^(١)

ثم وصف نفسه وهو في الثلاثين من العمر قائلاً :

ثلاثون عاماً يالطول بقائنا وبالمقامي فارغ النفس ثاوياً
تعاظمتها لا استزيد بها الهوى واهدرتها ايامها واللياليا
وأوسعتها جداً ولها وحكمة وجهلاً وتذكاراتها وتناسياً
فان ألك حياء في حساب زمانها فقد كنت في معنى الحقيقة فانيا^(٢)
وقال وهو في الخمسين من العمر :

أخسئون عاماً قد طويت كأنها منام توشيه الروى وكذاها
وقد برمت نفسي علائيل عيشها فكيف وقد ولت وأقبل صابها^(٣)

وقال وهو في السابعة والخمسين :

اني الى الموت محجور فما رثي حتى ولا كبدي فيما اكبده
تلك التي بين عيني حين ابذرها زهرا فتأتى المنايا وهي تحصده
وسبعة بعد خمسين مصادرها ماء على رنق ما طاب مورده^(٤)
وهكذا نرى أن بذرة التشاؤم كانت قد بذرت في نفس الشاعر من عهد الشباب ، ثم أخذت تنمو مع الأيام والسنين حتى أصبحت شجرة باسقة تخيم بظلالها على حياته حتى انتهى به الأمر الى اعتزال الناس إلا من بعض أصدقائه الخُلص وخاصة أهله الذين كانوا يترددون عليه بغية اخراجه من هذه العزلة التي فرضها على نفسه . حينما صدر ديوان الشاعر حمزة شحاته يرحمه الله الذي كنت مشاركاً في جمعه وترتيبه بتكليف من صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل مد الله في عمره وحينما صدر هذا الديوان تأخر نشره في الأسواق ، فكان بعض من يعلمون باشتراكى في جمعه وترتيبه يطلبونه مني ، وكنت أجيب هذه الطلبات .

(١) الصوت والصورة ص ٣٢/٣٤ .

(٢) اجنحة بلاريش ص ١١١ .

(٣) اجنحة بلاريش ص ١٣٥/١٣٦ .

(٤) الصوت والصدى ٦١/٦٢ .

وفي ضحى أحد الأيام حضر اليّ من مكة الاستاذ الشاعر / عبدالله جبر وهو يحمل في يده قطعة ورق صغيرة من حسين سرحان يرحمه الله يطلب فيها نسخة من الديوان ، وكان الاستاذ/ جبر يشعر بشيء من الحرج ، وهو يقدم لي هذه القصاصة من الورق ، فقدمها وهو يعتذر عن حسين سرحان ، ويشير الى ما وصلت اليه حاله قلت لا عليك انه من أحق الناس بأن يهدي اليه ديوان حمزة شحاته حتى دون أن يطلبه .
وقدمت اليه النسخة ولكني أدركت في نفس الوقت مقدار ما يعانيه يرحمه الله .
لقد طال بنا الحديث عن شعر حسين سرحان ولكني قبل أن يختم هذا الحديث أود أن أثبت له أبياتاً من قصيدة عنوانها « ايمان وتسييح » يقول في مطلعها :

يا إذا الجلال وذا الجمال وذا الكمال
رب العجائب والغرائب والمـواهب
أبرمت أمرك أي علم غير علمك ؟
فاذا الحقيقة والحقيقة طوع حكمك
الكلون يمخر في العماء أو الهواء
والشهب تبدو في الفضاء أو السماء
والواقف الراسي يـزيد تمدا
والدائر الجاري يـهول سرمدا
وطبيعة مرسومـة لا تنكشف
بـإرادة علوية لا تختلف

ومنها :

سُبُوحُ يا قُدُّوسُ يارب الجنود
لما مضوا في التيهـ وانتـهكوا العهد
هل كان موسى غير عبد من عبيدك
تـركوه واتبعوا الهوى في يوم عيدك
أو كان عيسى يوم أرسل من لدنك
الا نبي جاء بـالانقاذ منك
أو كان أحمد في الصراط المستقيم
الا صبـاح لاح في ليل بهيم
نشأت جوارحه على تمجيدك
ودعت أوامره الى توحيدك

فإذا البرية فوق مفترق الطرق
وإذا العقول على جلالك تفترق

ومنها :

أخذت توحدت الصفات على ظلاله
وتجست سحب الـرغائب من نواله
وبـديع كون من ثراه الى سبائه
رمز عليه في دجاء أو ضيائه
ونختم هذه القصيدة بهذه الأبيات :

جد بالهداية لا حياة بلا هداية
وانف الغواية لا كمال مع الغواية
ياذا الجلال وذا الجمال وذا الكمال
رب العجائب والغرائب والمواهب
والقصيدة مناجاة للخالق وتسبيح بحمده وإجلال لقدرته المختلفة في عجائب الكون ،
وهي من أجمل ما نظم حسين سرحان ، يرحمه الله .
وفاة حسين سرحان :

توفي حسين سرحان يوم الثلاثاء السادس من ذي القعدة سنة ١٤١٣هـ عن عمر يناهز
الثمانين عاماً بعد عزلة طويلة عن الناس ، وبعد أن نحف جسمه من الضنى ، وخيئت على
نفسه مشاعر اليأس والكآبة .
وقد فقدت البلاد بوفاته شاعراً كبيراً تميّز من بين شعراء المملكة بأسلوبه الذي يذكر
القارئ بشعراء العربية الكبار في العصور الزاهية للشعر العربي فكان نمطاً فريداً بين شعراء
عصره .

غفر الله لحسين سرحان ، وتغمده برحمات منه ورضوان .





صَبَاحٌ مُحَمَّدٌ جَبَّالٌ



صالح محمد جمال

صالح محمد جمال

متوسط القامة ممتلئ الجسم في غير اسراف ، أبيض البشرة ، واسع العينين ، اقنى الأنف يطالعك بوجه دائم الابتسام ، تزيّنه لحية لطيفة مخضوبة ، بعد أن سرى اليها الشيب .
ولد الشيخ صالح محمد جمال كما قرأت في مذكراته الشخصية عام ١٣٣٨ هـ في مكة المكرمة وأدخله أبوه مدرسة الفائزين ولكنّ الطفل الصغير ترك المدرسة مرتاعاً بعد أن رأى القسوة التي يعامل بها بعض المدرسين تلاميذهم وكان الضرب في تلك الأيام عادة تكاد تعم جميع المدارس ، الضرب بالعصا أو بالمسطرة على كفّ اليد ، أو وضع الرجلين في الفلكة لمن يعتبرهم المدرسون مستحقين لعقوبة أكبر .

ولم ير أبوه بُداً من إغرائه وتحبيب المدرسة اليه فوعده بقرش كامل يأخذه يومياً إن هو ذهب الى المدرسة التحضيرية القريبة من منزلهم وانتظم فيها ، وفعل الاغراء فعلة في نفس الطفل الصغير ، ولعل اختلاف وجوه المدرسين وربما طريقة تعاملهم مع التلاميذ ، وقرب المدرسة من المنزل كانت من الأسباب التي سكنت روع التلميذ الصغير وحبّبت اليه المدرسة والمدرّسين .

قضى صالح محمد جمال ثلاث سنوات في المدرسة التحضيرية ، انتقل بعدها الى المدرسة الابتدائية فقضى بها عامين حيث شجعه بعض أساتذته فيها الى الانتقال الى المعهد العلمي السعودي الذي أنشئ كمدرسة ثانوية في مكة المكرمة ، وبقي في المعهد العلمي سنتين ، واضطر أن يقطع دراسته بالمعهد ، ليخرج الى المجال العملي بعد أن اضطرته ظروفه العائلية الى ذلك .

كان والد صالح جمال تاجراً ميسور الحال يتجر في بعض المواد الغذائية مع شريك له وفسد الأمر بين الشريكين ، وتعرّثت البقالة فأثّرت على الوالد ، واضطر صالح جمال أن يقطع دراسته المتقطعة ابتداءً ، ليلحق بوظيفة في بيت المال في مكة المكرمة كاتباً للوفيات بمرتب

مقداره واحد وعشرون ريالاً في الشهر ، وهكذا ترك المدرسة وهو في السادسة عشر من العمر ليدخل في سلك الوظائف والموظفين .

كانت الحياة رخيصة وتكاليفها هينة ، وكان المرتب الصغير مفيداً للأسرة وعوناً لها على تكاليف الحياة ، وخلال ستة أعوام تدرج كاتب الوفيات في المحكمة الشرعية الكبرى الى كاتب ضبط أول ، ثم الى كاتب ضبط ثان ، ثم أصبح مساعداً لرئيس كتاب المحكمة الكبرى ، وتدرج الراتب حتى وصل الى ستين ريالاً في الشهر .

وكان الكاتب الشاب موضع ثقة رؤسائه من القضاة فقبوه اليهم ، وأولوه اهتمامهم وكان بحكم عمله في كتابة ما يدور في الجلسات بين المتخاصمين ، وما يوجهه القضاة من أسئلة ، وما يعلقون عليه من اجابات يحيط بسير القضايا في المحكمة .

يقول صالح جمال عن القضاة الذين عمل معهم :

وقد اختصني منهم بالتعليم السيد / محضار عقيل الذي كان اذا استوت القضية وأن أوان الحكم يمتحنني سائلاً : ماهو الحكم الآن . . . ؟

وكان الشيخ محمد زكي البرزنجي هو الآخر يطلعني على النص في كتاب الكشف أو المنتهى وهما الكتابان المعتمدان للحكم على مذهب الامام أحمد بن حنبل في المحاكم .

يقول صالح جمال : وهذا ما أهّلني بعد ذلك أن أشير الى مستند الحكم من النصوص حينما كنت أعد صحيفة الحكم .

يقول صالح جمال : وهو ما لم يسبقني اليه أحد من كُتاب المحكمة في ذلك الزمان ، ولا تزال تلك الصكوك مسجلة بسجلات المحكمة الكبرى في أوائل الستينات وموقعة بختمي الذي أحفظ به الى الآن^(١) .

هذه الوظيفة التي قام بعبائها صالح جمال أكسبته ثقافة لم يكن ليحصل عليها لو لم يتقلد هذه الوظيفة ، ولو لم يكن هو شخصياً مستعداً استعداداً نفسياً للتعلم والتدريب ، وقد بقي يعمل في المحكمة الكبرى عشر سنوات انتقل بعدها في سنة ١٣٦٥ هـ للعمل في الأمن العام مديراً للمستودعات ، فأتاحت له الفرصة لأن يضيف الى عمله الوظيفي عملاً آخر سيكون له أثر كبير في تكوين شخصيته في قابل الأيام .

مكتبة الثقافة :

كان العمل في الأمن العام ينتهي بانتهاء صلاة الظهر ، ووجد الشاب صالح جمال نفسه خالياً بعد ذلك فعمل أولاً وكيلًا للاستاذ / محمد حسين الأصفهاني موزع الصحف المصرية في جدة ، عمل صالح جمال وكيلًا له في توزيع هذه الصحف في مكة المكرمة ، ثم تطورت

(١) مذكرات صالح جمال ص ٨/٧ مخطوط .

الفكرة الى شركة بينهما انضم اليها بعض أصدقائهما فتم تأسيس مكتبة الثقافة ، وحصلت الشركة على حق توزيع مجلات دار الهلال ، ودار أخبار اليوم ، وروز اليوسف ، ومجلتي الثقافة والرسالة ، واتسع العمل ونجح ، ولكن بعض أعضاء الشركة استقال للتفرغ لعمله الخاص ، وبقي البعض الآخر .

وبعدها أقدم الشاب صالح جمال على التفرغ للعمل ، واعطائه كل وقته . استقال من عمله بالأمن العام وتفرغ للعمل في توزيع الصحف ، وأضاف اليها العمل في تجارة الكتب ، وهكذا بدأت مكتبة الثقافة صغيرة متواضعة ، ثم مالبت أن نمت وتطورت فاهتمت بنشر الكتب وتوزيعها .

قامت مكتبة الثقافة بنشر مؤلفات المؤلفين السعوديين الذين لا يستطيعون الانفاق على طبع مؤلفاتهم ، فنشرت ديوان الشاعر المرحوم / طاهر زغشري ، وكتاب تاريخ مكة لأحمد السباعي - يرحمهما الله ، وقد نجح الكتاب الثاني وتكرر طبعه أكثر من مرة ، ولكن الكتاب الأول تعثر توزيعه ، وقد تعلم الناشر صالح جمال من هذه التجربة ما يتطلبه سوق الكتاب ، وما يقبل عليه القراء من الكتب ، وما عنه ينصرفون .

يقول عن ذلك :

ألفت كتاباً اسمه « دليل الحاج المصور » جمعت فيه مناسك الحج والأدعية المأثورة ، وموجزاً لتاريخ مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والكعبة المشرفة ، والمسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، وبعض الآثار في المدينتين المقدستين ، وقامت مكتبة الثقافة بطبعه ونشره وتوزيعه ، وقد طبع حتى الآن أكثر من عشر طبعات ، ولا يزال يطبع .

كما قامت بتحقيق كتاب « الدرة الثمينة في أخبار المدينة » لابن النجار من مخطوط وجدته في مكتبة نسيبي السيد بكر حمدي - رحمه الله - وقامت المكتبة بطبعه ونشره وقد طبع طبعتان . واستأذنت ورثة الشيخ / رشدي ملحس - يرحمه الله - في إعادة طبع كتاب أخبار مكة للإمام الأرزقي وأذنوا لي ، وقامت المكتبة - مكتبة الثقافة - بطبعه ونشره ، وقد جرى طبعه عدة مرات ، ولا يزال يطبع كلما نفذت طبعته .

وقامت المكتبة - مكتبة الثقافة - أيضاً بطبع كتاب « الجامع الصغير لابن ظهيرة القرشي » وهو من مؤرخي مكة المكرمة ، ويتم توزيع هذا الكتاب في مواسم الحج ، ومثله كتاب الحكمة البالغة وهو مجموعة خطب منبرية^(١) .

وقد ذكر الاستاذ / صالح جمال الكتاب الذي جمع فيه مقالاته والذي سماه من أجل بلدي ، وسأتحدث عنه حينما نتحدث عن صالح جمال الكاتب الصحفي .

(١) مذكرات صالح جمال ص ١٢ مخطوط .

صالح جمال الصحفي والكاتب :

هيأت مكتبة الثقافة والعمل فيها لصالح جمال أسباب الثقافة ، واستكمال ما فاتته من أسباب التعليم حينما اضطر الى قطع دراسته ، واشتغل بالعمل الوظيفي ، ثم بالعمل الحر في مكتبة الثقافة ، وكان قبل ذلك شاباً طموحاً يتمنى لبلاده أن تبلغ ما تستحقه من أسباب المجد والرفعة ، وليس مثل القراءة والاطلاع ما يحفز الشباب ويسلك بهم طريق الإصلاح .

عمل الأستاذ/ صالح جمال في جريدة البلاد السعودية أميناً للصندوق ، ثم مديراً للإدارة ثم مشرفاً على الإدارة والتحرير ، وبدأ ينشر مقالاته فيها ، ويكتب في غيرها من الصحف في ذلك الزمان ، وبدأ صالح جمال الكتابة في جريدة البلاد السعودية بتوقيع مستعار ، اختار حرف - الصاد - الحرف الأول من اسمه ليوقع به على الكلمات القصيرة التي تنشرها له الجريدة ، ويقول في تعليل إخفاء اسمه أنه لم يكن على ثقة من جودة ما يكتب ، وقد اختار صالح جمال الكتابة عما يتحدث عنه الناس من المشاكل اليومية التي يعانونها وكان من عناوين الكلمات القصيرة التي ينشرها : أحاديث الناس ، وحديث الجمعة ، وحديث الخميس وكل صباح ، ووجدت هذه الكلمات القصيرة صداها لدى القراء فشجّع هذا على الاستمرار في الكتابة وازدهار اسمه الصريح فيما بعد .

أما الموضوعات التي كان يتحدث عنها صالح جمال فيقول عنها :

كنت أتناول فيها أحاديث الناس الناقدة طبعاً لأي موقف أو عمل جماهيري حكومي أو أهلي كالبليدية أو شركة الكهرباء أو الأوقاف أو المياه ، وأحياناً أكتب مقالات في المناسبة الدينية كالهجرة أو رمضان أو الحج ، وكان يكتب كذلك عن بعض الشخصيات من أعلام المسلمين كالرازي وابن سينا والخوارزمي وغيرهم تحت عنوان عباقرة العرب ^(١) .

أحاديث الناس هذه التي تتحدث عن المشكلات اليومية التي يتعرض لها الناس ، والموجودة في كل مجتمع كانت علامة بارزة من اهتمامات صالح جمال صاحبه من مطلع شبابه منذ أن شرع قلمه للكتابة في الصحف ، واستمرت معه الى أن بلغ الشيخوخة ، ولم يقتصر التعبير عن هذه الاهتمامات على الكتابة في الصحف ، وإنما تحولت الى أعمال ومشاريع اجتماعية تستأثر باهتمام الشيخ صالح جمال في المراكز العديدة التي شغلها فيما بعد ، والتي سنتحدث عنها بعد .

وقد استمر الأستاذ/ صالح جمال يكتب في هذه الموضوعات الاجتماعية التي تصادف الناس في حياتهم اليومية ، وبأسلوب يتسم بالشجاعة والصراحة ، وكنت أقرأ كلما يقع عليه نظري من هذه الأحاديث في الصحف اليومية ، وكنت أعجب دائماً بشجاعته وجهده بما يعتقد أنه حق وصواب .

(١) مذكرات صالح جمال ص ١٦ مخطوط .

ولقد جَرَّتْ هذه الشجاعة عليه بعض المشكلات فان الحق لم يكن ليرضى كل الناس ، ولكنه تحمل هذه الجرائر بايمان من يعتقد أن عليه أمانة واجبة الأداء ، وان أغضب البعض أو جرَّتْ عليه شجاعته المصاعب والمشكلات .

جريدة حراء :

أصدر الاستاذ/ صالح جمال جريدة حراء بعد أن انتهى عمله في جريدة البلاد السعودية التي انتقلت ادارتها الى جدة ولم ينتقل معها ، وكانت حراء تصدر أسبوعية كل يوم سبت ، وكانت تطبع في جدة في مطابع الأصفهاني .

يقول الاستاذ/ صالح جمال عن اصدار حراء مايلي :

اخترت لصدور حراء يوم السبت حيث لا توجد جريدة ، وصدر العدد الأول منها يوم السبت ٦ جمادي الاولى عام ١٣٧٦ هـ ، وكان أخي أحمد « الكاتب الكبير والعلامة الاستاذ أحمد محمد جمال » مساعدي الايمن ، واستعد زميلي بالبلاد السعودية الاستاذ/ عبدالله الداري في التصحيح ، واستعد الاستاذ/ حسن قراز أن يشارك بحكم اقامته في جدة بالاشراف على الطبع ، وكنت انا وأخي أحمد والاستاذ/ الداري ننزل كل ثلاثاء بعد الظهر الى مطابع الأصفهاني لنشرف على توضيب الصفحتين الداخلتين ٢ ، ٣ وكانت الجريدة من أربع صفحات فقط . ونأذن بالطبع ثم ننزل يوم الخميس لتوضيب الصفحتين ١ ، ٤ الحاملة لآخر الأنباء الخارجية ، وآخر الأحداث الداخلية والافتتاحية واجازتها ، ثم انتظار إتمام الطبع واصطحابها معنا الى مكة تمهيداً لاصدارها يوم السبت .

ويقول صالح جمال عن ظروفه المالية يوم اقدمه على اصدار صحيفة حراء :

واذا كان الكاتب الكبير الاستاذ/ مصطفى أمين يقول في مذكراته أنه أصدر صحفاً عدة كان آخرها أخبار اليوم بقرش كان يوفرها من مصروفه الخاص ، فاني قد أصدرت جريدة حراء بدون رأس مال ، فقد كانت مطابع الأصفهاني تطبعها على الحساب ، وكانت ادارة حراء في بيتي ، وكان التوزيع يتم في مكتبة الثقافة^(١) .

واذا كان اظهر حراء في تلك الظروف المالية الصعبة التي ذكرها الاستاذ/ صالح جمال تدل على عصامية الرجل ، واقدامه ، واصراره على النجاح فلا بد أن يذكر بالشكر الأصدقاء الذين ساعدوه في رحلته هذه الشاقة وهم :

أولاً : شقيقه الاستاذ/ أحمد وأصدقاه الاستاذ/ محمد حسين أصفهاني الذي سهّل له الطبع في مطابعه والاستاذ الداري ، والاستاذ حسن قراز الذين ساهما في التصحيح والاشراف بدون أي مقابل ، قوبلت حراء بالترحيب من القراء لأنها كانت تعبر عن أحاسيس الناس ومشاعرهم ازاء المشكلات اليومية التي يعانونها وأمدّها الأدباء والكتاب بكتاباتهم فتسّمت مكانها المرموق في نفوس الناس الأمر الذي دفع مؤسسها الى التفكير في اصدارها

(١) مذكرات صالح جمال ص ١٧ مخطوط .

يومية فقام باستيراد مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة . ولم يمض سوى عام ونصف العام حتى صدرت حراء من مكة المكرمة بعد ان كانت تصدر اسبوعية ، وصدر العدد الأول يوم ١٢/١١/١٣٧٧ .

يقول صالح جمال عن أوليات حراء مايلي :
ولأول مرة تنشئ صحيفة سعودية قسماً خاصاً بها يلتقط بواسطته الأخبار العالمية الطازجة من مصادرها ، ومن مختلف الاذاعات قبل أن تعرف الصحافة السعودية الاشتراك في وكالات الأنباء^(١) .

ويقول كذلك :

صدرت حراء متطورة بالنسبة لصحافة المملكة ، فاستحدثت التحقيقات الصحفية المصورة عن وزارة الداخلية والزراعة بالمملكة ، ومدينة الرياض ، ومستشفيات جدة وغير ذلك من الموضوعات الحيوية التي كان يجريها الاستاذ أنور زعلوك المحرر بحراء^(٢) .

كما استحدثت الزوايا والصفحات الخاصة مثل زاوية طبيبك ، وركن البوليس وركن المزارع ، وضحك مع فنان قديم ، وروحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، ومجتمع الطلبة وصفحة حراء الطبية ، وصفحة الرياضة ، والصفحة النسائية ، ومن أجل صحتك ، وكانت حراء كما يقول صالح جمال :

أول من كتب عن مشكلة لحوم الأضاحي والهذّي واهدارها ووجوب الافادة منها وهي - حراء - أول من طالب بإنشاء مدرسة لتعليم قيادة السيارات كما عالجت موضوع تطويف الحجاج في سلسلة مقالات بأقلام عدد من الكتاب تحت عنوان نحو مستوى أفضل للمطوفين والحجاج . . . (٣) .

دمج الصحف :

لم يمض على صدور حراء يومياً إلا بضعة شهور حتى أصدرت وزارة الاعلام أمراً بدمج الصحف فادمجت حراء والندوة في صحيفة واحدة تصدر باسم الندوة ، وعرفت والبلاد السعودية في صحيفة واحدة ، واشترى الاستاذ/ صالح جمال من الاستاذ/ أحمد السباعي صاحب جريدة الندوة حصته بعد ادماج الصحيفتين فتفرّد بملكيتها واستقل برئاسة تحريرها ، ولم يلبث السباعي أن أصدر منفرداً مجلة قريش ، واستمرت حراء في خطتها القائمة على معالجة المشاكل اليومية للناس منذ باكورة صدورها .

(١) مذكرات صالح جمال ص ١٧/١٨ مخطوط .

(٢) أنور زعلوك هو الآن رئيس تحرير جريدة راي الشعب التي تصدر بالقاهرة .

(٣) مذكرات صالح جمال ص ١٨ .

تحويل الصحف الى مؤسسات :

صدر أمر وزارة الاعلام بتحويل الصحف التي يملكها الأفراد الى مؤسسات صحفية يشارك في كل مؤسسة مجموعة من الناس بدلاً من أن تكون ملكاً لفرد أو أسرة ، واختارت وزارة الاعلام قائمة باسماء الأعضاء المؤسسين لجريدة الندوة كان من ضمنها اسم صالح جمال وأخيه الاستاذ/ أحمد جمال ولكن الأخوين اختارا الاعتذار بعد أن قدّم صالح جمال من قبله قائمة لم تحظ بموافقة وزارة الاعلام ، وانتهى بذلك دور صالح جمال كصاحب صحيفة ، ولكن دوره ككاتب في جميع الصحف التي تصدر في المنطقة الغربية لم ينته فقد استمر يكتب بصورة أسبوعية في الصحف الثلاث الندوة ، والبلاد ، وعكاظ ، وكان في كل ما يكتبه اغما يعبر عن المشاكل اليومية التي يعاني الناس منها في حياتهم اليومية وكان جريئاً كعادته من يوم أن بدأ الى أن توفاه الله .

من أجل بلدي :

وقبل أن أنهي الحديث عن صالح جمال الصحفي والكاتب يجب أن أشير الى كتاب متوسط الحجم ، جمع فيه مختارات مما كان ينشره في جريدة الندوة وأثبت تاريخ النشر ، ورقم العدد في كثير من الأحيان ، والكتاب من منشورات المكتب التجاري في بيروت وتم طبعه عام ١٣٨٤ هـ الموافقة ١٩٦٤ للميلاد ، وهو متوسط الحجم في مائتين وأربعين صفحة من القطع المتوسط .

هذا الكتاب بموضوعاته المختلفة وتواريخ النشر المتقاربة أو المتباعدة تصور اهتمامات صالح جمال الكاتب بالهجوم اليومية اذا صح هذا التعبير للمجتمع الذي يعيش فيه . وبعض هذه الموضوعات حينما يقرأ القارئ يظن أنه يعالج مشاكل يومية مازالت قائمة يتحدث الناس عنها وتستأثر باهتماماتهم ، وهو في كلما يعالجه شجاع صريح ، يجهر برأيه في غير وجل ولا هيبة ، ينشد الحق ، والاصلاح ويتعد عن الطعن والتجريح وقد جرّ عليه أسلوبه هذا الكثير من المتاعب مع الكثير من الناس ، وتحدث هو عن بعض هذه المتاعب في مذكراته الشخصية ، كما أنه تلقى المكافأة عن بعض ما عالجه من الأمور باقتناع المسؤولين بآرائه ، . وأثبت ذلك كله في كتابه هذا من أجل بلدي .

والكتاب في مجمله شهادة حق لمؤلفه ، بشجاعة الرأي والجره بالحق والسعي في الاصلاح والتعبير عن مشاعر المواطنين في غير تزيف ولا مغالاة ، وفي غير ادلال ولا افتخار ، ولمن رغب الاستزاده في هذا الباب أن يقرأ كتاب صالح جمال ، فهو خير من يعبر عن آرائه وعمله . ونكتفي بهذا القدر عن صالح جمال الصحفي والكاتب لتحدث عن صالح جمال في مجال آخر من مجال العمل الاجتماعي الذي لازمه كما قلنا من النشأة حتى الممات .
جمعية البر بمكة المكرمة :

كان الاستاذ/ صالح جمال هو أول من دعا الى انشاء جمعية للبر بمكة المكرمة في مقال نشره في

جريدة البلاد السعودية سنة ١٣٧١ هـ ، وقد لاقت هذه الدعوة استحساناً عظيماً وقبولاً من الناس ، وافتتح التبرع لها معالي الشيخ / محمد سرور الصبان ، وتولى الاستاذ/ عبدالله عريف ، التعريف بأغراض هذه الجمعية التي سميت هيئة صندوق البر في جريدة البلاد السعودية التي كان يتولى رئاسة تحريرها .

كانت أغراض الجمعية اجتماعية ، هي مساعدة الفقراء والمعدمين وخاصة من الأرامل والأطفال على إيجاد السكن المناسب وتقديم العون المادي للأسر المحتاجة ، وكانت دعوتها تقوم على حث الناس على التبرع لهذه الغاية بما يستطيعون ، وحث الموظفين بصورة خاصة على تخصيص مبالغ شهرية من مرتباتهم لهذه الغاية ، وتشكلت الهيئة من الاستاذ/ عبدالله عريف رئيساً .

والاستاذ/ صالح جمال أميناً عاماً .

والاستاذ/ حامد مطاوع أميناً للصندوق .

والأساتذة/ أحمد محمد جمال ، وعمر عبد الجبار ، وعبد العزيز ساب رحمهم الله ، وعبد الرزاق بليلة وعبد العزيز الرفاعي أعضاء .

واتخذت جمعية البر من جريدة البلاد مقراً لها في محلة الشامية ، وأقبل الناس عليها بمدونها بتبرعاتهم ، وساهم الموظفون خاصة بمبالغ تقطعت من مرتباتهم الشهرية وأقامت النوادي الرياضية مباريات خصصت ريعها لصالح الجمعية وحينما أنشأت الدولة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووضعت الأنظمة للجمعيات الخيرية حصلت جمعية البر على تصريح لها بالعمل باسم جمعية البر بمكة المكرمة .

وأعطى الاستاذ/ صالح جمال الكثير من وقته وجهده للجمعية بعد أن أختير رئيساً لها ، واني أنقل هنا من آخر تقرير للجمعية نبذة عن أعمالها .

لقد بدأت الجمعية عملها في سنة ١٣٧٢ مقتصرة على تقديم مساعدات مالية للأسر الفقيرة ، ثم تطورت أعمالها عندما نمت مواردها بأن أنشأت في فترة أزمة طاحنة في المساكن ، أول مجمع خيري سكني في حي الزهراء يحتوي على ٤٥ وحدة سكنية ، وأسماها عمارة التوفيق ، ثم أنشأت مجمعاً آخر بحي المعابدة بجوار مسجد الاجابة يضم خمساً وأربعين وحدة سكنية أيضاً ، وأطلقت عليه اسم عمارة السلامة .

وأخذت تتوالى انشاء المجمعات السكنية على ضوء شدة الطلب ، وتزاحم المحتاجين اليها ، فأنشأت المجمع الثالث بالمسفلة عمارة الفوز ، والمجمع الرابع بجرول « عمارة الأمل » والمجمع الخامس بالتيسير « عمارة التيسير » والمجمع السادس « عمارة السعد » بالنزهة والمجمع السابع « عمارة الصلاح » بالهنداوية ، والمجمع الثامن بالمسفلة وبه ثلاث وعشرون وحدة سكنية .

وتبرع لها المرحوم الشيخ / يوسف زمزمي بعمارة الزاهر بالزهراء ، والشيخ محمد سعيد

المداخ بعمارة الرصيفة بالرصيفة ، وهاتان العمارتان خاصتان بالنساء ، والاستاذ/ عابد عجمي بعمارة العوالي بالعوالي ، وعمارة جبل دфан .

فأصبح للجمعية بذلك عشر مجمعات سكنية تتكون من ثلاث عشرة عمارة مبنية على أحدث طراز معماري تشغلها ٢٧٨ عائلة ، وتتولى الجمعية ادارتها ونظافتها وحراستها وصيانتها .

وقامت الجمعية بمساعدة الشباب الراغبين في الزواج والذين عجزوا عن ايجاد السكن المناسب لظروفهم المالية ، قامت الجمعية بتقديم فرش شقة كاملة لكل عريس يثبت حاجته للمساعدة بعد بحث حالته ، والاطلاع على عقد النكاح ، وعقد استئجار الشقة وقد تقدم لها حتى الآن « كما يقول تقرير الجمعية السنوي » عدد من الشباب ، وجرى بحث حالاتهم كما تم فرش المساكن لهم .

وقد زاد عدد المتقدمين للزواج عن الثمانين .

الى جانب هذه الأعمال العظيمة ، وفي مقدمتها المساعدات العينية من الأرزاق والمساعدات النقدية الى آلاف الأسر الفقيرة بمكة ، وفي آخر احصاء لهذه الأسر بلغ تعدادها ثمانية آلاف وخمسمائة عائلة^(١) .

هذه الأعمال العظيمة التي قامت وتقوم بها جمعية البر بمكة المكرمة ، والمؤلفة من رجال أفاضل من أهل البلد الأمين الذين ساهموا بأموالهم ومجهوداتهم في أعمالها ، واستقبلوا التبرعات لها من المحسنين ، وواصلوا العمل عاماً بعد عام حتى أصبحت الجمعية مثلاً يحتذى في العمل الطيب وتنميته والاستمرار فيه .

كان المرحوم الشيخ / صالح جمال هو أول من أطلق الدعوة لها وواكب أعمالها أربعين سنة منذ بدء وجودها في سنة ١٣٧٢ الى أن توفاه الله وهو يتولى رئاستها عام ١٤١١ هـ .

بدأت الجمعية نبتة صغيرة في باطن الأرض ، ثم نمت حتى صارت شجرة عظيمة يانعة الثمر قوية الجذور ، وامتدت حتى أصبحت حديقة عظيمة تمتد ظلها في أحياء مكة ، ويصل خيرها الى بيوت آلاف الأسر في البلد الحرام .

ولم يقتصر عمل صالح جمال على جمعية البر وحدها ، فقد شارك في مجالات كثيرة من مجالات العمل الاجتماعي في مكة المكرمة ، كان رئيساً للغرفة التجارية الصناعية في مكة المكرمة وكان رئيساً لمؤسسة مطوفي العرب ، وكان رئيساً للمجلس البلدي وكان عضواً في هيئات كثيرة لا مجال لتعدادها ، والى جانب هذا كله كان يدير أعماله الخاصة في مطابع ومكتبات الثقافة وكان يشارك في المناسبات الاجتماعية الكثيرة ، يشارك الناس أفراحهم وأحزانهم ، ولست أدري كيف كان يوزع أوقاته بين كل هذه الأعمال والواجبات التي أكسبته محبة الناس ، وثقتهم ، وقد تجلّت منزلته في قلوب الناس يوم وفاته ، وما تلاها من أيام .

(١) التقرير السنوي لجمعية البر بمكة المكرمة لعام ١٤١٢ . ١٤١٣ هـ - ص ٨/٧ .

وفاة صالح جمال :

كنت مدعواً مع أصحاب شركات نقل الحج الى اجتماع مع معالي وزير الحج والأوقاف الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع ضحى يوم السبت ٢٥ ذي القعدة ١٤١١ هـ ، وفي قاعة الجلوس بالوزارة ، وجدت المرحوم الاستاذ/ صالح محمد جمال حاضراً للمقابلة الوزير في عمل يتعلق بحجاج المغرب وكانت المفاجأة سارة لكلينا ، فكلانا مشتاق للقاء الآخر ، وجلسنا جنباً الى جنب نتحدث ثم دعي الى مقابلة الوزير ، وحينما انتهت المقابلة دعيت مع أصحاب شركات نقل الحجاج للدخول الى قاعة الاجتماعات .

وغادرنا صالح جمال مودعاً الى مكة ، وقبليل المغرب هتف لي أحد الأصدقاء معزياً في وفاة صالح جمال ، أثر حادث مروري في طريق مكة ، لقد شاء الله أن يقود سيارته ، وكان قد تخلى عن قيادة السيارة منذ أعوام وأعوام .

ووقع القضاء الذي لا مفر منه ، وفاضت روحه الطاهرة الى بارئها وهو في الثالثة والسبعين من العمر يرحمه الله تعالى رحمة الأبرار .

توجهت الى داره في مكة معزياً ، وفوجئت بالشوارع المحيطة بمنزله في حي الزاهر مكتظة بالسيارات ، وبحركة المرور وقد توقفت ، فترجلت من السيارة وسرت الى المنزل الذي كانت الجماهير تندفق عليه ، وشققت طريقي الى حيث يجلس أهله وفي مقدمتهم شقيقه ورفيق دربه الصديق العلامة الأديب الاستاذ/ أحمد محمد جمال ، وأبناؤه الدكاترة طارق وحسن وياسر صالح جمال ، والاستاذ/ فائز ، وماهر ، وبقية أهله وأصحابه .

كان الناس وقوفاً في صفوف طويلة متراصة الأمر الذي حداً بآل جمال الى الجلوس من كثرة ما أصابهم من الازهاق ، وكان سيل المعزين لا ينقطع .

لقد حضرت مكة كلها تعزّي في صالح جمال وشارك محبوه وأصدقاءه في المدن الأخرى في الحضور من جدة والطائف وغيرها .

كان هذا الحشد الكبير هو أعظم تعبير عن فداحة المصائب في الرجل الفقيد وكان كل هؤلاء المعزون بهذا الحضور الكبير يعبرون عن المكانة التي كان يحتلها صالح جمال في نفوسهم من المحبة والتقدير .

لقد أحب صالح جمال الناس منذ نعومة أظفاره ، وعبر عن هذا الحب بقلمه ولسانه ويعمله وانجازاته فأحبه الناس وأوسعوا له مكاناً في قلوبهم ، وأثنوا عليه الثناء كله .

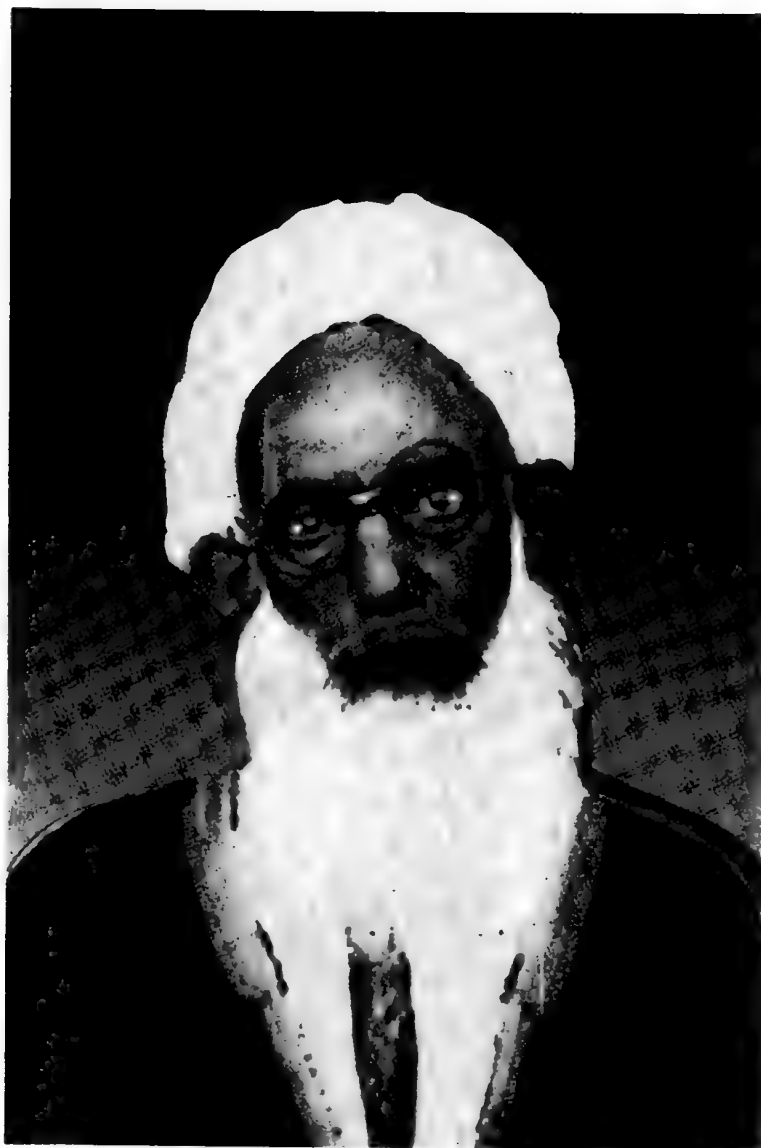
رحم الله صالح جمال ، فقد كان مثلاً للخلق والصدق .

جهر بالحق في شجاعة ورجولة ، وعمل للوطن في دأب وإخلاص ، وقضى حياته في اعانة المحتاجين ، وتيسير أمور الناس ما استطاع ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأحسن جزاءه انه سميع مجيب .





الشيخ عبد الله غازی المکی



الشيخ عبدالله غازي المكي

الشيخ عبد الله غازي المكي

ولد الشيخ الغازي سنة ١٢٩٠ للهجرة كما ذكر ذلك الاستاذ/ عمر عبد الجبار في ترجمته له ، وذكر الشيخ / طاهر الكردي تاريخ ولادته سنة ١٢٩١ للهجرة^(١) وذكر الشيخ محمد نصيف أن الغازي وصل الى الحجاز وهو ابن سبع سنين وتلقى العلم بمكة وبها نشأ^(٢) . وأياً كان الأمر فان الشيخ / الغازي بحكم نشأته بمكة وتعلمه بها ، وقضاء حياته فيها يعتبر عالماً من علماء البلد الحرام .

تلقى الغازي العلم في المدرسة الصولتية بمكة على أيدي الأساتذة الأفاضل من مدرّسيها ، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وأمّ الناس في صلاة التراويح وهو ابن اثنتي عشرة سنة .

واجتمع بكثير من علماء عصره وأخذ الاجازة منهم على ما جرى به العرف في ذلك الزمان^(٣) .

عمل الغازي بعد تخرجه أميناً لمكتبة المدرسة الصولتية بمكة فحُبِّبَ اليه القراءة فعكف عليها واشتغل بها ، وكان الرجل يعيش عيش الزاهدين يسكن في رباط بمكة يدعى رباط محمد باشا ، أو رباط الحنابلة قرب باب الزيادة ، جعل جزءاً صغيراً منه مكاناً لبيع الكحل ، واتخذ كذلك مكاناً مختاراً للقراءة والتأليف .

فرغ الغازي نفسه بعد أن قرأ الكثير من كتب التاريخ مطبوعة ومخطوطة لكتابة تاريخ مكة المكرمة ، فكان دائب الاشتغال بكتابة هذا التاريخ وجمعه وتنسيقه فاستوى له مالم يستولغ غيره حينما ألّف كتابه الموسوعي عن تاريخ مكة الذي سماه « إفادة الأنام بأخبار البلد الحرام » استعرض في هذا الكتاب الضخم كلها كتبه المؤرخون عن مكة وقسّمه الى أبواب كثيرة تحدث

(١) كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ج ١ ص ٢٢/٢٣ .

(٢) انظر نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهور ص ٢١٥ مخطوط .

(٣) انظر سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر ص ٢٠٢/٢٠٣ .

فيها عن عمارة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، وكذلك عن المسجد الحرام ، وعماراته وما مرّ فيه من الحوادث والأحداث ، وشملت أبواب الكتاب تفاصيل دقيقة عن كل ما يتعلق بالبيت المعظم والمسجد الحرام ، عن الحجر الأسود ، والميزان ، وسقف البيت ، والملتمز ، والحجر وكسوة البيت ، وعن المسجد الحرام ودار الندوة وزمزم ، وأبواب المسجد الحرام ومناثره والمدارس والأربطة حوله ، وسيول مكة وجبالها ، وأسواقها ، وآبارها والعيون التي جرت إليها ، وعن كل ما يخطر ببال القارئ من تاريخ مكة عبر القرون ، ولو أردت استعراض الأبواب التي يضمها الكتاب لطلال بنا الحديث .
لذلك فاني أكتفي بوصف مجمل للكتاب .

كتاب إفادة الأنام مخطوط في سبع مجلدات :

المجلد الأول : يقع في سبعائة وثمان وأربعون صحيفة في كل صحيفة ستة عشر سطراً ، وفي نهايته هوامش تتكون من خمس وثلاثين صفحة بعضها خالٍ من الكتابة ، وهذا المجلد يحتوي على مباحث تتعلق بالكعبة المعظمة والبيت الحرام وما وقع فيه من أحداث عبر التاريخ وعن حارات مكة وأسائها مما لا يتسع المقام لتفصيله .

المجلد الثاني : ويقع في ستمائة وواحد وثمانين صحيفة في كل صحيفة اثني عشر سطراً ، وفي نهايته هوامش تتكون من ثلاثين صحيفة بعضها خالٍ من الكتابة .

وهذا المجلد يحتوي على مباحث تتعلق بآماكن المناسك كعرفة ، ومزدلفة ومنى ، كما يتحدث عن شعاب مكة ، وضواحيها ، وعن مقابر مكة والمدفونين بها من الصحابة والتابعين والعلماء وأعلام الرجال ومواضع دفنهم .

كما يتحدث عن العيون والبرك والمساقى والمطاهر ، والأربطة والمدارس الموقوفة بمكة المكرمة ، وأسماء مؤسسيها والموقوف عليها والأحداث التي وقعت في هذه الأوقاف عبر القرون ، كما يتحدث عن سيول مكة ، والأمطار التي نزلت عليها وتأثيرها على الناس في أوقاتها والعواصف والرعود ، وما الى ذلك عبر القرون .

كما يتحدث هذا المجلد عن الغلاء وأسعار الطعام والأوقات التي شحّ فيها وما الى ذلك ، ويتحدث كذلك عن الأوثبة والطواعين التي حصلت في الحجاز ، ثم يتحدث عن قطع الطريق من قبل الأعراب وما يتعرض له الحجاج من النهب والفتك والقتال الذي وقع بسبب ذلك ، وفي النهاية يتحدث المؤلف عن المكوس والضرائب التي فرضت على البضائع الواردة الى جدة ومقدار جبايتها ، وما كان يأخذه الملوك منها ، وما يخصّ شريف مكة فيها .

المجلد الثالث : ويقع في أربعمائة وواحد وخمسين صحيفة يتكون بعضها من ثلاث عشر سطراً ، والبعض الآخر من اثني عشر سطراً ، ويتبع هذه الصفحات ملحقات وهوامش تتكون من مائة وسبعين صحيفة ، ويخطّ يختلف عن الخط الذي كتب به الكتاب الأصلي ،

وفي هذه الملحقات تطرق المؤلف الى مباحث أخرى تتعلق بتاريخ اليمن ونجد ، والبحرين ، وقبائل العرب وغيره مما يخرج عن تاريخ مكة والحجاز الى تواريخ البلاد العربية المجاورة . ويتحدث المجلد الثالث عن المحامل التي كانت تصل الى مكة مع حجاج مصر والعراق والشام واليمن ، والصدقات التي رتبها السلاطين والملوك لفقراء الحرمين ، وعن حوادث أخرى متفرقة في مكة ، ثم يتحدث المؤلف في هذا الجزء عن حج الملوك والسلاطين ، وينتهي هذا المجلد بحج خديوي مصر عباس حلمي سنة ١٣٢٧ هجرية وقدم السلطان وحيد الدين آخر خلفاء سلاطين العثمانيين سنة ١٣٤١ للهجرة .

الجزء الرابع : ويقع في ثلاثمائة وثلاث وخمسين صحيفة كل صحيفة ثمانية عشر سطراً ويحتوي هذا الجزء على ولاية الشريف الحسين بن علي مكة من قبل الدولة العثمانية ، ثم قيامه بالثورة عليها ، وأحداث هذه الثورة ، ويشتمل هذا الجزء على تاريخ الدولة الهاشمية في الحجاز الى سنة ١٣٤٢ ، وقد أتبع المؤلف هذا الجزء بخمس صفحات سجل فيها قصيدة شاعري الشام خير الدين الزركلي ، وشفيق جبري ، وكلتا القصيدتين موجهتان الى الشريف الحسين بن علي بعد خروجه من الحجاز ، وتولي السلطان عبدالعزيز بن سعود العرش ، ومطلع قصيدة الزركلي :

صبر العظيم على العظيم جبار زمزم والخطيم
وهي قصيدة مشهورة ، ومنشورة في ديوانه .
ومطلع قصيدة شفيق جبري :

ماذا جنيت فأنت اليوم مسلوب تاج الملوك وأنت اليوم مغلوب
الجزء الخامس : يقع في ثلاثمائة وخمس وستين صحيفة كل صحيفة حوالي عشرين سطراً ، ويضم بقية تاريخ الدولة الهاشمية في الحجاز وما أصدرته من نظم ، كما يضم الخلاف بين الشريف الحسين والسلطان عبدالعزيز ، والحرب التي وقعت بينهما وتنازل الشريف الحسين عن العرش لابنه علي ، ومغادرته جدة ، وكذلك عن أحداث الحرب بين الشريف علي والسلطان عبدالعزيز واتفاق الطرفين على تسليم البلاد للسلطان عبدالعزيز ، وما قامت به الحكومة السعودية من أعمال .

وينتهي الجزء الخامس بأحداث سنة ١٣٤٩ للهجرة .

الجزء السادس : يقع في ٧٣٥ صحيفة كل صحيفة فيها ستة عشر سطراً ، ويتحدث هذا الجزء عن ولاية مكة من بعد فتح النبي صلوات الله وسلامه عليه لها ، وولاتها في عهود الخلفاء الراشدين من بعده ، وفي الخلافة الأموية والعباسية ، كما يتحدث عن ولاية مكة من الأشراف ، والحوادث التي وقعت بينهم ، وكذلك عن الحوادث التي وقعت بمكة بين الأشراف ، وجيوش الدول التي كانت تحكم الحجاز أو تتطلع لولايته كالمصريين

والعثمانيين ، وكذلك عن استيلاء الدولة السعودية الأولى على الحجاز ، والحرب بينهم وبين محمد علي باشا والي مصر ، والأحداث التي وقعت بعد ذلك في مكة في العهد العثماني .
وتنتهي بأخبار الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦ للهجرة .

المجلد السابع : ويقع في سبعمائة وست وخمسين صحيفة تتكون كل صحيفة من ثمانية عشر سطراً ، ويتحدث المؤلف في هذا الجزء عن حدود بلاد العرب وتقسيمها وقبائلها كما يتحدث عن بلاد اليمن وأوديتها وزراعتها ، وحكامها من أول ائمة الزيدية ، وأحداث اليمن السياسية مع الدولة العثمانية الى أن يصل الى الامام يحيى حميد الدين ، كما يتحدث عن السلطنات اليمنية واحتلال الانجليز للمحميات التسع ، ثم يتحدث عن أبها وبلاد عسير ، وعلاقة آل عايض بالدولة السعودية ، ودخول الجيش السعودي أبها في سنة ١٣٤٠ ، ويتحدث المؤلف عن الأدارسة ، وابتداء دولتهم والحرب التي وقعت بينهم وبين الدولة العثمانية ، ثم انضمام الأدارسة الى الدولة السعودية وتسليم البلاد لها ، ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن بلاد حضرموت وقبائلها وسكانها وأحوالهم ، ثم يتحدث عن البحرين ومدنها واستخراج اللؤلؤ منها وحكامها والأحداث التي وقعت فيها ، ثم يتحدث المؤلف عن الكويت وأحوالها وولاية آل الصباح لها ، وما وقع بين أمراء آل الصباح ، وطلب الشيخ مبارك الصباح الحماية الانجليزية ، والأحداث السياسية التي وقعت بها ، ثم يتحدث المؤلف عن بلاد نجد وحائل وعن أمراء آل الرشيد والأحداث التي وقعت بينهم الى حين استيلاء السلطان عبدالعزيز بن سعود على حائل ، ثم يتحدث المؤلف عن القصيم وعن مدن نجد وقراها وعن الاحساء والقطيف والعقير ، ويتحدث المؤلف كذلك في هذا الجزء عن أمراء آل سعود والأحداث التي وقعت بينهم ، واستيلاء آل الرشيد على الرياض وخروج الامام عبدالرحمن بن فيصل من نجد ، ثم عودة النجديين الى الرياض بقيادة الأمير الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، وانتصاره على آل الرشيد ، وعن علاقة ابن سعود بالأتراك والانجليز .

ثم يعود المؤلف بعد ذلك فيتحدث عن العرب البائدة والعرب العاربة والمستعربة وعن عادات العرب في الجاهلية ، وعن علوم العرب القديمة كالقيافة والفراسة وقصص الأثر وما الى ذلك .

ثم يتحدث المؤلف عن أسواق العرب ، والأودية والجبال ، ويعود المؤلف بعد ذلك للحديث عن طريق قوافل الحج من مصر ، ومن دمشق ومن القدس الشريف ، ومن صنعاء ، ومن العراق ، والرياض والكويت ، ثم يتحدث عن طرق المدينة الى مكة وطريق ينبع الى مكة ، والقبائل التي تسكن في هذه الطرق .

ثم يتحدث المؤلف عن سكان مكة بعد انتشار الاسلام من الأشراف والسادة والعائلات المشهورة .

ويتحدث كذلك عن أخبار مدينة جدة والأحداث التي وقعت بها ، ثم يتحدث عن الطائف وقراه وحصونه ومساجده .

ويختتم الكتاب بذكر من دفن بالطائف من الصحابة والفضلاء والأمرء ، ويعتبر هذا المجلد السابع هو خاتمة موسوعة الشيخ عبدالله الغازي الكبيرة .

أسلوب التأليف :

أتبع المؤلف في كتابه هذا أسلوباً قد يكون جديداً بالنسبة لعصره ، وطريقة المؤلفين من قبله ، فهو يقسم الكتاب الى أبواب كثيرة ، يتحدث في كل باب منها عن قسم معين لا يتعداه الى غيره ، ويجمع في هذا القسم ما وصل اليه من كتابات المؤرخين قبله ويذكر أسماء الكتب التي نقل عنها ، وأسماء مؤلفيها .

فاذا تحدث مثلاً عن الحجر الأسود ، ذكر ابتداء وضعه في مكانه بيد الخليل ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وما ذكره المؤلفون قبله عن هذا الحجر ، ونزول جبرائيل عليه السلام به من الجنة ، ثم يذكر تاريخ الحجر الأسود ، وكيف اختلف القرشيون بسببه ثم وضع النبي صلوات الله وسلامه عليه في موضعه بعد أن جعل القبائل المختلفة تشترك في حمله ، وما فعله ابن الزبير بعد هدم الكعبة ، فأطال الصلاة حتى يتمكن من كلفهم بوضعه في مكانه ليجنب الناس أمر الاختلاف فيه ، ثم يستعرض الحوادث التي مرت بالحجر الأسود واستيلاء القرامطة عليه ، وأخذه معهم الى هجر ، واعادته بعد اثنتين وعشرين سنة ، ويذكر كذلك تفتت الحجر وما جرى من محاولات لاصلاحه عبر التاريخ ، وهكذا لا يترك المؤلف شاردة ولا واردة في الموضوع إلا وينقل ما كتبه المؤرخون عنها .

وهكذا يصنع المؤلف في كل موضوع يتحدث عنه ، فالكتاب بهذا الاسلوب يكاد أن يكون موسوعياً في المواضيع التي يتحدث عنها ، وأجل ما فيه انه يخصص الحديث عن كل موضع في القسم الخاص به من الكتاب ، ولا يتجاوزه الى غيره ، بحيث يسهل مهمة الباحث ، فلا يضطره الى البحث عن هذا الموضوع في أقسام أخرى من الكتاب إلا في الحالات التي تقتضي الربط بين موضوع وآخر ، وهي قليلة جداً ، ولها ما يبررها .

والمؤلف يذكر مصدرة غالباً باسم الكتاب الذي ينقل عنه ، وتارة باسم مؤلف الكتاب ، ولو أنه عمد الى توثيق ما ينقله بأرقام الصفحات وجعل لكل ذلك هامشاً لكان عمله أكمل ، ولكن المؤلف كان يكتب في زمن لم يعرف الكثير من مؤلفيه وكتابه هذا الاسلوب الوثائقي في التأليف ، وأنا شخصياً أعتبر الغازي مجدداً في أسلوبه في التأليف بالنسبة لعصره لاتباعه أسلوب التقسيم الذي تحدثت عنه للمواضيع والأبواب ، ولذكره أسماء المصادر التي نقل عنها ، ولتعمده نقل ما كتبه المؤلفون قبله بأسلوبهم دون تحريف ، وهي امانة لها قيمتها في النقل ، وأود أن أذكر أن هذا الاسلوب يسهل على الباحث الرجوع الى المصادر التي ذكرها

المؤلف ، وقد جربت هذا شخصياً في مراجعة بعض الأبحاث التي ذكرها ، فوجدت الأصل الذي نقل عنه مطابقاً للنقل .

والروايات التي ينقلها الغازي عن المؤرخين قد تحمل بعض الاختلاف فينقلها بنصّها ولا يتدخل فيها بتصحيح أو تعليق ، ولا يبدل برأيه الخاص في الاختلاف إن وجد ، فهو ينقل ما كتبه المؤرخون وينسبه اليهم ، وهو بهذا يشبه شيخ المؤرخين الامام الطبري في طريقته في رواية الروايات وبعض هذه الروايات التي ينقلها الغازي مكذوبة ، وبعضها ملفق لا يقبله عقل ولكنّ الغازي ينقلها بنصّها ولا يبدل رأيه فيها ، ولا يعترض على ما هو منكر وظاهر البطلان .

وأسوق على ذلك رواية ذكرها في حديثه عن الماء في مكة وعن عيون مكة وآبارها .
فقد نقل الغازي عن كتاب « آكام المرجان في أحكام الجان » رواية منسوبة الى الشيخ نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني امام الحنابلة بمكة ، والذي كان يشرف على اجراء ماء العين الى مكة يقول فيها :

أن رجلاً كان يعمل في الحفر فخرج مصروعاً يتكلم ويقول : نحن سكان هذه الأرض ولا والله ما فيها مسلم غيري ، ولا يجلب لكم أن تظلمونا ، وقد أرسلوني اليكم يقولون : لا ندعكم تمرّون بهذا الماء في أرضنا حتى تقدموا لنا حقنا ، قلت وما حقكم . . . ؟ قال : تأخذون ثوراً فترينونه بأعظم زينة ، وتلبسونه ، وترفونه من داخل مكة حتى تنتهوا به الى هنا ، فاذبحوه ، ثم اطرحوا لنادمه وأطرافه ورأسه في بئر عبد الصمد وشأنكم بياقيه ، وإلا فلا ندع الماء يجري الى هذه الأرض ، والرواية طويلة ظاهرة التلفيق وينتهي من منامه بأن الشيخ نجم الدين امام الحنابلة عرض الأمر على كبراء أهل مكة فاشترى ثوراً وزينوه وألبسوه ، وخرجوا يرفونه الى الموضع الذي حدّده رسول الجان لهم ، وقاموا بذبح الثور ، وألقوا رأسه وأطرافه ودمه في البئر التي سمّاها ، فما أن طرحوا رأس الثور وأطرافه ودمه حتى جاء رجل الى الشيخ نجم الدين وأشار اليه بالحفر في موضع عينه له ، فلما تمّ ذلك كان الماء يروج في ذلك الموضع ، واذا طريق منقور في الجبل يمرّ تحته الفارس فلما أصلح هذا الطريق ونظف جرى الماء اليه يسمع هديره ، ولم يكن إلا أربعة أيام ، فاذا الماء بمكة وصار حول البئر مورداً . انتهى .

هذه الرواية منسوبة الى الشيخ شمس الدين الحنبلي ، ويعرّفه ناقل الرواية بأنه ابن القيم الجوزية ، ويصف من روى له الرواية بأنه من أصدق الناس وأعظمهم ديانة وأمانة ، وأهل البلد كله يشهدون له بالديانة والصدق وشاهدوا هذه الواقعة بعيونهم .

ويقول الشيخ الفاسي : بئر عبد الصمد المذكورة في هذه الحكاية لا تعرف الآن ، والعين المشار اليها عين بازان ويغلب على ظني أن ذلك جرى فيها لما عمّرهما أصحاب جوبان ، والله أعلم .

هذه الحكاية أوردها كذلك تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام منقولة عن كتاب « آكام المرجان في أحكام الجان » والرواية هذه وقعت في سنة ست وعشرين وسبعائة التي أجرى الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين الماء الى مكة (١) .

ولقد عجبت من ذكر الغازي هذه القصة وهي ظاهرة الخرافة والتلفيق ، وعجبت أكثر من رواية الفاسي لها فهذا العمل إن صحَّ فهو يدل على أن الخرافة في مكة في ذلك الزمان حلَّت محل العقل ، وأن الشعوذة استولت على عقول الناس فتوالت العقيدة الصحيحة لتفسح المجال لأوهام الدجالين والمشعوذين ، وإلا فكيف تقبل عقول الناس حكاية كهذه الحكاية التي يزُفُّ فيها المكيون ثورا يزَيِّنونه ويلبسونه أحسن الحلل ، ويخرجون به من مكة في موكب بالطبل والزمر ، حتى يوصلونه الى منى فيذبحونه ، ويلقون رأسه وأطرافه ودمه في بئر استجابة لطلب الجن الذين يتحكمون في الماء فيجرونه أو يمنعونه ، ونجد هذه الرواية منسوبة الى نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني أمام الحنابلة المعروف بصدقه وأمانته ويتحسر في نهايتها شمس الدين الحنبلي الذي هو ابن القيم الجوزية على أيام الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب الذي يفرق منه الشيطان ، فيجري ماء النيل دون أن يذبح له عصفور .

ترى هل نسي الشيخ شمس الدين ، والشيخ نجم الدين إمام الحنابلة ، هل نسوا الآية القرآنية الكريمة في حرمة الذبح لغير الله تعالى .
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المِيتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ . . الى آخر الآية الكريمة ؟ وأين علماء مكة من هذا الحدث البالغ الخطورة ؟

هذه الحادثة لم يقبلها عقلي ، ولم أوردها لأنها كانت ظاهرة التلفيق والكذب وقد أيد ذلك عندي حادثة أخرى رواها الشيخ الغازي منقولة عن كتاب بلوغ القرى للعلامة عمر بن فهد ، في سنة ٨٩٠ هـ ، وهي تشبه الحادثة الأولى بنصها ورد فيها اسم المحتسب سنقر الجمالي ووظيفته شاد العماير السلطانية ، وقد خرج الموكب من بيت المحتسب بالشور المزين بالملابس والحلل ، والطبل والزمر الى بركة ماجن في أسفل مكة ، وسار الموكب بعد ذلك الى أعلى مكة يسوق الليل والى بئر المظلمة التي يبدو أنها كانت في أعلى مكة بسوق الليل ، وقد زُفُّ هذا الموكب الخرافي لان مجرى عين عرفة ودبورها عميت على القائمين عليها فأرادوا بتقديم هذا الثور أن يستعينوا على معرفتها ، ولكن ابن فهد الذي روى هذه الحادثة لم يذكر ما أسفرت عنه من نتائج كما وقع بالنسبة للثور السابق (٢) .

إن تكرار هذه الحادثة يدل على أنها من الروايات المكذوبة التي يتداولها الناس في العهود التي تشيع فيها الخرافات والجهل ، ويستولى فيها المشعوذون على عقول العامة وأشباههم ، ولكن الغريب في الأمر ان هذه الخرافات يسجلها مؤرخون أمثال تقي الدين الفاسي ، وعمر بن فهد ، وهما من علماء مكة ومؤرخيها .

(١) انظر ذلك في شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٧ / ٣٥٠ .

(٢) انظر إفادة الأنعام مجلد ٢ ص ٣٠٥ / ٣٠٦ .

لقد امتنعت عن إيراد هذه الرواية فيما نقلته عن الغازي ، لأنني موقن بعدم صحة وقوعها ، ولست أدري إن كان نقل الغازي لها إنما تم على طريقته في النقل على مسئولية المنقول عنهم ، أو أنه كان موقناً بصحة ما ينقل ، والطريقة التي أراها صحيحة هي أنه إذا كان لابد من أداء الامانة في النقل فإن الواجب هو التأكد من صحة ما ينقل عن المؤرخين ، أو إبداء الرأي في ذلك وهو أضعف الإيمان .

أما نقل الاخبار المشوهة والخرافية دون تعليق فهو يقدم للقاريء صورة مشوهة عن زمن الرواية وأهله .

ونعود بعد هذا الاستطراد الى إكمال الحديث عن الغازي وكتابه إفادة الانام .

لقد ذكرنا موجزاً عن المواضيع التي تطرق اليها الغازي في المجلدات السبعة التي تضمها موسوعته الفذة ، والتي بلغت صفحاتها أربعة آلاف وثلاثمائة وأربع وعشرين صفحة ، والتي أوقف حياته على تدوينها ، فقد ذكر معاصروه أن الرجل كان مشغولاً بالكتابة والتأليف في حانوته الصغير وكان لا يمرُّ به أحد إلا ويراه عاكفاً على الكتابة ، والأوراق بين يديه ، والكتب أمامه ، ولم يكن إفادة الانام هو الكتاب الوحيد الذي ألفه الغازي ، ولكنه أهم كتبه وأجمعها .

وقد اخترت أن يكون ما أكتبه عنه مستمداً من هذا الكتاب الهام ، وأسارع فأقول إن هذه الصفحات الكثيرة التي سيقراها القاريء مختارة من المجلدين الأول والثاني ونصف المجلد الثالث ، والسبب في ذلك هو أنني اقتصر في اختياري على أخبار مكة والكعبة المعظمة والمسجد الحرام وما يتعلق بهما ، وحاتر مكة ، ومساجدها ، وجبالها ، وآبارها ، وعيونها ، وبالمشاعر المقدسة وما يتعلق بها عبر القرون ، وأود أن أذكر كذلك أنني لم أنقل عن الغازي كل ما أورده في هذا الصدد وإنما نقلت عنه الاخبار أو الاحداث التي لم ترد فيما كتبه سابقاً في هذا الصدد ، فقد سبق لي أن لخصت كتابي الشيخ حسين باسلامة عن المسجد الحرام والكعبة المعظمة في الجزء الثاني من أعلام الحجاز^(١) كما لخصت كتاب أحمد السباعي تاريخ مكة^(٢) ، وجزءاً من كتاب تاج تواريخ البشر لأحمد محمد الحضراوي^(٣) في الجزء الثالث من أعلام الحجاز .

ولقد كان كتاب إفادة الانام للغازي مصدراً من أهم مصادر السباعي في كتابه تاريخ مكة كما أن الشيخ حسين باسلامة قد استعرض نفس المصادر التي استقى منها الغازي فحرصت أن يكون ما أنقله عن إفادة الانام ، مما لم يسبق لي الحديث عنه في الترجمات التي ذكرتها آنفاً حرصاً على عدم التكرار ، وقد أشرت الى ذلك فيما نقلته .

(١) أعلام الحجاز ج ٢ ص ١٨ / ١٢٤ .

(٢) أعلام الحجاز ج ٣ ص ٧٤ / ١٢ .

(٣) أعلام الحجاز ج ٣ ص ٨٣ / ١٣٠ .

كما انني لم أتعرض للحوادث السياسية التي خصَّص الغازي لها أبواباً كثيرة لان الحديث عنها ليس مكانه هذه الترجمة ، ولكنها ستكون مصدراً هاماً لمن يرغب الكتابة عن تاريخ الحجاز السياسي عبر القرون .

فقد جمع الغازي في إفادة الانام الكثير من أخبار الحوادث السياسية ، ولا شك عندي أنه كان أحد المصادر الهامة للأستاذ أحمد السباعي في كتابه تاريخ مكة .

هناك مسألة أخيرة لا بد من ذكرها . .

كان الغازي حريصاً على أن يسجل كل ما يصل اليه علمه من تاريخ مكة وغيرها من البلاد العربية ، وكان في نفس الوقت شديد الحرص على أن يظل كتابه هذا مخطوطاً لا يُطبع ولا يُتداول بين الناس .

رأيت هذا مسجلاً في النسخة التي تفضل بإهدائها إليَّ صديقنا العلامة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان ، وهي مصورة عن النسخة المخطوطة التي اشتراها كبير جدة الشيخ / محمد نصيف من الغازي ، والتي ذكر في جميع أجزاءها حرص المؤلف الشديد على عدم سماحه بطبعها ، وكان الشيخ محمد نصيف يرحمه الله يؤكد تعهده للمؤلف بذلك . وعلى أي حال فإن رغبة المؤلف قد احترمت حتى الآن .

ولا شك عندي ان الدافع للشيخ الغازي على إبقاء كتابه مخطوطاً ، وعدم تداوله ان الرجل تحدث عن أحداث كثيرة في أزمان مختلفة فهو من مواليد عام ١٢٩١ ، وقد عاصر الاحداث الكثيرة التي وقعت في مكة خاصة ، وفي الحجاز والعالم من حوله عامة ، عاصر العثمانيين ، وأمراء الأشراف في العهود العثمانية ، كما عاصر الدولة الهاشمية في عهد الملك حسين بن علي وابنه الملك علي بن الحسين ، وعاصر كذلك الدولة السعودية من بداية عهدها في الحجاز الى أن توفاه الله سنة ١٣٦٥ للهجرة^(١) وقد ظلَّ الرجل يواصل الكتابة طيلة حياته ، حتى استوى له هذا الكتاب الموسوعي العجيب ، ولا شك عندي ان الرجل خشي أن يكون في بعض ما كتبه ودونهُ ما لا يرضى عنه البعض من الناس ، فأثر السلامة ، وأصرَّ على أن يبقى ما كتبه مخطوطاً لا تصل اليه الأيدي والابصار ، ولا شك عندي انه لو لم يثق ثقة تامة بالشيخ محمد نصيف لما قدَّم اليه كتابه أو باعه له ، فقد قال الشيخ / محمد نصيف ان الكتاب مملوك له ، كتب ذلك في مقدمة المجلد الاول بخطه الذي أعرفه جيداً ، وفي الاجزاء الاخرى .

وفي رأيي ان الكتاب يحتوي على كل ما يتعلق بتاريخ مكة عبر القرون ، وهو جدير بأن ينشر في اجزاء متسلسلة يحمل كل جزء منها موضوعاً خاصاً ، وحجذاً لو تكلفت إحدى الجامعات بتحقيقه والتعليق عليه من قبل رجال متخصصين ، وطبعه ونشره .
فإن الكتاب يعتبر مصدراً هاماً من مصادر تاريخ مكة المكرمة عبر القرون .

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم مجلد ١ ص ٢٢/٢٣ .

مؤلفات الغازي :

ألف الغازي كتباً ذكرها مترجموه وهي :

- إفادة الانام في سبع مجلدات مخطوط وهو الذي نقلنا منه مختارات في هذه الترجمة .
- مجموع الأذكار من أحاديث النبي المختار .
- رسالة في ذم اللعب واللهو سماها « كشف ما يجب من اللهو واللعب » .
- رسالة في الفرائض سماها « بيان الفرائض شرح بدائع الفرائض » .
- فتح القوي في ذكر أسانيد السيد حسين الحبشي العلوي .
- تشييط الفؤاد من تذاكر الاسناد ، أو إرشاد العباد الى طريق الاسناد ، في مجلدين .
- نظم الدور في اختصار نشر النور والزهر ، وهذا الكتاب اختصار لكتاب الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير الذي يضم تراجم لعلماء مكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر ، ولا يزال اختصار الغازي لهذا الكتاب مخطوطاً ، ولكن ظهر اختصار آخر لهذا الكتاب ، وترتيبه وتحقيقه للأستاذ محمد سعيد العامودي ، يرحمه الله ، والأستاذ أحمد علي ، أمد الله في عمره .
- نثر الغرور في تذييل نظم الدرر في تراجم علماء مكة المكرمة ، وفي هذا الكتاب المخطوط أورد الغازي تراجم لعلماء مكة الذين لم يرد ذكرهم في كتاب عبدالله أبو الخير مرداد حيث توفي عام ١٣٤٣ للهجرة ، وهو في نظري مرجع لتراجم علماء مكة في عصر الغازي نفسه لانه يترجم للعلماء الذين عاصروهم في القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة^(١) .
- وبعد فقد أطلنا الحديث عن الغازي وكتابه إفادة الانام ، وآن لنا الآن أن نفتح صفحات هذه الموسوعة لنقدم للقاريء مختارات منها .



(١) انظر ثبت مؤلفات الغازي في سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة ص ٢٠٢/٢٠٣ .

بناء الكعبة في عهد قريش

ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز بناء قريش للكعبة قبل الاسلام ، وقد جاء فيه أن السفينة التي انكسرت قرب ساحل جدة والتي اشترت قريش أخشابها كانت لرجل رومي يتجر الى بندر وراء ساحل عدن .

ونقل الشيخ الغازي في إفادة الانام رواية أخرى نورها بنصها إكمالاً للموضوع قال الاموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم الى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحيشة ، فلما بلغت قرب مرسى جدة ، بعث الله عليها ريحا فحطمتها .

نجار قبطي بمكة يصنع سقفاً للكعبة :

ونقل الغازي عن ابن اسحق أنه كان بمكة قبطي يُعرَفُ بنجر الخشب وتسويته فوافق قريشاً أن يعمل لهم سقفاً للكعبة ويساعده باقوم^(١) .

دعائم الكعبة من العود القافلي :

ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز أن عبدالله بن الزبير جعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجاء في إفادة الانام رواية أخرى نورها فيما يلي :

جاء في ذكر بناء ابن الزبير للكعبة أنه جعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد ، وكانت قريش قد جعلت فيها ست دعائم في صفين .

يقول ليبس البتنوني في الرحلة الحجازية عن هذه الدعائم الثلاث أنها من العود القافلي عليها مقاصير ترتكز على حائط الميزان من جهة ، وحائط الحجر الاسود من جهة أخرى ، وقطر كل عمود نحو ثلاثين سنتيمتراً ، وهي من زمن عبدالله بن الزبير ، وقيمتها أكبر من أن يقدر لها ثمن ويقال أن عليها كتابة محفورة ولكني لم أراها^(٢) .

١ - إفادة الانام مجلد ١ ص ٢١٥/٢١٦ .

٢ - إفادة الانام مجلد ١ ص ٢٦٥/٢٦٦ وانظر الرحلة الحجازية ص ١٠٦ .

أراد السلطان أن يجعل حجارة الكعبة من الذهب والفضة :
نقل الغازي عن السيد أحمد دحلان في السالنامة الحجازية أن السلطان أحمد بن السلطان
محمد بن مراد سليم الثاني بن سليمان الأول فاتح مصر أنه أراد أن يجعل حجارة الكعبة
المعظمة ملبسة حجراً بالذهب وحجراً بالفضة ، فمنعه شيخ الاسلام المولى محمد بن سعد
الدين وقال له : هذا يزيل حرمة البيت ، ولو أراد الله سبحانه وتعالى لجعله قطعة من الياقوت
فكف السلطان عن ذلك^(١) .

لون الحجر الأسود من الداخل :
ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ما أورده المؤرخون عن الحجر الأسود والحوادث التي
تعرض لها ونضيف إلى ذلك ما ذكره الشيخ الغازي إكمالاً للفائدة .
جاء في ذكر عمارة الكعبة الشريفة في العهد العثماني ما يلي :
وفي سابع رجب حضر مولانا الشريف وبعض أبناء عمه وجملة من الأعيان ، وأرباب
العمارة ، وأرادوا خلع الحجر الأسود لتمكينه في محله على وجه الكمال ، فما أمكن لهم ذلك ،
وغاية ما قدروا عليه رفع الحجر الذي فوقه .
يقول المؤلف : وأخبرني مولانا الشيخ عبدالعزيز الزمزمي ، وكان حضر هذا المجلس
معه أنه رأى باطن الحجر ، وأن لونه أشهب ، وأنه مربع كتربيع المفتاح^(٢) .
أقول : كانت عمارة السلطان سليم العثماني للمسجد الحرام بدأت في سنة ٩٨١ للهجرة
واستمرت حتى سنة ٩٨٤هـ ، وقد كانت عمارة عظيمة أبدلت فيها السقوف الخشبية بالقباب
الموجودة حالياً ، وتوفي السلطان سليم قبل إتمامها فأكملها السلطان مراد الثاني^(٣) ونقل
الغازي عن الشيخ محمد بن علان الصديقي وهو يتحدث عن شظايا الحجر الأسود حينما
تفتت بعضها وأخرجت في عمارة الكعبة الشريفة التي حدثت في عام ١٠٣٩هـ .
يقول محمد بن علان وأخبرني الجمال الوقاد أن لون ما انكشف من الأحجار التي تفتت
أخضر زيتي ، وقال غيره فيه شوب صفرة كالمحجب بالزعفران^(٤) .
أقول : العمارة التي حدثت في سنة ١٠٣٩هـ كانت بسبب سقوط الجدار الشامي
للكعبة ، كما سقط بعض جداريها الشرقي والغربي ، وقد فصلنا ذلك في الجزء الثاني من
أعلام الحجاز^(٥) .

(١) إفادة الأنعام مجلد ١ ص ٢٨٠ .

(٢) إفادة الأنعام مجلد ١ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣) انظر أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٤ - ٢٧ .

(٤) إفادة الأنعام مجلد ١ ص ٣٤٥ .

(٥) انظر أعلام الحجاز ج ٢ ص ٧٢ وما بعدها .

ذرع الحجر الأسود :

وجاء في الرسالة التي ألفها الشيخ / محمد بن علان الصديقي الشافعي والتي سماها «العمل المفرد في فضل وتاريخ الحجر الأسود» مايلي :

ولون ما يستتر من الحجر الأسود بالعمارة في قدر الكعبة أبيض بياض حجر المقام ، وذرع طوله نصف ذراع بذراع العمل ، وعرضه ثلث ذراع ، ونقص منه قيراط في بعضه لتأكل ذلك المحل منه ، وسمكه أربعة قراريط^(١) .

أقول : قد يرى القارىء في وصف لون الحجر الأسود اختلافا بين الرواة ، ولعل مرد ذلك إلى وصف كل منهم للألوان حسب تقديره لها ، وحسب الأوقات التي تمت فيها الرؤية وتعرض الحجر للضوء ، ولكن الأوصاف كلها متقاربة في حقيقتها .

إحضار خشب الساج من بيوت جدة لعمارة الكعبة :

ويقول الشيخ / محمد بن علان في حديثه عن عمارة الكعبة الشريفة في العهد العثماني : وفي يوم السبت يوم عيد المعراج ، أصبح ابن شمس الدين من جدة ، وقد عين لسقف الكعبة من خشب الساج من بيوت جدة ، وينتقد ابن علان شمس الدين هذا فيقول :

وارتكب في جمعه ما يجازيه الله تعالى عليه في عرصات القيامة ، فكم أخرج بيتا وهدم وقفا ، والبيت في غنى عن ذلك ، وقد كان بغير سقف في بناء إبراهيم عليه السلام . وقد أطم الله قريشا في الجاهلية أن لا يدخلوا في البيت شيئا غصباً وأن إخراج أذرع منه إلى الحجر أهون من إدخالهم ذلك فيه فانتبه^(٢) .

أقول : لم يقدم الشيخ / بن علان تفصيل ما اغتصب من بيوت جدة تأييدا لما أورده عن ذلك ، أما عن المعراج فإن يوم المعراج هو يوم السابع والعشرين من شهر رجب كما تعارف الناس في تلك الأيام .

عربة يجرها إثني عشر جملا لنقل عمود من الخشب للكعبة :

ويقدم لنا الشيخ بن علان صورة لنقل أحد الأعمدة الثقيلة المراد استعمالها في عمارة الكعبة يقول :

وصل كاتب جدة المحروسة الشهاب أحمد القباني ومعه بعض أخشاب السقف الباقي ووصل «بالبستل» قطعة من دَقْلٍ مَرَكَبٍ من نحو ثلاثة ، حمل من جدة على عجلتين مقدمين ومثلها مؤخرين ، وَجُرَّتْ بِإِثْنَيْ عَشَرَ جَمَلًا ، وأدخلت القطعة من باب الصفا حملها إثني عشر رجلا ، ووضعوها أمام المقام المالكي .

(١) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٣٤٢-٣٤٣ .

(٢) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٣٥٩ .

أما العمودان الباقيان لسقف الكعبة فقد حمل أحدها على خمسة عشر رجلاً وألقيتا عند باب إبراهيم^(١) .

أقول : الدَّقَل بتشديد الدال وفتح القاف ، هو العمود القوي الذي يستعمل في المراكب الشراعية ، والذي يربط إليه الشراع ، ويكون عادة من أقوى أنواع الخشب وأثقلها ليتحمل ضغط الرياح التي تتعرض لها المراكب الشراعية في البحر ، وقد تمَّ نقل هذه العمدان من جدة إلى مكة كما ذكر لنا الشيخ بن علان بعمل مركبة ذات عجلتين في مقدمتها وعجلتين في مؤخرتها ووضعت الأعمدة على هذه العجلة ، وقام بجريها إثني عشر رجلاً حتى أمكن إيصالها إلى المسجد الحرام في مكة .

السلم الذي يصعد به إلى الكعبة :

عقد الشيخ عبدالله الغازي فصلاً عن السلم الذي يصعد به إلى الكعبة ، نلخص ما جاء فيه بما يلي :

كان السلم الذي يصعد به إلى الكعبة في زمن مؤرخ مكة أبو الواليد الأزرقي وهو من رجال القرن الثالث^(٢) من خشب الساج وفيه ثلاث عشر درجة .

وذكر الشيخ محمد بن علي الطبري في الاتحاف : أن المؤيد الجركسي أرسل في سنة ثمانمائة وثمانية عشر ، منبرا حسنا إلى المسجد الحرام ، كما أرسل درجة يصعد عليها إلى الكعبة ، ووصل المنبر والدرجة إلى مكة في موسم العام المذكور .

وقال السنجاري في المنائح :

وفي سنة ألف وتسعين جدد شيخ الحرم درجة الكعبة وجعل لها حاجزاً من خشب وكان أول الدخول عليها يوم الجمعة سادس عشر رمضان من العام المذكور .

والى جدة بمنع وصول درجة مهداة إلى الكعبة :

وجاء في اتحاف فضلاء الزمن : أن رجلاً من أثرياء الهند يدعى حسين حميدان ، أرسل في سنة سبع وعشرين ومائة وألف ، درجة للكعبة ، فامتنع والى جدة سليمان باشا عن قبولها وقال : لا أركبها ، فبقيت الدرجة المذكورة في جدة إلى أن انتهت ولاية سليمان باشا فأرسلها الوالي الجديد محمد المعمار إلى مكة فوصلت إليها وركبت في الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة وألف ، ولكنَّ شريف مكة أمر برفعها ولم يمض على بقائها إلا ثمانية أيام ، وأمر كذلك بإعادة الدرجة القديمة لعدم استئذانه ، واستئذان السلطنة في أمرها ، فحفظت في بيت السادن الشيخ / عبدالقادر الشيبني وأسلوا إلى الأستانة يستأذنون السلطة في الأمر ، ولم يصل الأمر باستعمالها من الأستانة إلا في مفتتح سنة ألف ومائة واثنين وثلاثين بعد أن ظلت حبيسة في بيت السادن خمس سنوات .

(١) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٣٦٣ .

(٢) انظر أخبار مكة للأزرقي صفحة ١٣/١٥ الجزء الأول .

وجاء في وصف هذه الدرجة أو هذا السلم أنه قام بخدمة دهنها وزخرفتها الحاج خضر الشامي بأمر ابراهيم باشا والى جدة حتى صارت نزهة من النزهات وفرحة من الفرحات .

سلم الكعبة :

ويواصل الشيخ / عبدالله الغازي حديثه عن سلم الكعبة فيقول :
وفي سنة ألف ومائتين وعشرين أرسل نواب مدراس محمد منور خان درجة للكعبة من خشب الساج فيها إحدى عشر درجة .

وفي سنة ألف وثلثمائة أرسل إلى مكة نواب رانقون - علي خان - درجة من الخشب ملبسة بالفضة من جميع جوانبها وأحضر هذه الدرجة أو هذا السلم على الأصح مندوب عن نواب رانقون اسمه حسين بخش خان ، ولكن الحكومة في مكة امتنعت عن استعمال هذا السلم الفضي إلى أن يستأذن السلطنة في أمره ، فلما وصل الإذن بذلك جعلت لاستعمال النساء في يوم نوبتهم .

يقول الشيخ / الغازي : ثم ترك استعمالها مرة واحدة ، وبلغت مصاريفها التي صرفت مع ما عليها من الفضة خمسة وثمانين ألفاً وثلثمائة وأربع وستين ريالاً ، ذكر ذلك الشيخ / نجم في أخبار الصناديد^(١) .

أقول أدركت السلم الذي يصعد به إلى داخل الكعبة ، وهو ملبس بالفضة من جميع جوانبه في منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، ووصفه مطابق لوصف السلم الذي أهده نواب رانقون ، ولكنني لا أستطيع الجزم بأنه هو ، وربما كان لدى إدارة الحرم المكي الشريف علم عن حقيقة الموضوع .

عمر بن الخطاب يقسم كسوة الكعبة على الحجاج :

نقل الشيخ / عبدالله الغازي رواية عن الأرزقي مؤرخ مكة قال :
حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيع عن أبيه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان ينزع كسوة البيت فيقسمها على الحجاج^(٢) .
معاوية يقسم الكعبة بين أهل مكة :

وكساها معاوية بن أبي سفيان الديباج مع القباطي وأمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوي ويخلقها بالطيب ، ويلبسها ما جهزوا لها ، فجردها وطيبها ، وطيب جدرانها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية ، وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة وكان عبدالله بن عباس رضي الله عنها حاضراً في المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولا كرهه^(٣) .

(١) إفادة الانام مجلد ١ ص ٤٠١ - ٤٠٧ .

(٢) إفادة الانام مجلد ١ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

(٣) إفادة الانام مجلد ١ ص ٤٤٥ .

عائشة تستفتي في ثياب الكعبة القديمة :

أخرج الأرزقي عن شيبه بن عثمان أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فقال : يا أم المؤمنين : إن الكعبة تجتمع عليها الثياب الكثر فنعمد إلى بئر فنحفرها وندفن فيها ثياب الكعبة ، فلا يلمسها الجنب والحائض ، فقالت عائشة : ما أصبت ، وبئس ما صنعت ، إن ثياب الكعبة إذا نزعَتْ عنها لا يضرها من لمسها من حائض أو جنب ، ولكن بعها ، واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى ، وابن السبيل ، وتصدقْ بثمرها .

ونقل جواز البيع عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد بحث هذا الموضوع علماء الشافعية وأجاز بعضهم البيع ، وفوض بعضهم الأمر فيها إلى الإمام ، وقد استعرض الغازي أقوال الفقهاء في أمر كسوة الكعبة القديمة ثم أورد رأيه فقال :

والذي يظهر لي أن كسوة الكعبة الشريفة إن كانت من قبل السلطان ، من بيت مال المسلمين فأمرها راجع له ، يعطيها لمن يشاء من الشيبين وغيرهم ، وإن كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فأمرها راجع إلى شرط الواقف فيها لمن عيّنها - وإن جهل الشرط عمل فيها بما جرت به العوائد السابقة كما هو الحكم في سائر الأوقاف .

كسوة الكعبة بين أمراء مكة والسادن :

نقل الفاسي أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة مع جانب كبير من كسوتها ، أو ستة آلاف درهم كاملة عوضاً عن ذلك إلى أن رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مغامس لما ولي أمر مكة في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وتبعه أمراء مكة في الغالب .

ثم أن السيد حسن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ، ويهديهما لمن يريد من الملوك وغيرهم ، وقد استمر الأمر كذلك من أمراء مكة بعد السيد حسن عجلان مع الحجبة إلى يومنا هذا انتهى .

أقول : إن كاتب هذا هو السيد تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة المكرمة ، ومنه يفهم ما جرت عليه العادة في أمر الكسوة في زمنه .

كيفية قسم الكسوة بين السدنة :

ونقل الغازي عن الشيخ / حسن الشيبه في الانعام : أن العادة التي تداولت في كسوة الكعبة المعظمة هو أن حجة الكعبة المعظمة من بني شيبه يأخذون الكسوة العتيقة لأنفسهم ويقسمونها بينهم بالسوية ذكورا وإناثاً وأطفالاً ، وأن المولود منهم في يومه يستحق كما يستحق الشيخ منهم ويجعلون لرأسهم أي شيخهم سهمين كما هي عادتهم في تقسيم الهدايا من الزوار بينهم^(١) .

(١) إفادة الانعام مجلد ١ ص ٤٤٥ - ٤٤٨ .

أقول : كانت الكساوي التي تهدي إلى الكعبة حتى من قبل الإسلام تترك عليها ولا تنزع وقد أوردت في الجزء الثاني من أعلام الحجاز : ما ذكره مؤرخو مكة المكرمة عن هذا الأمر^(١) وأوردنا هنا ما ذكره الشيخ / الغازي في إفادة الأنام إكمالاً للبحث ومنه علمنا الرأي الحصيف الذي أفتت به أم المؤمنين في أمر كسوة الكعبة بعد أن تنزع عنها ، وما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في تقسيمها للحجاج ، وما فعله معاوية من تقسيمها بين أهل مكة ، وما ذكره الفقهاء في أمر الكسوة ، وقد أصبحت الكسوة منذ عام ١٣٤٥ تصنع في مكة المكرمة وتصرف عليها الدولة كما هو معلوم .

الوليد بن عبد الملك يحلّي باب الكعبة وأساطينها بالذهب :
ذكر الأرزقي أن الوليد بن عبد الملك أرسل بستة وثلاثين ألف دينار ، يضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب ، وعلى أساطينها ، وعلى الميزاب ، وعلى أركانها من الداخل^(٢) أقول : الوليد بن عبد الملك سادس الخلفاء الأمويين ، وقد اشتهر بحبه لعمارة المساجد ، وصرفه عليها بسخاء وهو الذي بنى جامع بني أمية في دمشق ، كما أدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي الشريف وزاد فيه زيادة عظيمة^(٣) .

الخليفة المتوكل يصفح زوايا الكعبة بالذهب :
وذكر الأرزقي أن حجة الكعبة أرسلوا إلى الخليفة المتوكل العباسي يذكرون أن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها مصفح بالذهب ، وزوايا أخرى مصفحة بالفضة ، وسألوه أن يجعل الزوايا كلها مصفحة بالذهب ، فأرسل المتوكل إلى اسحاق بن - الاسم غير واضح - الصايغ ذهباً ، وأمره بعمل ذلك ، فكسر اسحاق تلك الزوايا وأعادها من الذهب ، وعمل منطقة من فضة ركبها فوق باب الكعبة من داخلها عرضها ثلث ذراع ، وجعل لها طوقاً من الذهب متصلاً بهذه المنطقة .

قال الأرزقي : وكان أسفل الباب عتبة من خشب الساج ففسدت ، وتآكلت فأبدلها بخشب آخر وألبسه صفائح من فضة .

قال اسحاق الصايغ : وكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب وما حلّي به المقام من فضة سبعين ألف درهم^(٤) .

(١) انظر الجزء الثاني من أعلام الحجاز ص ٨٧ - ٩٧ .

(٢) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٤٤٩ .

(٣) أعلام الحجاز ج ٢ ص ١٩٦ - ٢٠٠ .

(٤) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٤٤٩ / ٤٥٠ .

بعض ولاية مكة يقطع الذهب من عضادتي باب الكعبة :
ذكر التقى الفاسي ان بعض ولاية مكة قطع ايام الفتنة عضادتي باب الكعبة وغيرها وسبكها
دنائير ، وصرفها على الفتنة .

الخليفة المعتضد يعيدها ذهباً :

فكتب حجة البيت إلى الخليفة المعتضد بذلك فأمر باعادة ذلك جميعه فاعيدت كما اشار
به^(١) اقول : ولي الخليفة العباسي المعتضد في سنة تسع وسبعين ومائتين وكان خليفة حازما
اعاد للخلافة هيبتها بعد ان ضعف امر الخلفاء ، وفي أيامه ظهر القرامطة ووقعت بينه وبينهم
وقائع كثيرة مبسوسة في كتب التاريخ^(٢) .

اما الفتنة التي ذكر ان بعض ولاية مكة اخذ فيها عضادتي باب الكعبة الذهبيتين وسبكها
دنائير وصرفها على الفتنة فلم أعثر على نص صريح عنها ، ولكن وقعت في مكة قبل خلافة
المعتضد فتنة في سنة مائتين واثنين وسبعين بين أمير مكة ويوسف بن الساج وبدر غلام احمد
الطائي أمير المدينة المنورة ووقع القتال على ابواب المسجد واسر ابن الساج بدرًا ، فغضب له
بعض اهل الحج ، وثاروا على ابن الساج حتى اسروه وساقوه إلى بغداد فرموا كانت هذه الفتنة
هي التي وقع فيها ما اشار اليه الحجة^(٣) .

أم الخليفة المقتدر تلبس اسطوانات البيت الشريف ذهباً :
وذكر الفاسي أن أم الخليفة المقتدر العباسي امرت غلامها لؤلؤا ان يتوجه إلى مكة وان يلبس
جميع اسطوانات البيت ذهباً ففعل ذلك في سنة عشر وثلاثمائة^(٤) .

الوزير الجواد يحلّي اركان الكعبة بصفائح الذهب والفضة من الداخل :
وذكر الفاسي ان الوزير جمال الدين بن محمد بن علي بن منصور المعروف بالجواد الذي تولّى
الوزارة في مصر سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، أرسل صاحبه إلى مكة ومعه خمسة آلاف دينار
ليعمل صفائح الذهب والفضة في أركان البيت من الداخل^(٥) .
أقول : ذكرنا قبلا ان الخليفة المتوكل العباسي أمر بعمل زوايا الكعبة من الذهب ، ولا بد
ان هذه الزوايا الذهبية قد ذهبت بتو إلى القرون او ذهب بعضها فاراد الوزير الجواد ان يعمل
شيئا فيها .

(١) افادة الانعام مجلد ١ ص ٤٥٠

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ٨٦

(٣) تاريخ مكة ١٦٧

(٤) افادة الانعام مجلد ١ ص ٤٥٠ / ٤٥١

(٥) افادة الانعام مجلد ١ ص ٤٥١

هدايا الكعبة :

كنت ذكرت في الجزء الثانى من اعلام الحجاز تلخيصا لكتاب الشيخ حسين عبدالله باسلامه عما ورد من الهدايا للكعبة المعظمة عبر العصور ، وقد وجدت ذلك كله مسجلا في كتاب افادة الانام للشيخ / عبدالله الغازى مع هدايا اخرى لم يرد ذكرها في كتاب الشيخ / باسلامه فرأيت اكتمالا لهذا البحث ان اذكرها هنا ، واود ان اذكر ايضا انه ربما كانت هناك هدايا اخرى كثيرة لم نتطرق إلى ذكرها لان ما بايدينا من كتب المؤرخين لم يتطرق اليها .

الظاهر بيبرس يهدى قفلا للكعبة :

اهدى الظاهر بيبرس صاحب مصر قفلا ومفتاحا للكعبة المشرفة وركب عليها القفل المذكور اقول : الظاهر بيبرس من سلاطين المماليك ، تولى السلطنة في مصر بعد مقتل السلطان قطز في شهر ذي القعدة سنة ٦٥٨ وبالرغم من اشتراكه في مقتل السلطان قطز الا انه كان من المشاركين في حرب التتار وانتصار المسلمين عليهم^(١) .

الكوكب الدرى إلى المدينة المنورة :

جاء في تحصيل المرام : ارسل السلطان احمد بن محمد بن مراد الكوكب الدرى وقال : لا قيمة له ، ولم يسبق لاحد من ملوك الهند والعجم مثله وعلق على القبر الشريف^(٢) اقول : لا قيمة له تعنى ان قيمته لا تقدر بمال .

حجر من الماس من آثار الدولة العثمانية :

وفي سنة الف ومائة وثمانية واربعين قدم شعبان افندى المدينة المنورة ومعه حجر من الماس محفوف باحجار مختلفة مكتوب بصفائح الذهب والفضة ، وهذا الحجر من آثار الدولة العثمانية فوضع الحجر المذكور تحت الحجر الذى وضعه السلطان احمد خان^(٣) .

حجران من الماس ثمنها ثمانون الف دينار :

وقال السيد / احمد دحلان في السالنامة ، ومن مفاخر السلطان احمد انه في سنة اربع وعشرين والف بعث للحجرة النبوية الشريفة فصين من الالماس قيمتهما ثمانون الف دينار ، فوضعها فوق الكوكب الدرى ، وهذا الكوكب تجاه الوجه الشريف ، وهو مسمار من الفضة مموه بالذهب . في رخامة « الكلمة غير واضحة تماما » حمراء ، من استقبله كان مستقبل الوجه

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٥٧

(٢) انظر كتاب دولة الظاهر بيبرس في مصر للدكتور / محمد جمال الدين سرور

(٣) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٥٩ .

الشريف^(١) اقول : ذكرنا في الجزء الثاني من اعلام الحجاز نقلا عن كتاب مرآة الحرمين لابراهيم رفعت باشا ان الحجرين من اللباس المذكورين نقلهما فخري باشا إلى الاستانة خلال الحرب العالمية الاولى ، ولم يعادا إلى الآن^(٢) وفخري باشا هو القائد التركي ووالي المدينة قبيل الحرب العالمية الاولى وحينما قام الشريف الحسين بن علي بالثورة ضد الدولة العثمانية قاوم الثورة مقاومة شديدة وحينما ترك المدينة اخذ معه ذخائر الحجرة النبوية الشريفة وهداياها ومن ضمنها الكوكب الدرّي ، وأحجار الماس التي مرّ ذكرها ، وقال لي بعض الاخوان انها موجودة بمتحف توب كابي في مدينة استنبول ، اما الوصف الذي نقل عن السالنامة للكوكب الدرّي فيبدو لي أنه غير دقيق ، لان المعروف ان الكوكب الدرّي هو حجر كبير من اللباس الثمين لا تقدر قيمته بمال كما ورد في وصفه قبل ، وليس مسمارا من الفضة مموها بالذهب .

البتون يصف الذخائر الموجودة في الكعبة :

نقل الغازي عن الرحلة الحجازية للبتون مايلي :

ومعلق في سقف البيت - الكعبة - كثير مما بقى من الذخائر التي اهديت إلى الكعبة ، ومن ذلك مصباحان ذهبيان مرصعان بالجوهر ، اهداهما للكعبة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٨٤هـ^(٣) .

اقول : حج الخديوي عباس حلمي الثاني خديوي مصر في سنة ١٣٢٧ هجرية ، وكان محمد ليب البتون في ركاب الخديوي والى كتابا سماه الرحلة الحجازية يصف فيه حج الخديوي وزياراته للاماكن المقدسة ، وافرد فيه فصولا تاريخية هامة عن الحجاز وقبائله واحواله وحكامه يعتبر مرجعا هاما من كتب الرحلات الى الحجاز .

الشريف غالب أمير مكة يربّي السادن في داره :

توفي في عام الف ومائتين وعشرة - او اثنتي عشرة - سادن بيت الله الحرام الشيخ عبدالقادر الشيبّي ولم يؤخر من الذكور احدا ابن عمه محمد زين العابدين وهو يومئذ حديث السن ولم يوجد في زمانه احد غيره من السدنة الفاتحين للكعبة المعظمة وكان أمير مكة يومها الشريف غالب بن مساعد فاحتضنه وربّاه في بيته إلى ان كبر ، وعيّن على املاكه عالما من علماء مكة يقال له الشامي ، وولد للسادن الصغير بعد ان شب وتزوج ستة من الولد هم « عبدالقادر ، وجعفر ، وسليمان ، ومحمد ، وعبدالله ، وعلى .

(١) افادة الإنعام مجلد ١ ص ٤٥٩

(٢) اعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٠٣

(٣) افادة الإنعام مجلد ١ ص ٤٦٠ / ٤٦١

يقول الشيخ / الغازي : فأما عبدالقادر وسليمان فانها عقيمين ، واما الباقون فذريتهم موجودون^(١) .

الشریف عون یعزل السادن وینفیه عن مکة :

ذكرنا في الجزء الثالث من اعلام الحجاز خبر الشكوى التي بعثها مشايخ علماء مكة إلى السلطان عبدالحميد ضد الشريف عون أمير مكة المكرمة ، وما صدر به أمره من عزلهم عن الفتيا ونفيهم عن مكة المكرمة ، وقد ذكر الشيخ / الغازي ان سادن بيت الله الحرام الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن زين العابدين كان من ضمن من وقعوا على الشكوى التي بعثت إلى السلطان عبدالحميد وذكر ان ذلك كان في عام الف وثلثمائة واحد عشر ، وان سبب الشكوى هو خلاف حصل بين الشريف عون والوالي التركي عثمان نوري باشا ، وان الامر صدر من الخلافة بعزل المفتين من وظائفهم ونفيهم عن مكة المكرمة عدا الشيخ عبدالرحمن الشيبى فانه لم ينف من مكة ولكنه خرج منها إلى الهدا وهي قرية قريبة من الطائف ، وبقي فيها حتى توفاه الله ، واسند الشريف عون سدانة البيت إلى الشيخ محمد صالح بن احمد بن زين العابدين^(٢) .

اقول : لهذه الحادثة تفصيل اوفى ذكرناه في الجزء الثالث من اعلام الحجاز ، فليرجع اليه من شاء الاستزاده^(٣) .

السلطان عبدالحميد يبني بيتا لمفتاح الكعبة :

سافر الشيخ / على بن محمد بن زين العابدين وكان شقيقا لسادن بيت الله الحرام الشيخ / احمد بن محمد بن زين العابدين سافر إلى دار السعادة - استنبول - في زمن السلطان عبدالحميد خان ، فقابله السلطان واکرمه وامر باعطائه مالا لتعمير بيت لمفتاح الكعبة المشرفة ، وعاد الشيخ على من الاستانة واتفق السدنة ان يبني المنزل وان يسكنه من يتولى السدانة منهم وتمت عمارة البيت ولكن السادن لم يتمكن من سكناه حيث ادركته الوفاة فنقل اليه وغسل وكفن فيه ، ثم خرجت جنازته منه^(٤) .

ماذا فعل القرامطة بالحجر الاسود :

كنت اوردت في الجزء الثاني من اعلام الحجاز قصة دخول القرامطة إلى مكة في شهر ذي الحجة من سنة ثلاثمائة وسبع وعشرين للهجرة ، وما قاموا به من الفظائع من قتل الناس في

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٧٢ / ٤٧٣

(٢) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٧٢ / ٤٧٣

(٣) اعلام الحجاز ٣ ص ٣٤٧ / ٣٤٨

(٤) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٧٣

المسجد الحرام ونهب بيوت مكة ، واقدامهم على اقتلاع الحجر الاسود واخذه معهم إلى هجر ، وقد ذكر الشيخ / الغازي في افادة الانام ان القرمطي ذهب بالحجر الاسود وعلقه على الاسطوانة السابعة من جامع الكوفة ، وانه استمر عنده إلى ان اشتراه المطيع لله او المقتدر العباسي بثلاثين الف دينار ، واعيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة^(١) .

اقول القرمطي اكان يسكن هجر وان الخبر الذي اورده الشيخ الغازي يذكر ان القرمطي علق الحجر على الاسطوانة السابعة من جامع الكوفة ، وان الحجر استمر عند القرامطة اثنين وعشرين عاما حتى أعيد إلى مكة بعد ان اشتراه الخليفة المقتدر العباسي بثلاثين الف دينار ، ولو ان الحجر علق في جامع الكوفة لما احتاج الخليفة العباسي إلى شرائه ، فالكوفة كانت في حكم الخلفاء العباسيين في ذلك الزمان ، ولما استمر الحجر مغيباً عن مكة وعن مكانه من البيت المعظم طيلة اثنين وعشرين سنة والأقرب إلى المعقول ان يكون الحجر قد بقي لدى القرامطة في هجر في السنوات التي غيب فيها عن مكة إلى ان أعيد إليها وقد ذكر الغازي بعد ذلك ان ابوطاهر القرمطي بنى دارا في هجر سماها دار الهجرة ، اراد ان ينقل الحج إليها ، وهذا الخبر يدل على بقاء الحجر في هجر ، وقد فصلنا البحث في هذا الموضوع في الجزء الثاني من أعلام الحجاز كما سبقت الإشارة ، فليرجع اليه من شاء الاستزادة .

تطويق الحجر الاسود :

كنت ذكرت في الجزء الثاني من اعلام الحجاز أن عبدالله بن الزبير رضى الله عنه لما قام ببناء الكعبة وجد ان الحجر الاسود انقسم إلى ثلاثة شظايا من تأثير الحريق الذي وقع في الكعبة فشدَّ ابن الزبير الشظيتين اللتين وجدهما من الحجر بالفضة ، أما الشظية الثالثة فقد بقيت عند بعض آل شيبه دهر^(٢) .

وقد ذكر الشيخ / عبدالله الغازي ماجدٌ بعد ذلك من اعمال الخلفاء والسلاطين في الحجر الاسود فرأيت ايراده اكمالا للموضوع .

هارون الرشيد يطوق الحجر بالفضة :

ثم كانت الفضة التي صنعها ابن الزبير للحجر قد رثت وتزعزعت حول الحجر الاسود ، حتى خافوا على الركن ان ينقض ، فلما اعتمر أمير المؤمنين هارون الرشيد في سنة تسعة وثمانين ومائة امر بالحجارة التي بينها الحجر الاسود فنقبت بالالماس من فوقها ، ومن تحتها ، ثم افرغ فيها الفضة وبقي الحجر كذلك إلى ان قلعه القرامطة ، ولما أعيد الحجر في خلافة المطيع - الصحة في خلافة المقتدر العباسي - جعل له طوق ثم جدد مرارا .

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٩٥ وانظر الجزء الثاني من اعلام الحجاز ص ٨٠/٨٤

(٢) انظر تفصيل ذلك في اعلام الحجاز ٢ ص ٦٥/٦٦

السلطان عبدالمجيد يطوق الحجر بالذهب :

ثم في سنة ألف ومائتين وثمانية وستين بعث السلطان عبدالمجيد العثماني طوقا من ذهب صحبة الشريف عبدالمطلب في ذي القعدة من ذلك العام ، يقول الغازي وذلك الطوق بحسب التخمين نحو ألف دينار ، ثم رُكِّبَ بعد ان ازيلت الفضة ومكتوب فوقه « بسم الله الرحمن الرحيم » ويقول الغازي نقلا عن الحضراوي في كتاب نزهة الفكر :

ولم يعلم ان الحجر الاسود قد طوق بالذهب قبل ذلك ، ويصف الحضراوي طوق الفضة الذي كان مطوقا به الحجر بقوله : كان في غاية الاتقان من التنقيش ومكتوب حوله آية الكرسي ، وبعض آيات قرآنية ، ويقول كذلك ان طوق الفضة هذا ارسل إلى الاستانة بعد ان حل محله طوق الذهب الذي ارسله السلطان عبدالمجيد .

ونقل عن الحضراوي ان وزن هذا الطوق الذهبي عشر اقات ، ولعل الصحة ان وزنه عشر اوقيات او ان ذلك خطأ من الناسخ لكتاب الحضراوي ويقول الحضراوي كذلك :

واصل ذهب هذا الطوق من كنز وجد بمكة في شعب اجياد^(١) .

اقول : كان الشيخ / احمد الحضراوي من معاصري هذه الفترة التي ارسل فيها السلطان عبدالمجيد الطوق الذهبي للحجر الاسود فقد ولد الحضراوي سنة ١٢٥٢ هـ بالاسكندرية وهاجر مع والده إلى مكة وهو ابن سبع سنين ، فروايته عن الطوق الذهبي الذي ارسله السلطان عبدالمجيد هي رواية المشاهد المعاصر للحدث ، ولكن ما لفت نظري في رواية الحضراوي قوله : ان هذا الذهب اصله من كنز وجد في شعب اجياد بمكة المكرمة فهل ارسل هذا الكنز الذهبي إلى الاستانة وامر السلطان عبدالمجيد بصنع الطوق الذهبي منه ؟ ويقول الحضراوي : ان السلطان عبدالمجيد ارسل بميزاب للكعبة مصفحا بالذهب الخالص وهو بقية ذلك الذهب الذي وجد في شعب اجياد .

ومن المهم ان نذكر ان الشيخ / الغازي يذكر الروايتين ولا يرجح بينها ولا يعلق عليهما وذلك اسلوبه في ايراد الرويات التي يذكرها .

تغيير الفضة المحاطة بالحجر الاسود في زمن السلطان رشاد :

وفي سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة وألف غيرت الفضة المحاطة بالحجر الأسود ، وذلك في خلافة السلطان محمد رشاد خان ابن السلطان عبدالمجيد خان^(٢) .

أقول : نقلنا ما ذكره مؤرخو مكة عن ارسال طوق ذهبي من السلطان عبدالمجيد للحجر الاسود في سنة ألف ومائتين وثمانية وستين ، والخبر الذي ذكرناه آنفا يذكر أن السلطان محمد رشاد بن السلطان عبدالمجيد غير الفضة المحاطة بالحجر الاسود ، فأين ذهب الطوق الذهبي الذي أرسله والده في عام ألف ومائتين وثمانية وستين ؟

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٥٠٤/٥٠٥

(٢) افادة الانام مجلد ١ ص ٥٠٦

تحلية مقام الخليل ابراهيم عليه السلام :
 جاء في افادة الأنام في الفصل الخاص بمقام ابراهيم عليه السلام ، أن موضع غوص
 القدمين ملبس بالفضة ، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط .
 وروى الأرزقي عن عبدالله بن شعيب بن شبة عن جبير بن شبة قال :
 ذهب ربع المقام في خلافة المهدي ، قال : وهو من حجر رخويشبه السنان فخشينا أن
 يتفتت فكتبنا في ذلك الى المهدي فبعث الينا بألف دينار فصنعنا بها المقام ، أعلاه وأسفله ولم
 يزل ذلك الذهب عليه ، حتى ولي أمير المؤمنين المتوكل على الله فجعل عليه ذهباً فوق ذلك
 الذهب وفي سنة ست وخمسين ومائتين ذكر الحجة لعلي بن حسن العباسي أمير مكة في ذلك
 الزمان أن المقام قد وهى ويخاف عليه ، وسأله أن يجدد عمله ، فأمر بقلع ما على المقام من
 الذهب والفضة ، وضم اليه ذهباً آخر وحلّى المقام بذلك كله .
 وكان ابتداء العمل في المحرم سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان الفراغ منه في ربيع الأول
 من تلك السنة .
 يقول الفاكهي : وكان تحلية مافي الطوقين الذي عمل في المقام بالنجوم ، الفتي مثقال
 ذهب إلا ثمانية مثاقيل .

ذهب المقام يضرب دنائير :
 يقول الشيخ / الغازي :
 ثم ان الذهب الذي حلي به المقام في خلافة المتوكل لم يزل عليه إلى أن أخذه جعفر بن
 الفضل ومحمد ابن حاتم في سنة احدى وخمسين ومائتين ، وضرباه دنائير وأنفقاها على حرب
 اسماعيل العلوي^(١) .
 أقول : كانت ولاية الخليفة المهدي العباسي الذي بعث بألف دينار بين سنتي
 «١٥٨-١٦٨»^(٢) للهجرة ، وكانت خلافة المتوكل ما بين عامي ٢٣٢ و٢٤٧ للهجرة^(٣) .

فتنة العلوي بمكة :
 أما حرب اسماعيل العلوي الذي ظهر بمكة فقد ذكرها الحافظ بن كثير في البداية والنهاية
 ونوجزها فيما يلي :

في سنة مائتين وواحد وخمسين ظهر اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن
 بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة المكرمة فهرب منه نائبها جعفر بن الفضل
 بن عيسى بن موسى ، فانتهب منزله ومنازل أصحابه ، وقتل جماعة من الجنود وغيرهم من
 أهل مكة ، وأخذ مافي الكعبة من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة ، وأخذ من الناس

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥١٧-٥١٨

(٢) امراء البلد الحرام ص ١٤

(٣) امراء البلد الحرام ص ١٨

نحوا من مائتي ألف دينار ، ثم خرج إلى المدينة المنورة ، فهرب منه نائبها علي بن الحسين بن علي بن اسماعيل ، ثم رجع اسماعيل بن يوسف إلى مكة في رجب ، فحصر أهلها حتى هلكوا جوعا وعطشا ، فبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم الرطل بأربعة ، ومشرية الماء بثلاثة دراهم ولقي منه أهل مكة كل بلاء ، فترحل عنهم إلى جدة ، بعد مقامه عليهم سبعة وخمسين يوما فانتهب أموال التجار هنالك ، وأخذ المراكب ، وقطع المسيرة عن أهل مكة ، ثم عاد إلى مكة لا جزاءه الله خيراً عن المسلمين ، فلما كان يوم عرفة ، لم يمكن الناس من الوقوف نهارا ولا ليلا ، وقتل من الحجيج ألفا ومائة ، وسلبهم أموالهم ، ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ، ومن معه من الحرامية ، لا تقبل الله منهم صرفا ولا عدلا^(١) .

ويقول السيد أحمد زيني دحلان في خلاصة الكلام عن اسماعيل هذا مايلي :
تغلب اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم على مكة فمانعه صاحب مكة جعفر بن الفضل وأخذ جعفر ما على المقام من الذهب ، وكان وضعه المتوكل فضربه دنانير ، وصرفه في قتاله ، تغلب اسماعيل على مكة فهرب جعفر ، واستولى اسماعيل على مكة ثم سار إلى المدينة فملكها ثم مات بالجدري سنة مائتين واثنين وخمسين^(٢) .

ويتضح من رواية السيد الدحلان أن أمير مكة جعفر بن الفضل حارب اسماعيل بن يوسف حينما هاجم مكة وخلع ما على مقام ابراهيم من الذهب ، وسكه دنانير ليصرفها في حربه لاسماعيل إلا أن اسماعيل تغلب عليه فاضطر إلى ترك مكة له .

سرقة ذهب المقام :

وذكر الشيخ / سعد الدين الاسفرائيني في كتابة «زبدة الأعمال» انه في سنة تسع وخمسين وسبعمائة في زمان القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الدين الطبري سرق الذهب الذي كان عليه - على المقام - فعمل عليه الفضة^(٣) .

موضع المقام :

ذكرت في الجزء الثاني من أعلام الحجاز أن الملك المسعود بنى قبة حديدية على مقام ابراهيم ، وكانوا قبل بناء هذه القبة ينقلون حجر المقام اذا اشتد الزحام إلى داخل الكعبة أو أحد أركان المسجد وذكرنا كذلك أن هذه القبة أزيلت بكاملها توسعة للمطاف ، ووضع حجر المقام في مكانه الحالي في مواجهة حجر اسماعيل داخل اناء بلوري شفاف يعلوه هلال من الذهب الخالص ، وتم هذا في ١٨ رجب ١٣٨٧ للهجرة^(٤) .

(١) البداية والنهاية مجلد ١ ص ٥١٨

(٢) خلاصة الكلام ص ١٩

(٣) افادة الانام مجلد ١ ص ٥١٨

(٤) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠

ونذكر هنا المراحل التاريخية التي تمت في هذا الموضوع نقلا عن افادة الانام ونوجز ذلك فيما يلي :

ذكر ابن جبير في أخبار رحلته إلى مكة أن حجر المقام لم يكن ثابتا في مكانه ، وانه كان يوضع في موضعه المواجه لحجر اسماعيل ، ويرفع إذا اشتد الزحام فيجعل حيناً في الكعبة المشرفة في البيت الذي فيه الدرجة التي يصعد منها إلى السطح - سطح الكعبة - وإذا وضع في موضعه وضع في قبة من خشب فإذا كان الموسم قلعت قبة الخشب ، وجعلت عليه قبة من حديد ، ذكر ابن جبير ذلك في شهر رجب من سنة تسع وسبعين وخمسمائة وهو يصف اعتناء مكثراً بن عيسى بن فليته أمير مكة حيث قال :

فلما فرغ من الطواف صلى عند الملتزم ، ثم جاء إلى المقام وصلى خلفه ، وقد أخرج له من الكعبة ووضع في قبة الخشب التي يصلي خلفها ، فلما فرغ من صلاته ، رفعت له القبة عن المقام فاستلمه وتمسح ، ثم أعيدت القبة عليه .

أما القبة الحديدية التي صنعها الملك المسعود للمقام فأغلب الظن ان ذلك تم في أوائل القرن السابع الهجري ما بين عامي ٦١٩-٦٢٦ للهجرة ، حيث كان للملك المسعود هذا أحداث في مكة سنذكرها بعد .

وقد وصف الفاسي في شفاء الغرام القبة التي وضع فيها المقام فقال :

أما صفة الموضع المشار إليه فانه الآن قبة عالية من خشب ثابتة قائمة على أربعة أعمدة دقاق حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد من الجهات الأربعة ، ويدخل إلى المقام من الجهة الشرقية ، والقبة مما يلي المقام مزخرفة بالذهب ، ومما يلي السماء مبيضة بالنورة ، وأما موضع المصلى الآن فانه ساباط مزخرف على أربعة أعمدة منها عمودان عليهما القبة ، وهو متصل بها ، وهو مما يلي الأرض منقوش مزخرف بالذهب ومبيض ، ومما يلي السماء مبيض منور ، وأحدث وقت صنع فيه ذلك في شهر رجب سنة ستة عشر وثمانمائة ، واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه بسبب هذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالح صاحب مصر مكتوب في الشباك الشرقي في هذا الموضع بسبب عمارة له في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، والمقام بين الشبابتين الأربعة الحديدية في قبة من حديد ثابت في الأرض ، والقبة التي عليها ثابتة أيضا في الأرض بجصاص مصبوب ، بحيث لا يستطيع قلع القبة الحديد التي فوقه إلا بالمعاول وشبهها ، ولعل هذه القبة الحديدية التي في جوفها المقام الآن ، هي القبة الحديد التي كانت توضع عليه عند قدوم الحاج إلى مكة لكونها أحمل للازدحام والاستلام على ما ذكره ابن جبير .

يقول الغازي : وما عرفت من جعل المقام ثابتا على صفته التي هو عليها الآن^(١) .

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٥١٨ - ٥٢٠

أقول : ونستطيع مما ذكرناه آنفا أن نستخلص الأدوار التاريخية عن موضع المقام وما عمل بشأنه ، ونوجز ذلك فيما يلي :

كان المقام كما ذكر ابن جبير في قبة من خشب فإذا كانت المواسم والازدحام وضعت عليه قبة من حديد ، وكان ينقل من مكانه إلى داخل الكعبة ، ويوضع في مكانه أمام حجر اسماعيل وذلك كان في أواخر القرن السادس الهجري حينما حجَّ ابن جبير عام تسع وسبعين وخمسمائة . ثم بنى الملك المسعود في أوائل القرن السابع بين عامي ٦١٩-٦٢٦ القبة الحديدية وقد وضع المقام بعد ذلك في موضعه أمام الحجر ووضع له شباك من حديد لم يذكر لنا الفاسي مؤرخ مكة من الذي صنعه ، ولكنه يذكر أن الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر قام بعمارة له وكتب اسمه في الشباك الشرقي الذي وصفه الفاسي كما ذكرنا قبل ، كما كتب اسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية الذي صنع أو على الأصح شارك في صنع هذا الشباك الحديد في سنة ست عشرة وثمانائة .

أقول : وقد أدركنا المقام وهو في داخل الشباك الحديدي الذي وصفه تقي الدين الفاسي وعليه القبة الحديدية التي وصفها إلى أن تمت ازالة البناء كله وتم وضع المقام داخل كرة بلورية لها هلال من الذهب في ١٨ رجب ١٣٨٧ كما قدمنا .

الملك المسعود في مكة :

ذكرنا أن الملك المسعود هو الذي بنى القبة الحديدية على مقام ابراهيم عليه السلام ونذكر هنا أن الملك المسعود هو ابن الملك الكامل الأيوبي الذي كان يحكم مصر ، وقد استمد الملك المسعود من قوة أبيه فحكم اليمن باسم أبيه الملك الأيوبي ، وكان يحكم مكة في ذلك الزمن الحسن بن قتادة الذي قتل أباه خنقا ، واستولى على امارة مكة سنة ٦١٧ للهجرة ، واستطاع أن يستصدر مرسوما من الخليفة الناصر لدين الله بتوليته امارة مكة ، وكان الذي حضر بالمرسوم إلى مكة مملوك من ممالك الخليفة الناصر اسمه أقباش .

وقد علم الحسن بن قتادة أن أخاه الشريف راجح بن قتادة اتصل بأقباش وأغراه بنقل امارة مكة اليه بدلا من أخيه الحسن ، وبذل له وللخليفة الناصر أموالا ، فغضب الشريف حسن ، وأغلق أبواب مكة ، ومنع الحاج العراقي من دخولها ، فقاتل أقباش عند باب مكة ، ثم مالبث أقباش أن انفرد عن جنده مصعدا في جبل الحبشي بجوار سور مكة ، ادلالا بمركزه ، وثقة في نفسه .

ويعلل الاستاذ/ السباعي صاحب كتاب تاريخ مكة ذلك بأنه ربما صعد الجبل بمفرده طلبا للتفاهم مع الشريف الحسن .

أحاط جنود الحسن بأقباش واحتزوا رأسه ، وحملوه على رمح ، فنصبه الحسن عند دار العباس بالمسعى ، وانهزم عسكر العراق ، وأحاط بهم جنود الحسن لينهبوهم فمنعهم الحسن من ذلك .

ولكن راجحاً أخو الحسن لم يهدأ له بال ، وأراد الثأر من أخيه الحسن الذي قتل أباه وعمه في سبيل الاستثثار بامارة مكة ، فاتجه إلى اليمن ، وأتفق مع الملك المسعود الذي كان يتولى اليمن باسم أبيه الملك الأيوبي ، وزين راجح للمسعود الاستيلاء على مكة وضمها إلى نفوذ الأيوبيين ، وصل الملك المسعود ومعه راجح بن قتادة في ربيع الأول من سنة ٦١٩ أو ٦٢٠ هجرية وهاجم مكة هجوماً مفاجئاً ، فاشتبك معه المدافعون عنها في المعسى ، وقاوم الحسن وجنوده بعض المقاومة ولكنه رأى أن لا طاقة له بقتال الملك المسعود وجنده ، فخرج من مكة وتركها للملك المسعود .

يقول الاستاذ / أحمد السباعي :

ونهب عسكر المسعود بيوت مكة ، وجردوا المدنيين من ثيابهم وأموالهم ، ونبشوا قبر قتادة وأحرقوا تابوته ، فلم يجدوا الجثة في القبر ، فعلم الناس أن الحسن دفن أباه خفية في مكان سري .

يقول السباعي :

ورؤي الملك المسعود يصعد فوق قبة زمزم ويرمي حمام البيت بالبندق^(١) كما رؤي غلماناه في المعسى يضربون الناس بالسيوف في أرجلهم ، ويقولون : خففوا من سعيكم فإن السلطان نائم سكران ، وكان الدم يجري من سيقان الناس في الطريق بجوار دائرة السلطنة بالمعسى^(٢) .

أقول أنني أشم رائحة المبالغة في حديث المقرئزي عن غلمان المسعود الذين يضربون الناس بالسيوف في أرجلهم ليخففوا من سعيهم لأن السلطان نائم وسكران ، وهل يقول الغلمان عن سيدهم أنه سكران ليسهووا اسمه وسمعته ويعطو الدليل على فسقه في الحرم . . ؟

يقول السباعي :

وأهل موسم الحج في ذلك العام ٦١٩ أو ٦٢٠ فسار المسعود بجيشه إلى عرفات ، ومنع أن تنصب راية العباسيين على الجبل ، ونصب بدلاً منها راية أبيه الملك الكامل ، وكاد أن يشتبك معه أمير الحج العراقي لكنه شعر بقله جنده ، وقيل أنه أباح رفع الراية العباسية قبل غروب يوم عرفة بعد أن خوَّفه بعضهم من سطوة العباسيين .

ثم غادر المسعود مكة بعد فراغه من الحج ، وعاد إلى اليمن بعد أن أبقي بها نائبه عمر بن علي بن رسول ، وثلاثمائة من الجند لحراسته ، وولي راجح بن قتادة بعض الأعمال المتصلة بالبادية ، وقد حاول الحسن بن قتادة استرجاع مكة من الملك المسعود بعد عودة المسعود إلى اليمن فاستنفر القبائل في ينبع ، وسار بهم فلقية نائب المسعود ابن رسول في الحديبية وهزمه ففر إلى بغداد حيث مات بها .

(١) البندق كرات تضع من العلين والحجارة أو الرصاص أو غيرها كما ورد في التمدن الإسلامي ج ٥ ص ١٥٩ .

(٢) الذهب المسبوك للمقرئزي ص ٧٨ .

كما حاول أمير المدينة قاسم الحسيني في سنة ٦٢٢ استخلاص مكة من نائب المسعود فساد إليها بجيش كثيف وحاصرها شهرا دون أن يظفر بطائل .

وتوفي الملك المسعود بمكة في سنة ٦٢٦ حيث قدم لزيارتها فيما لبث أن أصيب بمرض الشلل فتعطلت يده ورجلاه وقاسى ما لا يطاق من الآلام المبرحة ، وكأثما شعر بعظيم جنايته وعرف أن أمواله التي جمعها من الحرام لا تصلح لتجهيزه ، فتصدق عليه أحد المغاربة بمائتي درهم لتكفينه ودفنه .

وقد استمر حكم مكة يتجاذبه ملوك مصر واليمن نحو من ثمانية وعشرين عاما إلى أن استطاع الحسن بن علي بن قتادة الاستيلاء عليها في التاسع من ذي القعدة سنة ٦٤٧ للهجرة وتفاصيل هذه الأحداث في تاريخ مكة للسباعي (١) .

ونعود الآن بعد هذه الفذلكة التاريخية عن الملك المسعود إلى تكملة البحث عن مقام ابراهيم عليه السلام .

تجديد قبة المقام :

ونقل الغازي عن مرآة الحرمين ما يلي :

وقد جددت قبة المقام في سنة تسعمائة للهجرة ، وكذلك في سنة ألف وتسع وأربعين ونقشها بالذهب في سنة ألف واثنتين وسبعين سليمان بك والي جدة من قبل سلطان مصر - الاسم غير واضح - ويقول صاحب مرآة الحرمين :

وقد رأيت مكتوبا بأعلى القبة من الجهة الجنوبية ، أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير إلى الله تعالى سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره في ١٥ رجب الفرد سنة ٩٠٠ .

ومكتوب عليها في الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة :

أمر بتجديد هذا المقام المعظم سيدنا ومولانا السلطان المظفر سليم خان بن السلطان با يزيد خان ، وعلى الجهة الشمالية بقية أجداده سنة ١٠٤٩ (٢) .

الشيخ طاهر الكردي يصف حجر المقام :

وصف الشيخ طاهر الكردي مؤلف كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - وهو من

(١) تاريخ مكة صفحة ٢٣٠ - ٢٣٧ .

(٢) افادة الأمان مجلد ١ ص ٥٢١ / ٥٢٢ .

الكتب الموسوعية عن الكعبة المعظمة والمسجد الحرام - باستثناء الحوادث السياسية التي حدثت في مكة فقد تعتمد عدم الحديث عنها^(٢) .

أقول : وصف الشيخ طاهر حجر المقام بعد أن استأذن من الأمير سعود بن عبدالعزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية وملك المملكة العربية السعودية فيما بعد في فتح المقام لمعينة حجر المقام والكتابة عنه كتابة مشاهد رأى بعينه ، وتمت هذه المعينة في السابع من شهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وسبع وستين ، وقد كتب عنها الشيخ طاهر كتابة وافية في الجزء الرابع من كتابه التاريخ القويم ، ونورد هنا وصف حجر المقام كما شاهده الشيخ طاهر الكردي يقول : وجدنا حجر مقام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مثبتا فوق قاعدة صغيرة من الرخام المرمر بقدر قياس نفس المقام الشريف طولا وعرضا ، وأما ارتفاعها فثلاثة عشر سنتمتر وقد استمسك المقام بهذه القاعدة بواسطة الفضة التي تحيط بنفس المقام مع جزء من هذه القاعدة حتى صار المقام ثابتا فيها ثبوتا قويا بحيث لا يمكن تحريكه قط .

ثم أن هذه القاعدة الصغيرة مثبتة ثبوتا محكما في وسط قاعدة كبيرة من الرخام المرمر ايضا تشبه البركة طول ضلعها من جميع الجهات مترا واحدا ، وارتفاعها من الأرض ستة وثلاثون سنتمرا ولون الرخامين أبيض .

ويحيط بهذه القاعدة الكبيرة صندوق من الخشب كهيئة الهرم الرباعي ، ارتفاعه نحو القامة وليس به منافذ مطلقا سوى الباب الذي يرى منه المقام الكريم ، وهو في الجهة الشرقية . وهذا الصندوق ملبس كله من الظاهر بصفائح الفضة مكتوب عليه من الجهة الشرقية فقط ما يأتي :

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية ، أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .

كتبه الحافظ اسماعيل الزهدي وادرنوي خوجة ، كتبه عام ألف ومائتين وثمان وعشرين . وباب الصندوق مصفح من الظاهر بالفضة ايضا ، وقد كتبت عليه هذه العبارة صاحب الخيرات والحسنات ، سلطان البرين ، وفتح الحرمين الغازي السلطان محمود خان ابن عبد الحميد خان ، دام ملكه سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين .

ويقول الشيخ طاهر الكردي : والذي يظهر لنا من هذه العبارة أن الذي أمر بتبليس هذا الصندوق بصفائح الفضة هو السلطان محمود خان المذكور ، وأما الصندوق من الداخل فهو خشب عادي بلونه الطبيعي لا أثر فيه لكتابة أو نقش ، وهذا الصندوق مغطى كله من قمته إلى الأرض بكسوة من الحرير مكتوب فيها بعض آيات قرآنية كتبها مؤلف هذا الكتاب - طاهر الكردي - سنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين ، وصنعت بدار الكسوة بمكة المشرفة في السنة

(١) انظر ما كتبناه عن هذا الموضوع في ترجمة الشيخ طاهر الكردي في الجزء الثاني من اعلام الحجاز ص ٣١٦ / ٣٣٩ .

المذكورة ومن هذه السنة إلى الآن لم تغير الكسوة ، ثم يحيط بهذا الصندوق الشباك الحديدي المضروب باللون الأخضر من الجهات الأربع .

أما مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام : فهو حجر ليس بصوآن لونه ما بين الصفرة والحمرة ، وإلى البياض أقرب ، ويمكن أن يحمله أضعف الرجال .
ثم يقول :

وفي هذا الحجر الشريف غاصت قدما خليل الله تعالى سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقداراً كبيراً إلى نصف ارتفاع الحجر ، فعمق إحدى القدمين عشرة سنتمترات وعمق الثانية تسعة سنتمترات ، ولم نشاهد أثراً لأصابع القدمين مطلقاً .

فقد انمحي من طول الزمن ومسح الناس بأيديهم ، وأما موضع العقين فلا يتضح إلا لمن دقق النظر وتأمل ، وحافة القدمين الملبستين بالفضة ، أوسع من بطنهما من كثرة مسح الناس بأيديهم .

ويقول الشيخ طاهر عن قامة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ما يلي :
ولقد كان طول سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه كطول الرجل العادي في زماننا لا بالطويل ولا بالقصير الخ . . (١) .

أقول : ويفهم مما ذكره الشيخ طاهر الكردي أن السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان أمر بتلبس صندوق المقام بالفضة عام ألف ومائتين وثمان وعشرين .
والواقع أن أمراء المسلمين وسلاطينهم وملوكهم كانوا يولون العناية بالمقام وغيره من الآثار الشريفة المقدسة بدافع من إيمانهم وشعورهم بوجوب المحافظة عليها على مدى العصور والأزمان .

مفتاح المقام يحفظ عند السادن :

ورد في الإتمام على اعلام الأنام ما يلي :

مفتاح مقام ابراهيم عليه السلام عند السدنة بني شيبه الفاتحين للكعبة المعظمة ويضعون مفتاحه مع مفتاح الكعبة المعظمة في كيس واحد ومحل واحد (٢) .

السلطان سليمان يكسو حجر المقام :

يقول الغازي : أنه منذ ما رتب السلطان سليمان خان كسوة الكعبة المعظمة ، رتب أيضاً

١ - التاريخ القويم لمكة بيت الله الكريم الجزء الرابع ص ١٠ - ٢٦ .

٢ - افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٢٢ .

«للمقام» في كل سنة كسوة ، وستارة معمولة مثل الحزام ، وستارة في باب الكعبة المعظمة بالاسلاك الفضية المموهة بالذهب^(١).

وفي الرحلة الحجازية للبنتوني ما يلي :
ولمقام ابراهيم كسوة من الحرير المزركش بالقصب تأتي اليه سنويا من مصر مع كسوة الكعبة^(٢).

المهدي يقطع خيفا لعبدالله بن عثمان المحبي :
جاء في تاريخ الأزرقى : حدثني غير واحد من مشيخة أهل مكة قال :
حج المهدي أمير المؤمنين سنة مائة وستين فنزل دار الندوة ، فجاء عبدالله بن عثمان المحبي بالمقام - مقام ابراهيم - في ساعة خالية نصف النهار - مشتمل عليه - فقال للحاجب :
اأذن لي على أمير المؤمنين ، فإن معي شيئا لم يدخل على أحد قبله ، وهو يسر أمير المؤمنين فأدخله الحاجب على المهدي ، فكشف عن المقام ، فسر به المهدي وتمسح به وسكب فيه ماء ثم شربه ، وقال له اخرج وارسل المهدي إلى بعض أهله فشربوا منه وتمسحوا به ، ثم ادخل عبدالله بن عثمان على المهدي فأحتمل المقام ورده مكانه .
وأمر المهدي بجوائز عظيمه لعبدالله بن عثمان وأقطعه خيفا «بنخلة» يقال له القويعة فباع عبدالله بن عثمان الخيف من منيرة مولاة المهدي بعد ذلك بسبعة آلاف دينار^(٣).
اقول : الخليفة محمد المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ولي الخلافة في سنة ١٥٨ للهجرة بعد وفاة ابيه الخليفة المنصور ، وتوفي المهدي سنة مائة وثمان وستين^(٤) ويفهم مما ذكره الارزقي أن حجر المقام في ذلك الزمن لم يكن في مكان ثابت ، وانما كان ينقل من مكانه كما سبق ايراده

رومي يحاول سرقة حجر المقام :
جاء في الجامع اللطيف : ان رجلا يهوديا كان بمكة يقال له جريج فأسلم ، فقصد المقام ذات ليلة ، فوجد عنده ، فأراد أن يخرج به إلى ملك الروم فأخذ منه وقتل^(٥).
أقول : أوردنا ما ذكره المؤرخون عن مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام للاحاطة بالأدوار التاريخية التي مرت على حجر المقام الذي قام عليه الخليل صلوات الله وسلامه عليه حين بنائه للكعبة المعظمة وقد أدركنا المقام وهو موضوع في مكانه في مواجهة حجر اسماعيل داخل غرفة ذات شبابيك من الحديد المدهون باللون الاخضر تعلوه القبة التي وصفها مؤرخو مكة ، ثم ما

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٢٢ .

(٢) افادة أنام مجلد ١ ص ٥٢٣ .

(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٢٣ .

(٤) خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام ص ١٤ .

(٥) الهداة الأنام مجلد ١ ص ٥٢٤ .

انتهى إليه امره في الوقت الحاضر بعد وضعه داخل اناء بلوري يعلوه ، هلال ذهبي في الثامن عشر من شهر رجب عام ثلاثمائة وسبع وثمانين وألف للهجرة ، كما ذكرنا ذلك سابقا ، وسيرى القاريء صورة للحجرة التي كان يوضع بها المقام قبل وضعه داخل هذا الاناء البلوري ، اكمالا للصورة التي كان عليها قبل

عمارة المطاف :

ذكرنا في الجزء الثاني من اعلام الحجاز أن عبدالله بن الزبير فرش الأحجار في المطاف بمقدار عشرة اذرع حين عمارته للكعبة المعظمة سنة خمس وستين للهجرة (١). وقد أورد الشيخ / عبدالله الغازي شيئا عن العمارات التي وقعت في المطاف بعد ذلك فرأيت ايرادها اكمالا للبحث :

ذكر الفاسي في شفاء الغرام مايلي :

عمارة الرخام الذي في المطاف تم ذلك على دفعات حتى صار على ما هو عليه اليوم ، وكان مصيره هكذا في سنة سبعمائة وستة وستين ، ومن عمره المستنصر العباسي سنة ستمائة واحدى وثلاثين .

ومن عمره الملك شعبان صاحب مصر .

ومن مبرات السلطان سليمان تغيير بلاط المطاف القديم وتجديده ببلاط جديد أي رخام على يد أحمد حليبي في سنة تسع وخمسين وتسعمائة ذكره في درر الفوائد ، وفي تاريخ القطبي ، وأما عمارة المطاف الشريف فوقع في سنة احدى وستين وتسعمائة وهذه هي عمارة السلطان سليمان خان .

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وأربعين وثمانمائة وفيها في سادس عشر شوال أذيب الرصاص ، وجعل بالحفر التي بأرض المطاف (٢).

أقول : ان عمارة ملوك المسلمين وأمرائهم للمسجد الحرام بجميع أجزائه استمر عبر العصور ، وقد أوردنا في الجزء الثاني من اعلام الحجاز ملخصاً لكتاب الشيخ / حسين باسلامة عن المسجد الحرام ، وكتابه عن الكعبة المعظمة فليرجع اليه من شاء الاستزادة (٣).

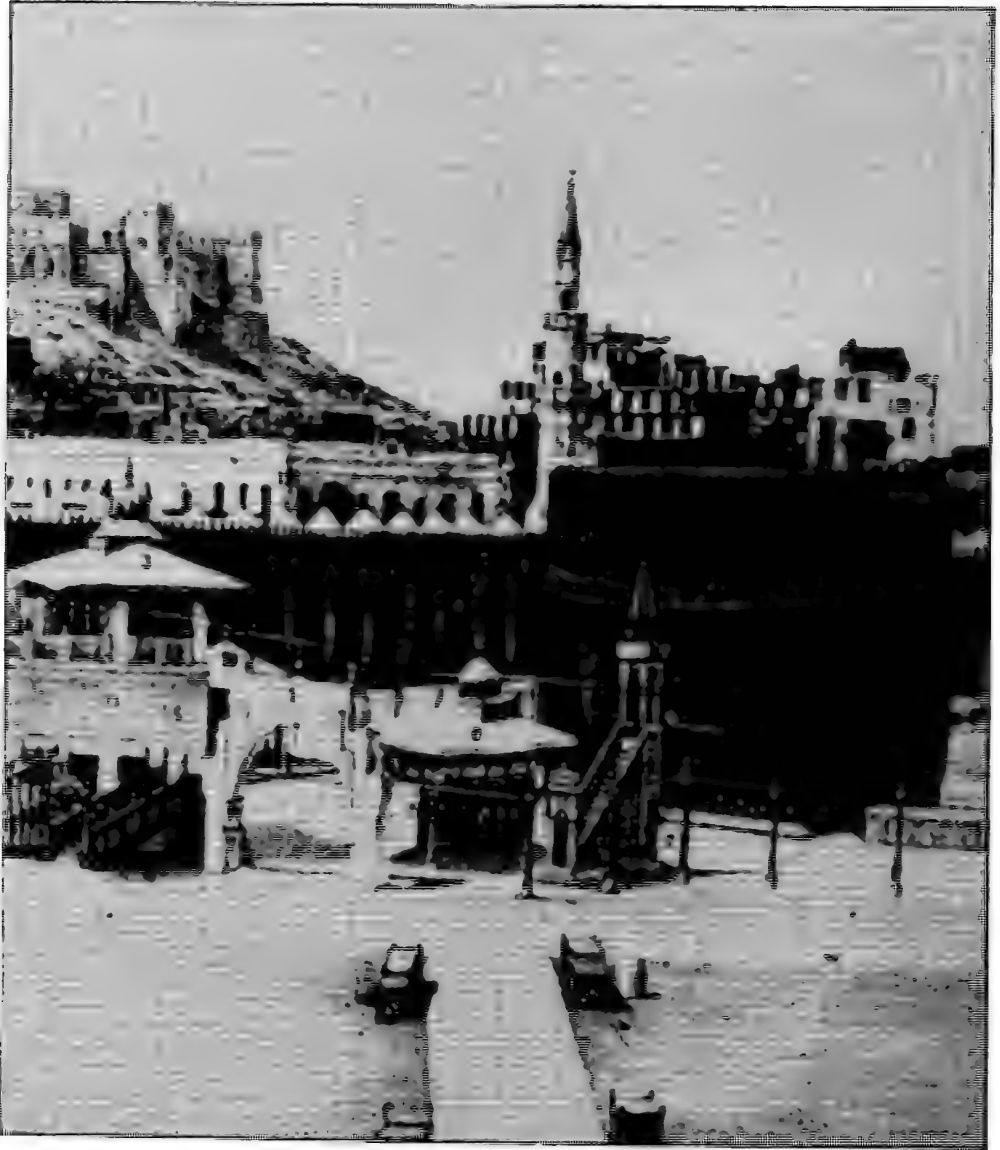
باب زمزم ومفتاحه وأسرة الزمزمي :

عقد الشيخ / عبدالله الغازي فصلاً بعنوان : باب زمزم جاء فيه موجزه : ان مفتاح باب زمزم بيد ذرية الشيخ عبدالسلام بن أبي بكر المعروفين الآن بيت الرئيس

(١) اعلام الحجاز ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) القادة الأنام جلد ١ ص ٥٤١/٥٤٣ .

(٣) اعلام الحجاز ج ٢ ص ١٢٤/١١٩ .



● صورة قديمة للعبة المشرفة ويظهر بها المنبر ومقام ابراهيم ، وباب بني شيبه ، وبئر زمزم ويعود تاريخ هذه الصورة الى سنة ١٨٨٠ ميلادية الموافقة لسنة ١٢٩٨ هجرية نقلا عن اليوميات ليدز التاريخية .

من سنة ستمائة وثلاثين الى وقتنا هذا ، وعندهم مرسوم من أحد خلفاء العباسية ونائبه عليها من قبل سلاطين آل عثمان .

قال الشيخ خليفة بن فرج بن محمد الزمزمي البيضاوي في كتابه « نشر الآس في فضائل زمزم وسقاية العباس » ما يلي :

كانت زمزم ليس لها باب ولا غلق وإنما هي مفتوحة لمن دخل وورد إليها ، ولذلك كان^(١) أمر السقاية للجد بطريق النيابة عن الخلفاء العباسيين ، فلما أن صار أمر البئر الى الشيخ / عبدالسلام بن أبي بكر الزمزمي أنهى بمحضر الى خليفة ذلك الزمن العباسي ، بأن زمزم في أوقات الصلاة يكثر فيها الناس والازدحام ، فيشوشون على الامام والمصلين ، وطالما دخلت الكلاب والبسّس في الليل فيضجون فيها ، وطلب أن يقام عليها باب يمنع ما ذكر ، فأجابه الى سؤاله وجعل عليها بابا ، ثم أنه لما صار أمر زمزم والسقاية الى ذرية الشيخ / عبدالعزيز بن عبدالـلام المذكور طلبوا من خليفة زمنهم المتوكل العباسي أن يجعلوا ضبة على باب زمزم يقفلونها في أوقات الصلوات وفي الليل وأن يكون المفتاح عند الأكبر منهم ثم من ذريتهم فأجابهم خليفة ذلك الزمان الى ما طلبوا .

وقد أورد الشيخ الغازي نص المرسوم الصادر من الخليفة العباسي المتوكل على الله وفيه موافقة الخليفة على عمل باب لززم يقفل عليها منعاً لما فيه ضرر على المسلمين ، وقد أصدر الخليفة مرسوماً آخر الى أمير مكة المشرفة - الجنب العالي الأميري مغلبي - الأمير بمكة المشرفة ، وناظر الحسبة الشريفة بما أجاز له الخليفة العباسي للشيخ / سراج الدين عمر بن الشيخ عبدالعزيز الزمزمي مفتي مكة المشرفة ، والقائم عنا بخدمة زمزم الشريفة وسقاية جدنا العباس ، وأجاز الخليفة في هذا المرسوم أن يعمل بيد الشيخ عمر مفتاح ، وقيموا من شاءوا من جهتهم من يتولى اغلاق الباب وفتحه وتاريخ هذا المرسوم العشرين من شوال سنة عشرين وثمانمائة . . . الخ^(٢) .

أقول : انتهت الخلافة العباسية ببغداد سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة بمقتل الخليفة المستعصم بالله ، وهو أبو أحمد عبدالله بن المستنصر العباسي ، حينما دخل التتار بغداد وقتلوا خليفته وأكثر أهلها بقيادة القائد التتري هولأكو^(٣) .

ثم انتقلت الخلافة الى مصر بعد ان وصل اليها الخليفة العباسي أحمد بن الخليفة الظاهر الملقب بالمستنصر بالله سنة تسع وخمسين وستمائة . وبإيعه بالخلافة الملك الظاهر بيبرس البندقداري من سلاطين المماليك سنة ثمان وخمسين وستمائة بعد انتصاره على التتار في عين

(١) الكلام غير واضح وقد تكون الجملة أمر السقاية للجد .

(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٦٢/٥٦٣ .

(٣) البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠/٢٠٥ .

جالوت ، وقتله السلطان قطز^(١) وقد بقي الخلفاء العباسيون في مصر ، ولكن السلطة الحقيقية كانت بيد سلاطين مصر من المماليك ، ثم من الجراكسة الأتراك وكان الخلفاء العباسيون لا حول لهم ولا طول ، وربما تعرضوا للمهانة والاذلال على أيدي السلاطين وهذا الخليفة المتوكل على الله الذي أصدر المرسوم بالسقاية لأسرة الزمزمي ولي الخلافة في مصر وعزل منها عدة مرات^(٢) ولولم تكن السقاية أصلاً لجدّه الأعلى العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه لما استطاع إصدار مرسوم عنها ، وإذا نظرنا الى هذا المرسوم وجدناه خاصاً بعمل ضبة لباب زمزم ومفتاح يحفظ عند الساقى وأسرته .
وهكذا تدور الدنيا ، ويهون الزمان فسبحان من بيده الملك يؤتية من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير .

جد الزمازمة قدم من العراق :

وينقل الشيخ / الغازي من كتاب نشر الآس السابق ذكره الكيفية التي وصلت بها أسرة الزمزمي الى السقاية فيقول :
نقلاً عن الشيخ / خليفة بن فرج الزمزمي البيضاوي في كتابه مايلي : ان جدنا الأكبر علي بن محمد البيضاوي قدم مكة عام ثلاثين وستائة من العراق ، وبأشر عن الشيخ / سالم بن ياقوت المؤذن خدمة زمزم ، فلما ظهر له خيره نزل عنها ، وزوجه ابنته فولدت منه أولاداً فصار لهم أمر البشر وسقاية العباس^(٣).

البعض ينزع ورثة الزمزمي في السقاية :

وذكر الشيخ / الغازي أن رجلاً يدعى عبدالعزيز بن عبدالله الزمزمي ، نازع ورثة الزمزمي في السقاية في سنة ثمانمائة وسبعة وسبعين ، وذكر أن كل من جَبَدَ دُلُوءاً من زمزم نسب اليها . ادعى ذلك الرجل الشراكة مع أولاد الشيخ / اسماعيل الذين أخذوها من جدهم عن الشيخ سالم بن ياقوت وهم وكلاء الخلفاء العباسيين في ذلك الزمان ، ودلّس ذلك الرجل على خليفة زمانهم فأشركه معهم ، فأنهى أولاد الشيخ / اسماعيل الى الخليفة فأرسل اليهم - الأجواد بك - بضم أوله وفتح الموحدة فبحث عن هذه الخدمة ، وعقد مجلساً حضره القضاة وكثير من أعيان مكة ووقف على ما بيد أولاد الشيخ / اسماعيل البيضاوي من المستندات ، وظهر أن هذه الخدمة لأولاد الشيخ ، واخرج المعتدي عليهم .

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٢٣١/٢٣٣ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٩٨/٣٩٩ .

(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٦٣ .

ويعلق الشيخ / الغازي على ذلك فيقول :
ومثل هذه الحادثة وقعت في زماننا ، وهي أن رجلاً يقال له عبدالله حميد ، كان وكيلاً عن
الشيخ / الرئيس شيخ زمزم ، واستمر مدة من الزمان ، ثم بعد ذلك ادعى أن خدمة زمزم له
شراكة معهم ، وأن بيده تقارير من أشرف مكة ، تبين مكانها فأرسل آل الرئيس رجلاً من
طرفهم الى الآستانة العلية ، وبيده من الخلفاء العباسيين ومن سلاطين آل عثمان ما يثبت أن
هذه الوظيفة لهم ، وعاد الرجل من الآستانة وبيده فرمان سلطاني يمنع كل من يتعرض لهم ،
وأن تبقى هذه الخدمة بأيديهم كما كان عليه أسلافهم .
وقد أورد الشيخ الغازي صورة الشكوى التي رفعها الشيخ / عثمان بن أحمد الرئيس الى
والي ولاية الحجاز عثمان باشا وجوابه الذي صدر منه الى مدير الحرم في سنة ١٢٥٨
للهجرة^(١).

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٦٢/٥٦٤ .

أبواب المسجد الحرام وأسمائها

باب ابراهيم نسبة الى خياط اسمه ابراهيم :
كنا ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز أن الخليفة العباسي المقتدر بالله أدخل زيادة في المسجد الحرام في سنة ست وثلاثمائة سميت بباب ابراهيم ، وأنه كانت هناك ساحة بين بابين من أبواب المسجد الحرام كان أحدهما يسمى باب الحزورة وأبواب الخياطين ، والثاني باب بني جمح ، وكانت هذه الساحة امام دارين لزبيدة أم الأمين فادخلت هذه الساحة في المسجد الحرام^(١) وقد ذكر الشيخ / الغازي نقلا عن كتاب الاعلام : أن من جملة محاسن المقتدر بالله العباسي زيادة باب ابراهيم ، وليس المراد به الخليل عليه السلام ، فقد كان ابراهيم هذا خياطاً يجلس عند هذا الباب فعرف به ، ثم ذكر الغازي نقلا عن مؤرخي مكة الزيادة المذكورة والبيوت التي كانت في موضعها وتواريخ ادخالها الى المسجد الحرام مما لا يخرج عما ذكرناه ، ونعرض عن ايراده تجنباً للتكرار^(٢) وقد رأيت هنا ايراد سبب تسمية باب ابراهيم لأن الكثير من الناس يظن أن هذا الباب ينسب الى الخليل ابراهيم عليه السلام .

باب بازان :

سمي هذا الباب لقربه من عين مكة المعروفة ببازان .

باب العباس :

سمي هذا الباب بباب العباس لأنه كان قريباً من دار العباس .

باب الصفا :

أما باب الصفا فكان اسمه سابقا باب بني مخزوم^(٣) .

(١) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٦/٢٥ .

(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٢٦/٦٢٥ .

(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٢ .

تسمية الأبواب تختلف باختلاف الزمان :

كان امام التكية المصرية بأجياد قبل ادخالها في المسجد الحرام في التوسعة السعودية باب للمسجد الحرام أورد له الشيخ الغازي عدة أسماء منها :

باب مدرسة الشريف عجلان بن رميثة لاتصالها به ، وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته عشرون ، ويقال له باب بني تميم ، وسماه صاحب النهاية بباب العلافين ، وفي زماننا هذا يعرف بباب التكية المصرية^(١).

أقول أسس محمد علي باشا التكية المصرية عام ١٢٣٨هـ أثناء حكم المصريين للحجاز^(٢).

باب أم هانئ :

يقول الغازي عنه : وقد جدد هذا الباب ببناء حسن لطيف وعدد شرافاته ثلاثة عشر شرافة قال في تحصيل المرام ، وهذا الباب مما يلي دور بني عبد شمس وبني مخزوم ، ويقال لهذا الباب « باب الفرج » على ما وجد بخط الاقشيري ، وذكر له صاحب تحصيل المرام اسماً آخر لم نتبين حقيقته لعدم وضوح الخط ، وسماه صاحب النهاية باب أبي جهل يقول الشيخ الغازي : قلت وفي زماننا هذا يعرف بباب الشريف ، لأنه كان يخرج منه الشريف سرور الى بيته الذي بأجياد^(٣).

باب الوداع :

يقول الغازي : وعامة أهل مكة يسمونه باب العزوزة بالعين المهملة وانما هو بالحاء المهملة الحزوزة ، وهذا الباب يلي المنارة التي تلي أجياد الكبير ، ويقال له باب حكيم بن حزام وباب الزبير بن العوام ذكره القرشي .

يقول الشيخ الغازي : وفي زماننا هذا يعرف بباب الوداع لأن الحاج حين توجههم بعد الحج لبلادهم يخرجون من هذا الباب .

باب العمرة :

سمي بباب العمرة لأن المعتمرين من التنعيم يدخلون ويخرجون منه في الغالب وكان يسمى قديماً باب بني سهم^(٤).

وفي الجانب الشمالي من المسجد الحرام خمسة أبواب .

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٢ .

(٢) أعلام الحجاز ج ٣ ص ٣٩ .

(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٣ .

(٤) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٣ .

باب ابن عتيق :
الأول ويعرف بباب السدة ، وكان يقال له باب عمرو بن العاص ، قال في الارج المكي :
باب السدة يعرف في زمننا بباب ابن عتيق لكونه قريباً من داره .
أقول : وقد أدركت هذا الباب وهو يسمى باب العتيق في الخمسينات من القرن الماضي .

باب الباسطية :

الثاني باب العجلة ، ويدعى كذلك باب الباسطية لاتصاله بمدرسة الخواجة عبدالباسط وهو على يمين الخارج ، أوقفها على الفقراء ، وهي في غاية الاحكام ، والاتقان ، ولها شبابيك تكشف على الحرم ، وجعل سبيلاً بجانب المدرسة من خارج .
توفي عبدالباسط سنة ثمانمائة واحد وثلاثين .

وقد علل ابن ظهيرة تسمية باب العجلة بأن هذا الباب كان عند دار تسمى قديماً دار العجلة وسبب التسمية أن ابن الزبير كان ينقل حجارتها على عجلة اتخذها على البُخْتِ والبقر ذكر ذلك الأرزقي .

أقول : وقد احتفظ باب الباسطية باسمه الى حين إجراء التوسعة السعودية الاولى للمسجد الحرام التي بدأت سنة ١٣٧٥ للهجرة وانتهت سنة ١٣٩٦ للهجرة^(١) وستحدث عن المدرسة الباسطية في الفصل الخاص بالمدارس التي بنيت حول المسجد الحرام بعد .

باب القطبي :

الثالث : باب القطبي ، ولا يعرف له اسم غير هذا .
أقول : ذكر الشيخ حسين باسلامة أن هذا الباب بجوار مدرسة قطب الدين الحنفي ، وكان يسمى قديماً باب زيادة دار الندوة ، وهو واقع غرب تلك الزيادة ولم يجد في العمارة التي وقعت سنة ٩٨٤ وله منفذ واحد ، ويعلم عن رواق الزيادة بثلاثة عشر درجة ولم يكتب عليه شيء وهو لا يزال على عمارته التي انشئت في خلافة المعتضد بالله العباسي سنة ٢٨١ هـ ، وهو الباب الأثري الباقي على بنائه القديم نحو ألف ومائة سنة ، وهو لا يزال في العصر الحاضر قوي البناء لا فرق بينه وبين سائر أبواب المسجد الحرام في متانته انتهى^(٢) .

أقول : وقد احتفظ باب القطبي باسمه هذا الى أن تمت العمارة السعودية الاولى ما بين عامي ١٣٧٥ / ١٣٩٦ للهجرة ، وكنت أسمع من اخواننا المكيين أن هذا الباب ينسب الى أحد العلماء المسمى بالقطبي .

(١) اعلام الحجاز ج ٢ ص ٤٣ / ٥٢ .

(٢) تاريخ عمدة المسجد الحرام للشيخ حسين باسلامة ص ١٣١ .

باب الزيادة :

الباب الرابع : باب الزيادة ، قال الأرزقي :
وهو باب دار بني شيبه بن عثمان يسار منه الى السوق ، ذكره القرشي .

الخامس :

باب الدرية بالقرب من منارة باب السلام . انتهى ما ذكره الغازي عن الأبواب الشمالية للمسجد الحرام ، ونواصل الحديث عن الأبواب الأخرى .

باب الداودية :

وكان فتحه داود باشا لما بنى مدرسته ورباطه بين باب السدة وباب الواسطية وهو باب لطيف طاق واحد ، فتح أيام بناء المدرسة .

أقول : سنتحدث عن المدرسة الداودية وعن المدارس الأخرى في فصل خاص بعد .
وقد كنا نزور الأديب الشيخ / حسين نظيف رحمه الله في رباط الداودية في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي ١٣٥٥ هـ ، حينما كان يسكن في ذلك المكان ، ثم أزيل الرباط في التوسعة الاولى للعمارة السعودية للمسجد الحرام .

الأبواب الأخرى :

وللمدارس السلطانية بايين لطيفين نافذين على الحرم حديثاً عند بناء المدارس المذكورة كل واحد طاق واحد يسمى الأول باب القاضي لسكنائه بتلك المدرسة ويسمى الثاني باب السليمانية .

وبين باب السلام وباب النبي باب لطيف « طاق واحد » يعرف بباب السلطان قايتباي لأنه فتح حين بنى مدرسته^(١) .

أقول : وسنتحدث عن مدرسة السلطان قايتباي في القسم الخاص بالمدارس حول المسجد الحرام .

أما عن أبواب المسجد الحرام وأسمائها فيتضح مما أوردناه آنفاً أن هذه الأبواب كانت تختلف أسماؤها باختلاف الزمان ، وباختلاف المجاورين لها في السكن ، أو البانين حولها ، وقد أزلت التوسعة السعودية الاولى كثيراً من أسماء الأبواب القديمة التي صار ذكرها تاريخاً يذكر الناس بما كان في قديم الزمان .

وتكملة لهذا البحث فقد تفضل صديقنا العلامة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان الاستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وعضو هيئة كبار العلماء ، بكتابة بحث مفصل عن أبواب المسجد الحرام وأسمائها ، كما هي في الوقت الحاضر ، وأنه ليسرني أن أثبت هذا البحث كما تفضل به الصديق الكبير .

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٣ / ٦٥٦ .

أسماء أبواب المسجد الحرام وتعدادها في التوسعة السعودية الأولى

بطلب من سعادة الأديب الكبير والمؤرخ القدير الشيخ / محمد علي مغربي لمعرفة عدد أبواب المسجد الحرام وتعدادها في الوقت الحالي ، قمت أنا عبد الوهاب إبراهيم أبوسليمان شخصياً باحصائها وتدوين أسمائها فدونت التالي .

شملت التوسعة السعودية الاولى الجهات الأربع للحرم المكي الشريف ، وقد شمل التغيير ضمن ما شمل تغيير أسماء الأبواب التي كانت معروفة عبر التاريخ ، وبعضها لازال قائماً فاستعمل في تسمية بعض الأبواب في التوسعة الجديدة ، وأقرب ما يكون موازياً للباب القديم في التوسعة الجديدة ، وفيما يلي تفصيل هذه الأسماء وبيان مواقعها :

الأبواب بالجانب الشرقي (المسعى) مواجهاً باب الكعبة الشريفة ابتداء من الصفا في اتجاه الشمال نحو (المروة) من الجهة اليمنى :

أولاً : باب دار الأرقم ، ولعله محاذ لهذا الموضع الأثري المعروف .

ثانياً : باب بني هاشم ، ولعل تسميته بهذا الاسم لأنه في الجانب من شعب بني هاشم (شعب علي) حيث أزيل هذا الحي كاملاً معه بسبب اتجاه الأنفاق وأغراض أخرى .

ثالثاً : باب علي ، ولعله محاذ في الحرم القديم لباب علي سابقاً وهو معروف لدى أهل مكة قديماً .

رابعاً : باب العباس ، وهو من الأسماء القديمة المحتفظ بها في التوسعة الجديدة وموقعه الى جانب الميادين الأخضرين .

خامساً : باب النبي ، وهو من الأسماء القديمة التي احتفظ بها في التوسعة الجديدة في نفس الجهة .

سادساً : باب السلام ، وهو أحد الأبواب الرئيسة في الحرم القديم واحتفظ باسمه في الجديد ، ولكنه لم يأخذ مكانته مساحة وشكلاً ليتلاءم مع مكانته الدينية والتاريخية ، فلم يأخذ المساحة والشكل المطلوبين في باب الفتح والعمرة وعبد العزيز .

سابعاً : باب بني شيبه ، وهذا الاسم معروف قديماً للعقد الكبير على حدود المطاف مقابل باب الكعبة .

ثامناً : باب الحجون ، وتسميته بهذا الاسم لأنه في نفس الاتجاه لهذا المكان التاريخي المعروف بأعلام مكة المكرمة .

تاسعاً : باب المعلاء ، لأنه في اتجاه (سوق المعلاء) المعروف قديماً وحديثاً ، وهو أحد أسواق مكة الكبيرة .

عاشراً : باب المدعى ، والمدعى هي المنطقة التي تلي الحرم في الاتجاه الى المعلاء وهي سوق كبيرة مشهورة من أسواق مكة المزدهمة بالبشر والبضائع .

حادي عشر : باب مراد ، ولعله أحد أسماء الأبواب القديمة سمي بأحد أسماء سلاطين آل عثمان المشهورين .

وفي الجهة اليسرى من المسعى الشريف توجد أبواب لها أسماءها ، وتطل على رحبة واسعة حيث يصب فيها الخارجون من المسجد الحرام من المسعى إذ يوجد بها سوق للذهب والملابس ، والأبواب التالية في الجهة اليمنى للنازل من المروة في اتجاه الصفا .

ثاني عشر : باب المروة ، يقابل باب مراد .

ثالث عشر : باب المحصب ، يقابل باب المدعى .

رابع عشر : باب عرفة ، يقابل باب المعلاء .

خامس عشر : باب منى ، يقابل باب الحجون .

سادس عشر : باب قریش ، يقابل باب بني شيبه ،

هذا مجموع أبواب الحرم المكي الشريف في مشعر المسعى من كلا جناحيه الشرقي والغربي .

أما أبوابه من الجهة الشمالية تجاه الشامية والقرارة فهي كالآتي من الشرق الى الغرب :
سابع عشر : باب القرارة ، ويقع في الركن الشرقي مزوياً يقود الداخل الى المسجد الحرام في اتجاه باب السلام نزولاً الى أروقة الحرم ، وصعوداً الى الدور الثاني منه .

ثامن عشر : باب الفتح ، وهو مطل على ساحة كبيرة بها ميضأة للرجال وأخرى للنساء وبها سوق للذهب والملابس ، وفيها يلتقي الخارجون من أبواب المسعى القريبة (باب المروة ، والمحصب ، وعرفة ، ومنى ، وقریش) وهو أحد أبواب الحرم الكبيرة الرئيسة إذ يحتل مساحة ثلاثة بوائك واسعة مرتفعة يقود الداخل الى الحرم الى صالة واسعة خالية من الأعمدة يشاهد الداخل الكعبة المشرفة مباشرة .

تاسع عشر : باب عمر الفاروق .

العشرون : باب الندوة ، وهو محاذ لما هو معروف بدار الندوة داخل الحرم الشريف .

الحادي والعشرون : باب الشامية .

الثاني والعشرون : باب القدس .

الثالث والعشرون : باب المدينة المنورة .

الرابع والعشرون : باب الحديبية ، وعند هذا الباب تنتهي الأبواب في الجهة الشمالية من المسجد الحرام . أما الأبواب في الجهة الجنوبية من ناحية أجياد بدءاً من الصفا فهي كالتالي :

الخامس والعشرون : باب الصفا .

السادس والعشرون : باب اسماعيل .

السابع والعشرون : باب حنين .

الثامن والعشرون : باب بلال .

التاسع والعشرون : باب أجياد .

الثلاثون : باب الملك عبدالعزيز ، وهو أحد الأبواب الرئيسة بالمسجد الحرام ذات المساحة الواسعة والشكل المتميز ، ومنه ترى الكعبة المشرفة مباشرة ، والباب بمساحته الواسعة ذات البوائك الثلاث يقود الى صالات واسعة متتالية داخل المسجد الحرام خالية من الأعمدة ، ومستوى المدخل متباين عن مستوى الصالات الداخلية ، ينزل الداخل إليها بواسطة درج رخامية .

أما الأبواب بالجهة الغربية من المسجد الحرام فقد أصبحت أروقة تنفذ الى التوسعة السعودية الثانية لتوصل بين أروقة الحرم القديم ، والتوسعة الحديثة ، وأسماء الأبواب في هذه الجهة قبل التوسعة الحديثة تجاه ماكان معروفاً بـ (السوق الصغير) كالتالي من الشمال الى الجنوب :

الحادي والثلاثون : باب العمرة ، وهو باب رئيسي في هذه الجهة ذو مساحة واسعة وشكل متميز كسابقه باب الفتح ، وباب الملك عبدالعزيز ، وهو من الأسماء القديمة لأبواب الحرم الشريف ، ظل الاحتفاظ به وفي محاذة موقعه القديم من المسجد الحرام ، ولعل سبب التسمية أنه في اتجاه (التنعيم) مكان اعتماز الحجاج وأقرب الحل لمكة المكرمة .

الثاني والثلاثون : باب الشبكة لأنه في اتجاه حي الشبكة المكان التاريخي المعروف حيث يشمل في نفس الاتجاه المعروف (السوق الصغير) موضع التوسعة الحالية للحرم الشريف .

الثالث والثلاثون : باب ابراهيم ، وهذا حسب التسمية القديمة المعروفة لهذا الباب .

الرابع والثلاثون : باب أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعله سمي به حيث يوجد بالمسفلة مسجد أبي بكر الصديق إشارة إليه .

الخامس والثلاثون : باب الهجرة ، ولعل التسمية مستوحاة من توجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى أسفل مكة للهجرة الى المدينة المنورة مع صاحبه الصديق رضي الله عنه .

السادس والثلاثون : باب أم هانئ ، ولعله ابقاء لتسمية الباب في الحرم القديم ومحاذ

له .

هذه مجموع أبواب الحرم المكي الشريف أحصيتها وقوفاً بها وتطوفاً بجميع جهات الحرم ليلة الجمعة ١٥/٧/١٤١٣ هـ ، نقلاً من الأسماء المدونة على الأبواب على حجر الرخام .
وتوجد مداخل عليا للدور الأعلى من المسجد الحرام من الجهة الشمالية من جهة القرارة والشامية حيث ان مستوى الأرض في هذين الحين ترتفع نسبته عن أرضية الحرم الشريف بعد التوسعة السعودية ، وتتلاءم نسبياً مع أرضية الدور الأعلى ، يتوصل الى هذا الدور من هذه الجهة بواسطة كباري ممتدة من الشارع الرئيسي الذي يطل عليه المسجد الحرام عن طريق الأبواب والمداخل من جهة الشرق الى الغرب كالتالي :

١ - باب عثمان بن عفان ، وهو الذي يرتفع على جبل المروة مواجهاً لعمارة رئاسة الحرمين الشريفين العائد ملكيتها للأمير بندر بن عبدالعزيز .

٢ - باب ابن الزبير (جسر باب ابن الزبير) .

٣ - باب الندوة (جسر باب الندوة) يتوسط في الجهة العليا بين بابي الندوة ، وعمر الفاروق .

٤ - باب المدينة (جسر باب المدينة المنورة) يتوسط في الجهة العليا بين بابي الحديبية وباب المدينة المنورة .

٥ - باب العمرة (جسر باب العمرة) الى الجهة اليسرى للداخل الى باب العمرة .
ومما تجدر الإشارة أنه كان يوجد باب في أعلا الصفا بالدور الثاني يطل على جبل أبي قبيس ، ويمثل منفذاً من الدور الأعلى للمسعى يخرج منه المصلون الى الجسر الذي يوصل المتجهين من السوق الصغير وأجياد الى الغزة ، ويسمى
٦ - باب أبي قبيس .

وقد تم لي اكمال عدد أبواب المسجد الحرام التي وافت جميعها اثنين وأربعين باباً ، ليلة الجمعة ٢١/٢٢/٠٧/١٤١٣ هـ والله ولي التوفيق .

كاتبه

عبد الوهاب إبراهيم أبوسليمان

وقد تم ترقيم أبواب المسجد الحرام ووضع أسماء عليها فبلغ تعدادها واحداً وسبعين باباً ، وبدأ الترقيم بباب الملك عبدالعزيز رقم ١ وانتهى بالرقم الواحد والسبعين من جهة سوق الصغير ، ويقول الدكتور عبد الوهاب أبوسليمان الذي تفضل باكمال هذه المعلومة أن التوسعة التي تمت من جهة سوق الصغير وضعت لها الأرقام ولكن لم توضع لها الأسماء بعد ، أثبتنا ذلك إكمالاً للبحث .

منائر المسجد الحرام :

نقل الغازي عن صاحب الاعلام ما يلي :

هي الآن سبع منائر يؤذنون عليها في الأوقات الخمس أولها :

منارة باب العمرة :

عمرّها أبو جعفر المنصور ثالث ملوك بني العباس ، وعمرّها بعده وزير صاحب الموصل الجواد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني في سنة احدى وخمسين وخمسة .

وكان رئيس المؤذنين يؤذن عليها في زمن الفاكهي يتبعه سائر المؤذنين ، ثم صار في زمن الفاسي رئيس المؤذنين يؤذن في منارة باب السلام ، ويتبعه سائر المؤذنين ، وهو الآن - في زمن صاحب الاعلام - يؤذن في الأوقات الخمس على قبة زمزم ، ويتبعه المؤذنون ، إلا ليالي رمضان في التسحير واحداً بعد واحد ، وكذلك في^(١) والتوديع والتذكير ونحو ذلك .

قال في التحصيل ، قلت وهو كذلك في زماننا ، يؤذن الرئيس على قبة زمزم ثم يتبعونه . أقول : كانت عمارة أبو جعفر المنصور للمسجد الحرام في سنة مائة وثلاثين للهجرة ، وتمت هذه العمارة سنة مائة وأربعين^(٢) ، ولا بد أن تكون عمارة منارة باب العمرة قد تمت من ضمن عمارة المنصور في هذه الأعوام .

أما الفاكهي فهو محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله المكي من أقدم مؤرخي مكة المكرمة ، وقد ولد ما بين عامي ٢١٥ - ٢٢٠ للهجرة ، وتوفي ما بين عامي ٢٧٢ - ٢٧٩ على اختلاف بين المؤرخين في عامي ولادته ووفاته^(٣) .

أما الفاسي فهو الامام أبو الطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسيني المكي مؤرخ مكة المكرمة ، ولد سنة ٧٧٥ وتوفي سنة ٨٣٢ ، فهو من عاصروا الربع الأخير من القرن الثامن والثالث الأول من القرن التاسع الهجري - وهو مؤلف العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام .

أما صاحب الاعلام الذي نقل عنه الغازي فهو الامام قطب الدين الحنفي صاحب كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام وهو من رجال القرن العاشر . وصاحب تحصيل المرام هو الشيخ محمد بن أحمد الصباغ المكي وهو من عاصروا القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين .

ويقول الشيخ الغازي : بقيت هذه المنارة - منارة باب العمرة - منذ أن عمرها أبو جعفر المنصور في سنة مائة وأربعين للهجرة الى أن جدد عمارتها الجواد الأصفهاني وزير صاحب الموصل عام ٥٥١ للهجرة ، ثم هدمت وأعيد بناؤها بأمر السلطان العثماني سليمان خان سنة ٩٣١ ، وبنيت على الطراز المعماري الرومي ، وكانت قبل ذلك مبنية على طراز العمارة المصرية حيث كان على رأسها ثلاثة قناديل في ثلاثة أعواد مغروزة في قبة صغيرة على رأس المأذنة ثم

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) اعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٥ .

(٣) انظر ترجمته في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ج ١ ص ٩ - ٣٢ للاستاذ / عبد الملك بن عبد الله دهيش .

جدد عمارتها الشريف سرور ، وجعل لها دورين وذلك سنة ١٢٠١ هـ كما هو مكتوب على باب خلوتها ، وبقيت هذه المنارة على ذلك الى أن تمت التوسعة السعودية الاولى للمسجد الحرام حيث يذكر الشيخ / حسين باسلامة العمارة الأخيرة فيقول :
ولا تزال منارة باب العمرة على ذلك البناء ذات دورين الى العصر الحاضر الذي ألف كتابه فيه عام ١٣٥٤ للهجرة^(١) .

أقول : كان الأذان يتم في المسجد الحرام بارتقاء المؤذنين للمناثر العالية وكانوا يختارون من أصحاب الأصوات الجميلة والقوية ، ليتم ايدان الناس بأوقات الصلوات في بيوتهم ومتاجرهم ، وكان رئيس المؤذنين في زمن الفاكهي في القرن الثالث الهجري يبدأ الأذان من هذه المنارة فيردد بعده المؤذنون الأذان في المناثر الأخرى التي كانت في المسجد الحرام ، والتي سنتحدث عنها بعد .

ثم تحول رئيس المؤذنين في زمن الفاسي في القرن الثامن الهجري الى منارة باب السلام ويتبعه سائر المؤذنين من المناثر الأخرى ، وفي القرن العاشر في زمن صاحب الاعلام صار رئيس المؤذنين يشرع الأذان من قبة زمزم ويتبعه سائر المؤذنين من المناثر الأخرى ، وقد تم تجهيز المسجد الحرام بمكبرات الصوت - الميكروفون - بعد الحرب العالمية الثانية في عهد الشيخ / عبدالرؤوف الصبان يرحمه الله ، وركبت الأجهزة في المناثر وصار المؤذنون يؤذنون في موضعهم في البناء المخصص لهم الذي كان فوق قبة زمزم ، والذي هو في الوقت الحاضر فوق موضع الامام في مواجهة الركن اليماني من الكعبة المشرفة .

وينتقل صوت المؤذنين عبر مكبرات الصوت فيصل الى رحاب مكة شرفها الله^(٢) .
وقد جاء ذكر التسخير والتوديع والتذكير في رواية الفاكهي عن المؤذنين فقد كان المؤذنون في الحجاز يعتلون المآذن وتطلق أصواتهم بأدعية يصحوا عليها النائمون في رمضان لتناول السحور ، ويتم ذلك قبل ساعتين من الفجر ، أما التذكير فكان يتم في الربع الأخير من الليل قبل الفجر ليوقظوا الناس للذكر ، وأما التوديع فلعله كان توديعاً لشهر رمضان في الأيام الأخيرة منه ، وقد أدركت التذكير والتسخير وأنا طفل صغير ، وما ذكره الفاكهي يظهر لنا أن هذه العادة كانت قديمة في الحجاز تعود الى القرن الثالث الهجري .

وقد ذكر ابن اياس في بدائع الزهور أن الناصر محمد بن قلاوون مصر هو أول من اتخذ التذكير يوم الجمعة على المآذن لتستعد الناس للصلاة وذلك في سنة سبع مائة للهجرة^(٣) .
أقول : ذكر ابن اياس ذلك في تاريخه لحكم السلطان في مصر ، ولا أعرف اذا كانت هذه العادة - عادة التذكير يوم الجمعة - قد انتقلت الى الحجاز ، ولكن الذي هو حادث الآن في

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام ٢٤٣/٢٤٢ .

(٢) انظر قصة ادخال الميكروفونات الى المسجد الحرام مفصلة في اعلام الحجاز الجزء الأول ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٤٨٣ .

الحرمين الشريفين وفي كافة مساجد المملكة أن يؤذن للجمعة أذانان ، الأذان الأول قبل نصف ساعة من موعد الصلاة ، والأذان الثاني حين يعتلي الامام المنبر لخطبة الجمعة ، كما أنه يؤذن أذانان لصلاة الفجر في الحرمين الشريفين وبعض المساجد الأخرى ، الأول قبل ساعة من دخول وقت الفجر ، والثاني حين حلول وقته .

وقد أبطلت هذه العادات جميعها في العهد السعودي لأنها لم تكن موجودة في العهد الاسلامي الأول عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه والخلفاء الراشدين من بعده . نعود الآن الى اكمال الحديث عن المنائر السبع التي ذكرها الشيخ الغازي .

منارة باب السلام :

عمر هذه العمارة المهدي والمنصور العباسي الذي أمر بتوسعة المسجد الحرام في سنة اربع وستين ومائة ، وهي بدورين ، وقد تهدمت وتمت عمارتها في زمن الناصر فرج بن برقوق في سنة ست عشر وثمانائة وهي باقية الى الآن .

أقول : لتوضيح ما ذكره الشيخ / الغازي عن عمارة المهدي والمنصور ، أن الخليفة المنصور العباسي بدأ بعمارة عظيمة في المسجد الحرام عام ١٦٤ هـ ، وتوفي قبل اكملها ، فأكملها ابنه الخليفة المهدي ، وجعل المسجد مربعاً بحيث تظهر الكعبة المعظمة في وسطه تماماً^(١) .

ويقول الشيخ / حسين باسلامة عن منارة باب السلام ان السلطان مراد خان جدد عمارتها سنة ٩٨٣ نقل ذلك عن كتاب مرآة الحرمين ، وقد بقيت هذه المنارة بعد عمارتها الثالثة الى أن تمت العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام^(٢) .

منارة باب علي :

أول من عمرها المهدي العباسي وقد بنيت مع عمارة باب السلام السابق ذكرها ، وآلت الى الخراب فأمر بعمارها السلطان العثماني سليمان خان فهدمت وأعيد بناؤها بالحجر الأصفر الشميسي وجعل لها دورين أعلا وأسفل ، وكانت بدور واحد وجعل رأس المنارة المذكورة على طراز منائر الحرم الشريف .

ويقول الشيخ / حسين باسلامة ، ان عمارة السلطان كانت في حدود سنة ٩٧٠ للهجرة وأن هذه المنارة بقيت بعدها الى أن تمت العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام^(٣) .

منارة باب الوداع :

سماها الشيخ الغازي : منارة باب الخزوة ، وسماها الشيخ / باسلامة منارة باب

(١) انظر ذلك في أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٤ - ٢٧ .

(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٤٢ .

(٣) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

الوداع ، وقد اخترت ما سماه الشيخ / باسلامة لأنه أقرب الى مفهوم القارىء في الوقت الحاضر .

بناها المهدي العباسي ثم عمرت في زمن الأشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت قد سقطت عام احدى وسبعين وسبعائة ، وسليم الناس من سقوطها ، فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها في مفتتح محرم الحرام سنة اثنين وسبعين وسبعائة ، وهي باقية الى الآن .

ويروي الشيخ / باسلامة نقلاً عن ابن فهد القرشي في تحاف الورى كيفية سقوطها فيقول :

وفي ليلة الاثنين ثاني جماد الاولى سقطت مأذنة (باب الخزورة) في ليلة مطيرة ، وكفى الله شرها فلم تضر أحداً من مجاورها ، ولا من البيوت التي الى جانبها بعد أن خلت تلك الدور من ساكنيها خوفاً على أنفسهم ، فلما بلغ الأشرف شعبان بن حسين صاحب مصر ذلك أمر أمير الحاج المصري علاء الدين بن علي بن كلبك التركماني ، شاد الدواوين بمصر أن يتأخر بمكة المكرمة بعد الحج لعمارة مأذنة باب الخزورة ، فشرع في عمارتها عقب سفر الحاج وفرغ من العمارة في المحرم من السنة التي بعدها^(١) .

منارة باب الزيادة :

وهي قديمة بناها المعتضد العباسي لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت ، وأنشأها الملك الأشرف « برسباي » في عام ثلاث وثمانين وثمانمائة كما هو مثبت في حجر باب المأذنة قال في تحصيل المرام : وعمرت سنة ألف ومائة وثلاثة عشر حيث وقع دورها فأمر ببنائها .

أقول : كانت عمارة المعتضد العباسي في سنة ٢٨١ حيث خربت دار الندوة وكانت مسجداً مستقلاً عن المسجد فأمر المعتضد بادخالها في المسجد الحرام وهذه العمارة التي ضمت فيها دار الندوة إلى المسجد الحرام وأحدث لها باب سمي باب الزيادة^(٢) .

منارة السلطان قايتباي :

بناها السلطان قايتباي حينما بنى مدرسته كما هو مكتوب على عقد باب مدرسته الى جهة المسعى (في غاية الصناعة) ثلاثة أدوار .

وبنى نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد الخيف بمبنى وفرغ من بنائها سنة خمسائة وخمسين .

أقول : التاريخ الذي أورده الغازي عن منارة السلطان قايتباي غير صحيح ، لأن السلطان قايتباي من رجال القرن التاسع وليس من رجال القرن السادس الهجري ، وقد أدى

(١) عمارة المسجد الحرام ص ٢٤٣ .

(٢) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٥ .

فريضة الحج عام ٨٨٤هـ^(١)، وتولى السلطنة بمصر سنة ٨٧٣ للهجرة ، وهو من ملوك الجراكسة المماليك^(٢) . أما المدرسة التي بناها بمكة فسيأتي الحديث عنها في قسم المدارس حول المسجد الحرام بعد ، وقد تم بناؤها في سنة ٨٨٤هـ ، والذي يظهر لي أن السلطان حج في هذا العام بعد أن أكمل بناء المدارس التي أمر بتشييدها في مكة المكرمة وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة^(٣) كما سيأتي تفصيله بعد .

منارة السلطان سليمان خان :

وهذه المنارة أمر السلطان خان ببنائها في إحدى مدارسه الأربع فيما بين باب السلام وباب الزيادة ، وهي منارة في غاية العلو والارتفاع مبنية بالحجر الشمسي الأصفر لها دورين ، وكان بناؤها سنة ثلاثة وسبعين وتسعمائة .

ويقول الشيخ / باسلامة عن منارتي السلطان قايتباي والسلطان سليمان خان انها باقيتان الى الآن على عمارتهما الاولى حسبما انشئت عليه ، ولم يحصل فيها تغيير ولا تبديل ، إلا بعض مرمت كغيرها من المنائر الأخرى^(٤) .

ويفهم من هذا الذي ذكره الشيخ / باسلامة أن المنارتين المذكورتين بقيتا الى أن تمت العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام التي بدأت عام ١٣٧٥ للهجرة ، وانتهت عام ١٣٩٦ للهجرة .

المآذن في العمارة السعودية :

المآذن الموجودة في الوقت الحاضر والتي تمت في العمارة السعودية هي سبعة مآذن مئذنتان عند كل باب من الأبواب الرئيسية والمآذنة السابعة عند باب الصفا ، وهي مبنية بالخرسانة المسلحة ، ومكسوة بالرخام والحجر الصناعي وبلغ ارتفاع المآذنة الواحدة ستة وتسعين متراً عن سطح الأرض^(٥)، وقد سبق لي الحديث عنها في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ، وقد اقتضت التوسعة السعودية العظيمة ازالة المنائر السبعة الاولى التي تحدث عنها مؤرخ مكة المكرمة ، والتي فصلنا القول فيها نقلاً عنهم وتعليقاً على ما كتبوا بشأنها وليست هذه المرة الاولى التي تهدم فيها المآذن في الحرم الشريف .

(١) أعلام الحجاز ج ٣ ص ٦١ .

(٢) انظر بدائع الزهور ج ٣ ص وما بعدها .

(٣) انظر الحديث مفصلاً عن هذه المدارس في افادة الأنعام مجلد ١ ص ٤٤٣/٤٤٩ .

(٤) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٢٤ .

(٥) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٤٩ .

المآذن التي كانت على المسجد الحرام وهدمت :

فقد ذكر الشيخ / الغازي منائر أخرى ثلاث ذكرها مؤرخو مكة وأزيلت منها منارة تشبه الصومعة كانت على باب ابراهيم هدمها بعض أمراء مكة لاشرافها على داره ، ذكر ذلك التقي الفاسي مؤرخ مكة في القرن التاسع الهجري .

ومنارة أخرى ذكرها ابن جبير كانت على باب الصفا ، وهي أصغر المنائر ، كما أنها كانت علماً لباب الصفا ، وكانت ضيقة لا يستطيع الصعود إليها .

ومنارة ثالثة كانت على الميل الذي يهول عنده الساعون بين الصفا والمروة ، ذكر ذلك الفاكهي مؤرخ مكة في القرن الثالث الهجري .

يقول الشيخ / الغازي ونقلاً عن الشيخ / باسلامة : وهذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت^(١) .

ونختم الحديث عن المنائر ببعض ما كان يعمل فيها من وسائل لاعلام الناس بأمورتهمهم في أمور دينهم .

قنديل يعلق على منارة لاعلان الناس بالافطار والامساك في رمضان :

يقول الغازي : وبعلم مكة شرفها الله تعالى منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة ، بقرب بئر جبيرين مطعم بن عدي بن نوفل ، ويقال أن النبي صلى الله عليه وسلم ركن رايته يوم فتح مكة فيه ، وهي منارة عتيقة ذهب رأسها ، وكان لها دوران ، ولا أعلم من بناها يؤذن فيها بعض أهل الخير في مغرب شهر رمضان ، ويعلق فيها قنديلا لاعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للافطار في رمضان ، ويُسَحَّر عليها في الليل ويطفئ قنديلها بعد السحور ، إعلاماً بدخول أول الفجر ليمتنع الصائمون عن الأكل والشرب وهو باقٍ الى الآن^(٢) .

أقول لم يذكر لنا الشيخ / الغازي مصدره في خبر هذا القنديل الذي يعلو لاعلان الناس بحلول غروب أيام رمضان ، ودخول أذان الفجر ، واستبعد أن يكون هذا القنديل كان في زمن الشيخ / الغازي نفسه لأنه توفي عام ١٣٥٦ للهجرة أي في منتصف القرن الرابع عشر للهجرة وربما كان هذا الخبر منقولاً من رواية أحد مؤرخي مكة السابقين .

هارون الرشيد يقيم المآذن في شعاب مكة وفجاجها :

وينقل الغازي عن التقي الفاسي مؤرخ مكة في القرن التاسع عشر ، أن المنائر بمكة كانت كثيرة في الشعاب والمحلات ، وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات ، وكانت لهم أرزاق تُجرى عليهم ، وأول من جدد تلك المنائر على رؤوس الجبال ، وفي فجاج مكة وشعابها هارون الرشيد ، وأجرى على المؤذنين الأرزاق .

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٩/٦٥٦ .

(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٩ - ٦٦٠ .

ذكر الفاسي : انها كانت خمسين منارة في شعاب مكة ، وقال : وقد ترك الأذان على هذه المنائر ولم يبق منها شيء^(١).

ويوضح الشيخ / باسلامة الأمر فيقول نقلاً عن الفاكهي مؤرخ مكة في القرن الثالث : كان أهل مكة فيما مضى من الزمان لا يؤذنون على رؤوس الجبال ، وإنما كان الأذان في المسجد الحرام وحده ، فكان الناس تفوتهم الصلاة ممن كان منهم في فجاج مكة ونائياً عن المسجد حتى كان في زمن أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فقدم عبدالله بن مالك أو غيره من نظرائه مكة ففاتته الصلاة ولم يسمع الأذان ، فأمر أن يتخذ على رؤوس الجبال منارات لتشرف على فجاج مكة وشعابها يؤذن فيها للصلاة ، وأجرى على المؤذنين في ذلك أرزاقاً ، ولعبدالله بن مالك الخزاعي منائر . ذكر الشيخ / باسلامة مواضعها ، وعبدالله بن مالك هذا ممن خدم هارون الرشيد ، وكذلك كانت هناك منائر تنسب الى « بغا » الذي يكنى بأبي موسى مولى هارون الرشيد .

وذكر الشيخ باسلامة مواضعها ، وذكر الفاكهي أنه كانت تجري الأرزاق على المؤذنين فيها وبتداول الزمان بطل العمل والأذان عليها^(٢).

(١) افاة الأنام مجلد ١ ص ٦٦٠ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في عمارة المسجد الحرام ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .

بعض جبال مكة وأسباب تسميتها

جبل عمر بالشبيكة :

ومن أسمائه ثبير الزنج ، وهو جبل النوبي المعروف بأسفل مكة في جهة الشبيكة الذي كان به مولد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما قيل .

وإنما سمي بذلك لأن سودان مكة كانوا يلعبون عنده ، وهم النوبة والسودان الزنوج فطابقت التسمية على كلا الوجهين^(١) .

أقول : يقول الأزرقي مؤلف أخبار مكة : أن زنوج مكة كانوا يحتطبون منه ويلعبون فيه^(٢) .

جبل أبوقبيس :

نقل الغازي عن السيد / أحمد زيني دحلان في سالنامة الحجاز نقلاً عن القزويني في عجائب المخلوقات ما يلي :

أن من خواص جبل أبي قبيس أن من أكل فيه الرأس المشوي ، يأمن من وجع الرأس ، فصار كثير من الغرباء يحرصون على ذلك ، لا سيما حجاج الجاوا ، وقال العلامة الملا علي القاري في شرح اللباب ، أن ذلك باطل لا أصل له^(٣) .

أقول : لا شك أن ما ذكره القزويني يدخل في باب الخرافات التي لا أصل لها ، والتي قد يأخذ بها بعض السذج من الناس ، وجبل أبوقبيس هو أحد أخشبي مكة وهو الجبل المشرف على الصفا إلى السويداء إلى الخندقة ، وكان يسمى في الجاهلية الأمين ، ويقال إنما سمي الأمين لأن الركن الأسود كان مستودعاً فيه عام الطوفان .

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٠ .

(٢) أخبار مكة لأبي الوليد الأزرقي ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٩٥ .

يقول الأرزقي نقلاً عن بعض أهل مكة أنه انما سمي أبا قبيس لأن أول من نهض بالبناء فيه كان رجلاً يدعى أبا قبيس ، وكان هذا الرجل من اياد ، وثاني الأخشبين جبل قيعقان ، والأخشب من الجبل الخشن الغليظ ، وقيل إن الأخشب الثاني هو الجبل الأحمر ، ولكن القطبي صوّب التسمية الاولى ، وقيعقان هو جبل الهندي المعروف بهذا الاسم في الوقت الحاضر^(١).

جبل تفاحة :

يقول الغازي ، ومن جبال مكة جبل يقال له تفاحة ، وهي مولاة لمعاوية كانت أول من بنى في ذلك الجبل فسمي باسمها^(٢).
أقول : سماه الأرزقي جبل تفاحة ، بالجيم وليس بالحاء كما ذكره الغازي^(٣).

جبل النار :

يقول الغازي : هو الجبل الذي يلي جبل زرزر ، وسمي بجبل النار لأنه أصاب أهله حريق متوال^(٤).

جبل زرزر :

هو الجبل المشرف على دار منصور الحميري خال المهدي بالسويقة على حق آل نبيه بن الحجاج السهميين ، وكان يسمى في الجاهلية القايم ، وزرزر حايك كان بمكة ، كان أول من بنى فيه فسمي به^(٥).

أقول : ويفهم من هذا أن الجبل كان يشرف على السويقة وكان سوق سويقة خلف المسعى من الجهة الغربية للمسجد الحرام ، وقد أدخلت سويقة كلها بما تحويه من مبان ودكاكين في العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام عام ١٣٩٦ هـ .

جبل أبي زيد :

هو الجبل الذي يصل زرزر مشرفاً على حق آل عمر بن عثمان ، الذي يلي زقاق مهر ، ومهر كان رجلاً يعلم الكتابة هناك ، وأبوزيد هو من أهل سواد الكوفة ، كان أميراً على الحاقة بمكة ، كان أول من بنى فيه^(٦).

(١) أخبار مكة ج ٢ ص ٢٦٦/٢٦٧ .

(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٥ .

(٣) أخبار مكة ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٤) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٦ .

(٥) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٦ .

(٦) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٦ .

أقول : سمي الأزرقى هذا الجبل جبل أبي يزيد وليس جبل أبوزيد ، وكان أبوزيد هذا يتولى آل هشام بن المغيرة ، والحكاة هم الخياطون وكان أبوزيد أميراً لهم أي شيخاً عليهم^(١).

جبل الأعرج :

وهو مشرف على شعب أبي زيد - يزيد - وشعب ابن عامر ، والأعرج مولى لأبي بكر الصديق ، كان فيه فسمي به ونسب اليه^(٢).

أقول : هذا ما كتبه الغازي عن بعض جبال مكة وقد أفرد الأزرقى فصلاً خاصاً بجبال مكة وشعابها ، فصل فيه أسماء الجبال وأسباب تسميتها ومواقعها تفصيلاً وافياً في الجزء الثاني من كتابه الكبير أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، فليرجع اليه من أراد الاستزادة في هذا الباب .

وتعليقاً على ما ذكره الغازي في تسمية الجبال ، وما ذكره الأزرقى هو أن أسماء الجبال تتغير بأسماء ما يقع فيها من أحداث وما يبنى فيها أو حولها كما هو الحال في غيرها من الأماكن في كثير من الأنحاء .

(١) أخبار مكة ج ٢ ص ٢٩٦ .
(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٦ .

بعض المساجد في مكة وحولها

ذكر الغازي بعض المساجد التي بمكة وحولها وأسباب تسميتها ومواضعها ونورها فيما يلي :

مسجد الاجابة :

جاء في تحصيل المرام عن مسجد الاجابة : وهذا المسجد بالابطح ، ويسمى بالبطحاء وبخيف بني كنانة ، وهو المسمى الآن بالمعبدة ، وحده الى جبل ثقبه ، والموضع الذي نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو الموضع المسمى بمسجد الاجابة^(١) أقول : وفي المدينة المنورة مسجد صغير في داخل المدينة لا يبعد كثيراً عن المسجد النبوي الشريف يسمى كذلك مسجد الاجابة .

مسجد الجن :

قال الأزرقى وهو الذي يسميه أهل مكة مسجد الحرس ، وإنما سمي بهذا الاسم ، لأن العسس يجتمعون عنده ليلاً قال : وهو فيما يقال الموضع الذي خطه الرسول صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع اليه الجن ، وأن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، ذكره في الاعلام ، وفي أنحاف فضلاء الزمن .

تعمير مسجد الجن بالمعلاة :

وفي سنة اثنتي عشرة ومائة وألف عمّر ابراهيم بك مسجد الجن بالمعلاة ، لأنه درس ودُفن تحت الأرض مع كثرة السيول وتطاول الأزمان حتى أنهم غرسوا في ذلك المحل بعض أشجار وبستان - كنبق - وبعض الریحان ، وكانوا يسمونه الجنينا ، فأحضروا المهندسين والعلماء ، وحفروا عن ذلك الموضع ، وظهر محراب المسجد الذي أسلم الجن فيه (تحت الأرض) ،

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٧ .

وبادروا بقطع تلك الأشجار ، وتنظيف تلك البقعة ، ثم بُني فيه مسجد صغير على حَدِّه الأصلي ، ووضعوا المحراب على ما كان عليه ، وجعلوا على أعلا المسجد قبة ، ثم بنوا مسجداً آخر على سطح المسجد الماثور ، مسجد كبير بقبة عظيمة ، وجعلوا في جانب القبة^(١) ومحراباً وسدوا القبة وفتحوا من أطراف القبة لأجل الماء ، وجعلوا بجانبه حنفية لطيفة بابها من داخل المسجد المذكور الذي خط عليها النبي صلى الله عليه وسلم ونهاه أن يخرج عن هذا الخط والدائرة وعمروا هذا المحل أحسن مسجد بأحسن البناء ، انتهى . . . الخ^(٢) .

تسمية مسجد الخيف :

في حديث الغازي عن مسجد الخيف قال :

الخيف ما ارتفع من الأرض ، وانحدر من الجبل ، ومسجد مني المشهور يسمى مسجد الخيف لأنه في سفح جبلها ، ذكر ذلك في تحصيل المرام^(٣) .

تاريخ بناء مسجد عرفة :

ويسمى مسجد ابراهيم نسبة الى الخليل ابراهيم عليه السلام ، وفي هذه النسبة اختلاف بين العلماء .

يقول الغازي : ولم يذكر الأزرق تاريخ بنائه ، وذكر ابن عبد البر أن هذا المسجد بني بعد مصير الأمر لبني هاشم بعشر سنين - هكذا نقله - عن ابن عبد البر الشيخ / خليل في توضيحه على مختصر ابن الحاجب ، وعلى هذا بني المسجد في أوائل عشر الخمسين .

وفي العقد الثمين : المسجد الذي يصلي فيه الامام بالناس يوم عرفة ليس من عرفة على مقتضى ما ذكره ابن الصلاح والنووي ، وكلام المحب الطبري يقتضي أنه منها ، وقيل أن مقدمه من عرنة بالنون ومؤخره من عرفة بالفاء^(٤) .

تسمية المزدلفة :

سميت بالمزدلفة لازدلاف الناس اليها أي اقترابهم واجتماع الناس اليها ، وقيل لمجيئهم اليها في زلف من الليل - أي ساعات الليل .

ويقال للمزدلفة جمع ، قيل لاجتماع آدم وحواء فيها ، وقيل لجمع الصلاتين فيها^(٥) .

(١) الكلمة هنا غير واضحة .

(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٨ / ٧١٩ .

(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧٢٩ .

(٤) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤ ، ٥ .

(٥) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٥ .

تعليل اسم منى :

سميت بذلك لما يُمنَى بها من الدماء - أي يراق - وهو المشهور ، والذي ذكره جمهور اللغويين وغيرهم ، وقيل لأن جبريل قال لآدم حينما أراد فراقه تَمَنَّ ، فقال آدم : أتمنى الجنة ، فسميت بذلك لأمنية آدم ، هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ، أو لاجتماع الناس بها لأن العرب تسمي كل مجتمع للناس منى ، وقيل لأن الله تعالى منَّ على الخليل عليه السلام بفداء ابنه اسماعيل عليه السلام بها ، أولمَنَّ الله تعالى على عباده بالمغفرة الى غير ذلك^(١) .

سبب تسمية التنعيم :

سميت بذلك لأن جبلا عن يمينها يقال له نعيم ، وآخر من شمالها يقال له ناعم والوادي نعيان^(٢) .

سبب تسمية الجعرانة :

سميت الجعرانة باسم امرأة من قريش يقال لها رايطة ، براء وطاء ومهملتين ، بينهما مشاة تحتية بنت كعب ، ولقبها جعرانة ، وهي امرأة أسد بن عبد العزيز ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها هي التي نزل فيها قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كآلي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴾ .
وعلى ذكر الجعرانة يقول الغازي .

الفضة في الجعرانة :

جاء في السالنامة الحجازية : وادي الجعرانة وادٍ مبارك كثير الأنوار ، وبه أحجار تستخرج منها الفضة ، وقد سمع بذلك بعض الصواغين بمكة ، وهو أبو بكر الملا ، فخرج الى الجعرانة ووجد شيئا من الأحجار فاخترها ، واستخرج منها فضة ، فكان الخارج بقدر المنصرف ، فترك ذلك ، ولو فعل ذلك ذو قوة بآلات وعدد لربما يستخرج منها ما يحصل له ربح ، انتهى ...^(٣) .

أقول : السالنامة الحجازية كما علمت هي الجريدة الرسمية أو نشرة رسمية في أواخر العهد العثماني ، كانت تصدرها الحكومة العثمانية بمكة ، وما جاء في هذه النشرة عن الفضة في الجعرانة إذا كان صحيحاً فربما كان ارتفاع أثمان الفضة في الوقت الحاضر يجعل استخراجها إن وجدت بكميات تجارية ذات جدوى اقتصادية ، وعلى أي حال فان وزارة البترول والثروة

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢١/٢٠ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٥ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٧/٥٦ .

المعدنية هي الجهة ذات الاختصاص في هذا الشأن ، وربما كان لديها من الدراسات ما يدلُّ على وجود الفضة في الجعرة أو ينفيه ، وقد ذكرنا الأمر لدلالته على أفكار الناس قبل ما يزيد على قرن من الزمان .

الخرمانية :

سميت بذلك لأن بها حائط - بستان - يسمى خرمان وهو بئنية أذاخر^(١).

جبل الهندي :

نسبة الى الشيخ تاج الدين ابن زكريا بن سلطان الهندي النقشبندي ، وكان له رباط بسفح جبل قيقعان ، ولما تُوفي دفن فيه ، وجبل قيقعان يسمى في الوقت الحاضر جبل الهندي^(٢).

حوض البقر :

كان حوضاً لسقيا الدواب وهو من الأحواض المتصلة بقنوات عين زبيده ، لا يصل الماء من نعمان إلى عرفه ومنى^(٣).

أقول : حوض البقر في الوقت الحاضر أصبح ضاحية من ضواحي مكة المكرمة التي تموج بالعمران ويسمى حالياً « العزيزية » وهو من أجمل الأحياء بشوارعه الفسيحة التي تمتد على جوانبها العمران ، وتقوم عليها العمارات الشاهقة ، والخوانيت الكثيرة ، وتضيئه الكهرباء فسبحان مغير الأحوال .

لقد أدركت حوض البقر وهو خلاء يهرع بعض الناس اليه في الليالي الشديدة القيظ فينامون فيه التماساً لنسمة هواء باردة ، ثم بدأ العمران يدبُّ اليه قليلاً قليلاً فاكثفوا بتسميته - الحوض - وأبطلوا كلمة البقر ، وما لبث أن عمَّ العمران واتصلت مكة به أو اتصل بها فسمى العزيزية كما أسلفت .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٦٠ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٧٠ / ٢٧١ .
(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٢٩٤ .

أسوار مكة

ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز شيئاً عن أسوار مكة ، وقد ذكر الشيخ / عبدالله الغازي في افادة الأنام أسوار مكة بتفصيل أوفى نوره فيما يلي :

سور المعلاة :

كانت مكة في قديم الزمان مسورة ، فجهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبدالله بن عمر الى الجبل المقابل له ، وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد ، أهده ملك الهند الى صاحب مكة ، يقول صاحب الاعلام الذي نقل عنه الغازي .
وقد أدركنا منها - من الجدار - قطعة جدار كان فيه ثقب للسيل ، قصير دون القامة وكان صنع باب السور « بكتباية » من بلاد الهند في سنة ست وثمانين وسبعمائة ، وأهدى للسيد / أحمد بن عجلان - أمير مكة في ذلك الزمان - ورَّجبه على باب المعلاة عنان بن مغامس بن رميثة في سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، لما ولى أمرة مكة بعد مقتل محمد بن أحمد بن عجلان .
ثم أحرق ذلك الباب بالنار حتى سقط على الأرض ، وهدم كذلك عدة مواضع من سور باب المعلاة من جانبه ، وسبب ذلك أن جند السيد / رميثة بن محمد بن عجلان منعوا جند عمه السيد حسن من دخول مكة ، لما ولى أمر مكة عَوْضَ رميثة في ثامن عشر من رمضان في هذه السنة ، فقام بعض جنود السيد حسن بهدم عدة مواضع من السور كما قاموا باحراق باب السور حتى سقط الى الأرض .

ثم أمر السيد حسن ببناء ما تهدم من السور ، وعَوْضَ عن الباب المحترق بباب جديد انتزع من بعض دوره بمكة ، وكان الباب الحديد يقل عن الباب المحترق في الحجم فزيد فيه حتى تم اكماله ، ووضع في مكانه من السور في ثاني عشر ذي القعدة من العام المذكور .

سور الشبيكة :

وكان في جهة الشبيكة سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة

وكان في السور بابان بعقدين ، أدركنا أحد العقدين يدخل منها الجمال والأحمال ثم تهدم شيئاً فشيئاً الى أن لم يبق منه شيء الآن ، ولم يبق منه إلا فج بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج ، وهذا التعليق لصاحب الاعلام الذي نقل عنه الغازي .

سور المسفلة :

وكان بمكة سور في جهة المسفلة في درب اليمن ، يقول صاحب الاعلام ، لم ندركه ولم ندرك آثاره .

سور آخر بأعلى مكة :

وذكر التقي الفاسي نقلاً عن من تقدم، أنه كان لمكة سور من أعلاها دون السور الذي تقدم ذكره ، قريباً من المسجد المعروف بمسجد الراية ، وكان من الجبل الذي الى جهة القنطرة ، ويسمى لعلع ، الى الجبل المقابل الذي الى جهة سوق الليل ، قال : وفي الجبل آثار تدل على اتصال السور به . انتهى .

يقول التقي الفاسي : ولم يبق من آثار هذا السور شيء مطلقاً .

ويقول التقي الفاسي عن تاريخ انشاء هذه الأسوار : فما عرفت متى أنشئت هذه الأسوار بمكة ولا من أنشأها ، ولا من عمرها ، غير أنه بلغني أن الشريف أبا عزيز قتادة بن ادريس الحسيني ، جدُّ ساداتنا أشرف مكة أدام الله عزهم وسعادتهم هو الذي عمرها . قال الفاسي : وأظن أنه كان في دولته عمر السور الذي أعلا مكة ، وفي دولته سهلت العقبة التي بنى عليها سور باب الشبيكة ، وذلك من جهة المظفر صاحب أربل سنة ستمائة وستة ، ولعله الذي بأعلام مكة ، والله أعلم^(١) .

أقول : التقي الفاسي مؤرخ مكة كان من مواليد سنة سبعمائة وخمس وسبعين ، وتوفي سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين ، وهو مؤلف كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، وكتاب شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام وهو ممن عاصروا القرنين الثامن والتاسع الهجريين^(٢) أما الشريف قتادة بن ادريس فقد وصل الى مكة بقومه من ينبع وهاجم أميرها الشريف مكث واستخلصها لنفسه في سنة خمسائة وسبعة وتسعين للهجرة^(٣) .

وتعليقاً على ما ذكره التقي الفاسي في تعمير الشريف قتادة لأسوار مكة إن ذلك غير مستبعد لأن الشريف قتادة كان أميراً طارئاً على مكة قدم اليها من ينبع وأراد تحصينها بالأسوار بعد أن استولى عليها من امرائها أشرف مكة .

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ١٨٤ - ١٨٧ .

(٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين .

(٣) تاريخ مكة للسباحي ص ٢٢٤ / ٢٢٥ .

تسقيف المسعى :

ذكر الشيخ / الغازي في افادة الأنام مايلي :

في سنة ألف وثلاثمائة واحد وأربعين أمر الشريف الحسين الملك الهاشمي بعمل سقيفة للمسعى ، وكانت المسعى مكشوفة ، وكان الساعون بين الصفا والمروة يتعرضون لحرّ الشمس ولفح السموم حين سعيهم ، وقد أورد الشيخ الغازي الأبيات الشعرية الجميلة التي سجلت هذا الحدث للشاعر الأديب الشيخ / فؤاد الخطيب والتي سجلت على باب سقيفة المسعى من جهة الصفا ، كما أورد الأبيات الشعرية التي نظمها الشاب الأديب صالح قزاز ، والتي سجلت على باب سقيفة المسعى من جهة المدعي .

وهذه أبيات فؤاد الخطيب :

نضّر الله تعالى ورعى	ملك العرب الحسين الأروع
مرّت الأجيال لم يرفع لهم	غيره الظلّ الذي قد رفعا
وهي الاسلام في خيرها	فهو ظل الدين والدنيا معا
ضجّ بالشكر وبالحمد له	كل من طاف ولبى ودعا
وجزى القزاز من همته	خير ما يجزي به من نفعا
صدق الذي قال لنا	ليس للانسان إلا ما سعى ^(١)

أقول الشيخ / فؤاد الخطيب كان وزيراً لخارجية الملك الشريف الحسين بن علي ، وهو شاعر عربي كبير ، وأصله من لبنان ، وكان على اتصال بالملك حسين وأولاده ، وفي عهد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ، جاء الى الحجاز فعينه الملك عبدالعزيز يرحمه الله سفيراً للمملكة في أفغانستان ، وابنه الآن من سفراء المملكة في الخارج ، أما القزاز الذي أشار اليه الخطيب قائلاً :

وجزى القزاز من همته خير ما يجزي به من نفعا
فهو الشيخ / عبد الوهاب قزاز من أعيان مكة المكرمة ، وكان وزيراً للنافعة في زمن الملك حسين ، ووزارة النافعة في الاصطلاح الهاشمي إذ ذاك تعني وزارة الأشغال في زماننا هذا .
أما الشاب الأديب صالح قزاز الذي سجلت الأبيات التي نظمها في سقف المسعى من جهة المدعي ، فهو الشيخ / صالح قزاز أمين رابطة العالم الاسلامي يرحمه الله فيما بعد وهو من رجالات مكة المعروفين^(٢) .

أقول : ولقد أدركت السقيفة التي أمر بانشائها الملك حسين والتي أشاد بها الشعراء في حينه ، وقد أزيلت هذه السقيفة في العهد السعودي ، وأبدلت بسقف جميل المنظر تحمله

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥١/٥٠ .

(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب .

أعمدة حديدية متقنة الصنعة ، وذلك في عهد تولى الشيخ / عبدالرؤوف الصبان أمانة العاصمة في مكة المكرمة ، وذكرت ذلك في أعلام الحجاز وأنقل هنا بعض ما كتبه في ذلك . كانت المسعى في بعض أجزائها مكشوفة تحترقها الشمس ، فكان الناس يتحاشون السعي في أوقات الحرارة ، ويؤدون نسكهم بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر أو في الليل في أوقات الصيف ، وكان القسم الآخر مسقوفاً بسقف من الخشب كثيب المنظر ، ان حمى من حرّ الشمس فهو لا يحمي من المطر في الشتاء . . . الخ .

ثم قلت : تقدم الشيخ / عبدالرؤوف الصبان الى المسؤولين باكمال تجميل المسعى ، وذلك بإزالة السقف القديم المتآكل الكثيب المنظر بسقف جميل حديث مرتفع قائم على أعمدة حديدية ، وكان هذا السقف مع رصف أرض المسعى وتبليطه أول تحسين ادخل على شارع المسعى في التاريخ ان صح هذا التعبير الى أن تم العمل العظيم الكامل بادخال المسعى نفسه كاملاً في الحرم الشريف في التوسعة السعودية كما هو بوضعه الحاضر^(١) .

وعلى ذكر المسعى فقد أورد الشيخ / الغازي رواية عن حادثة وقعت في مكة المكرمة في زمن الملك قايتباي سلطان مصر ، وكان له تابع من التجار مقرّب من قايتباي أرسله السلطان الى مكة ليدبر أمور تجارتها فيها . وليقوم له بتعمير مدرسة باسمه ، كما أمره باجراء بعض العبارة في المسجد النبوي الشريف ، وبناء مدرسة له بها ، واجراء العين الزرقاء الى المدينة المنورة .

ذكر الغازي أن هذا التاجر واسمه الخواجة شمس الدين بن الزمن استأجر ميضأة كانت بين الميادين الأخضرين عمرها السلطان شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون ، فقام شمس الدين هذا بعد استئجارها بهدمها وأراد انشاء رباط له في مكانها ، وأدخل مقدار ثلاثة أذرع في أرض المسعى وباشر بحفر الأساس لبناء الرباط المذكور ، ولكن قاضي القضاة بمكة برهان الدين بن علي بن ظهيرة الشافعي منعه من ذلك فلم يمتنع ، فجمع القاضي ائمة علماء مكة وذهب بنفسه الى المسعى ، وذهب معه العلماء وقاموا باتخاذ محضر أثبتوا فيه الاعتداء على أرض المسعى ، وأوقفوا العمل في البناء ، ولكن التاجر شمس الدين لم يستسلم لذلك ، واستصدر أمراً من السلطان قايتباي بإتمام البناء وعزل القاضي ابن ظهيرة ، وأمر أمير الحاج المصري في ذلك العام ، يَشَبْكُ الجمال باستئناف البناء ، ووقف بنفسه ليلاً على المكان وأمروا البنائين بالعمل الى أن صعد البناء على وجه الأرض ، وجعل ابن الزمن بناء هذا رباطاً وسبيلاً وبني في جانبه داراً ، وصَغَّر الميضأة وجعل لها باباً من سوق الليل وكان ذلك في سنة ثمانمائة وخمس وسبعين ، ويعلق مؤرخ مكة الذي نقل عنه الغازي هذه القصة فيقول :

ويا لله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه عن فضله وخيرته ، وكيف ارتكب هذا الجرم

(١) انظر تفصيل ذلك في أعلام الحجاز ج ١ ص ١١١/١٠٩ .

باجماع المسلمين طالباً به الثواب ، وكيف تعصّب له سلطان عصره ، الملك الأشرف قايتباي مع أنه أحسن ملوك الجراكسة عقلاً وديناً وخيرية ، وهو يأمر بفعل هذا الأمر المجمع على حرمة في مشعر من مشاعر الله تعالى ، وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهي عن منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم انتهى^(١).

أقول : أخذت ابن الزمن العزّة بالإثم فلم يطق أن يُصدّ عن أمر أراد انفاذه وهو يعلم مكانه من السلطان وكان حرياً به أن لا يخلط بين السيئة والحسنة ، ولكن النفوس اذا تسلط عليها الهوى ، أعمى بصيرة أصحابها ، وقد رأى ابن الزمن من سبقه الى البناء على أرض المسعى وجوانبها فلم ير ما يحول بينه وبين ذلك ، وبإدخال المسعى في المسجد الحرام انقطع الطريق على كل من تسول له نفسه بشيء ، فجزى الله القائمين على هذا العمل العظيم خير الجزاء .

أوليات في مكة

هاشم بن عبدمناف أول من سن الرحلتين :
كان القرشيون تجاراً يمارسون التجارة ويتكبدون لها الأسفار ، وكانوا يقومون برحلتين في العام رحلة في الصيف الى الشام ، ورحلة في الشتاء الى اليمن ، وكانوا ينقلون في الرحلتين من عروض التجارة الى كل بلد ما يطلبه البلد الآخر ، وكانت ترد الى مكة منتجات البلدان المختلفة مع الحجاج القادمين اليها ، والتي كانت تباع في الأسواق المقامة في الحجاز في عكاظ ومجنة ، وذو المجاز ، وقد ذكر القرآن الكريم رحلتي الشتاء والصيف في سورة قريش .
وجاء في افادة الأنام أن هاشم بن عبدمناف الجد الثاني للرسول صلوات الله وسلامه عليه هو أول من سن الرحلتين لقريش ، وهو كذلك أول من أطعم الثريد ، واسمه عمرو ، وإنما سُمي هاشماً لهشمه الخبز وثرده لقومه كما قال الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف
سُنَّتْ اليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ، ورحلة الأضياف^(١).

الخليفة الراضي يبني أنصاب الحرم بالتنعيم :

كان الخليفة الراضي العباسي ، هو الذي أمر ببناء المعلمين الكبيرين لأنصاب الحرم بالتنعيم وذلك في سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين للهجرة ، واسمه مكتوب عليها .

وصاحب اربل يبني أنصاب عرفة :

كما أمر المظفر صاحب اربل بعمارة العلمين الذين هما حد الحرم من جهة عرفة ، في سنة ستمائة وست وعشرين للهجرة ، وقال ابن فهد أن بناء المظفر كان في سنة ستمائة وخمس في شعبان .

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ١٦٦ .

وهي أعلام ثلاثة بين منتهى أرض عرفة ، ووادي عرفة ، والمظفر هو كوكبري ابن علي بن بكتكين صاحب اربل .

اصلاحات العيون وايصالها الى مكة والمشاعر :

عقد الشيخ الغازي بحثاً طويلاً عن اصلاحات العيون وايصالها الى مكة والمشاعر ، وقد رأيت أن أنقل بعض ما جاء فيه ، وخاصة الاصلاحات التي لم يصل خبرها الينا ، فمن المعلوم أن السيدة/ زبيدة ، زوجة الرشيد الخليفة العباسي ووالدة الخليفة الأمين أجرت الماء الى مكة في العهد الأول للخلافة العباسية ، وأخبار هذه العين وما بذلته فيها من أموال كتب عنها المؤرخون ، واشتهر أمره ، فسميت العين باسم زبيدة ، واستمر هذا الاسم متداولاً في مكة في جميع العهود والأزمان ، وقد كانت في مكة ادارة لهذه العين تسمى عين زبيدة حتى عهد قريب .

ولما تضخم العمران في مكة المكرمة وما حولها ، وفي مدن المملكة عامة ، عمدت الدولة الى تحلية مياه البحر ، وقامت مصانع التحلية في شواطئ البحار لاستخراج الماء العذب ومُدَّتْ له الأنابيب لتخترق الأودية السحيقة ، والجبال الشاهقة ، والصحاري المترامية ، فتمد مدن المملكة بالماء العذب ، وأضيفت اليه مياه العيون السابقة لتقابل النمو العظيم المتزايد في تعداد السكان ، وانتشار العمران ، فكان هذا العمل العظيم من أعظم الانجازات التي تشهدها بلادنا الحبيبة في هذا العهد الذي نعيش فيه .

بعد هذه المقدمة ، لعل من واجب المؤرخين أن لا ينسوا ما قام به الأسلاف من مجهودات عظيمة أصبحت في ذمة التاريخ ونحن اذ نسجلها الآن فانما نذكر بالخير من قاموا بانجازها وبذلوا الأموال ، والجهود العظيمة في هذا السبيل ، ثم نحمد الله تعالى على ما ننعم به في الوقت الحاضر مقارنة بما كان يلقاه أسلافنا من مشقات ، ومتاعب .

ولما كان تاريخ الماء في مكة والمشاعر حولها تاريخ طويل لا يتسع له هذا البحث فقد رأيت الاختصار على بعض الحوادث الهامة التي حدثت في العهد العثماني ، أما الحوادث السابقة لذلك ، فقد أعرضت عن ذكرها تجنباً للاطالة والملالة وبوسع القارئ الاطلاع عليها في كتاب الغازي إن رغب في ذلك^(١) .

ونبدأ الحديث عن كلمة يتداولها الناس في الحجاز هي كلمة « بازان » :

بازان :

يطلق الناس في الحجاز وفي مكة خاصة اسم « بازان » على موارد الماء التي يستقون منها الماء حينما كانت العيون تُجْرُ الى المدن ، وتصنع لها موارد يستقي منها الناس ، ولعل هذه النسبة

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٧٧/ ٢٧٧ .

تعود الى رجل اسمه عمر بازان ، أرسله الى مكة نائب السلطنة بالعراقين الأمير جوبان بن تلك بن تداون ، وكان نائباً عن السلطان أبي سعيد خدابنده ملك التتروكان الماء قد شحَّ في مكة وعرفة ، وكان الناس في جهد عظيم من قلة الماء ، فقد كانت الراوية^(١) من الماء تبلغ قيمتها في الموسم عشرة دراهم ، وفي غير الموسم سبعة .

ورغب الأمير جوبان المذكور ، انشاء عمل خيري بمكة ، فدلَّه بعض الناس على عين كانت تجري قديماً وتعطلت ، فندب بعض ثقاته وأرسل معه خمسين ألف دينار ، وجهزه في الموسم سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فلما قضى حجه تأخر بمكة ، واشتهر أمره ، فاعلم بعين عرفة فنأدى بمكة : من أراد العمل بالعين فله ثلاثة دراهم في كل يوم ، فهرع اليه العمال ، وخرج بهم الى العمل فلم يشق على أحد منهم ، ولا استحثه ، وانما كانوا يعملون باختيارهم ، فأتاه جمع كثير من العرب وعمل حتى العشاء الى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة في ثامن عشر جمادي الاولى من هذه السنة ، فكانت مدة العمل أربعة أشهر ، وكثر النفع بهذه العين وعظم ، وصرفه الى مكة والى مزارع الخضروات .

وكان جملة ما صرف عليها في هذه العمارة مائة وخمسين ألف درهم^(٢) .

أقول : هذا ما ذكره الشيخ / الغازي ، وقد وجدت في كتاب بدائع الزهور ، في أخبار سنة خمس وعشرين وسبعمائة أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون هو الذي أجرى هذه العين ، قال ابن اياس :

وفيهـاـ في السنة المذكورةـ أرسل السلطان جماعة من البنائين الى مكة وأجرى بها عين ماء ، وهي العين المعروفة بعين بازان ، فحصل لأهل مكة بها غاية النفع وهي الآن جارية ويعم نفعها أهل مكة^(٣) .

قربة الماء الصغيرة بدینار ذهب :

أورد الغازي عن كتاب بلوغ القرى في حديثه عن الماء ما يلي :

قال العلامة قطب الدين رحمه الله : ثم انقطعت - العين - في أوائل الدولة العثمانية بهذه الأقطار الحجازية ، وبطلت العيون لقلة الأمطار - وتهدمت قنواتها - وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة ، وصار أهل مكة يستقون من الآبار حول مكة ، من ابيار يقال لها « العسيلات » في علو مكة قريباً من المنحنى ، ومن آبار في أسفل مكة يقال لها « الزاهر » وتسمى الآن بالجوخي في طريق التنعيم ، وكان الماء غالباً قليل الوجود ، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها ، وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الأمكنة البعيدة ، وصار فقراء

(١) الراوية هي القربة من الماء .

(٢) الفادة الأنام جلد ٢ ص ٢٩٨/٢٩٩ .

(٣) بدائع الزهور جلد ١ ص ٤٥٧ .

الحجاج في يوم عرفة لا يطلبون شيئاً غير الماء لعزته ، ولا يطلبون الزاد ، وربما جلب بعض الأقوياء - الماء - من أماكن بعيدة للبيع فيحصلون أموالاً من ذلك لغلو ثمنه .

قربة الماء الصغيرة بدينار من الذهب :

يقول القطبي : وأني أذكر أنه في سنة تسعمائة وثلاثين قلّ الماء في الآبار البعيدة أيضاً فارتفع سعر الماء جداً في يوم عرفة ، وكنت يومئذ مرافقاً في خدمة والدي رحمه الله ، وفرغ الماء الذي حملناه من مكة ، وعطش أهلنا ، فطلبت قليلاً من الماء للشرب ، فاشتريت قربة ماء صغيرة جداً يحملها الإنسان بأصبعه بدينار من الذهب ، والفقراء يصيحون من العطش ، يطلبون من الماء ما يبلّ حلقوقهم في ذلك اليوم ، فشرب أهلنا بعض تلك القربة ، وتصدّقوا بباقيها على بعض من كان مضطراً من الفقراء ، وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون .

والغيث يأتي من السماء :

فأمطرت السماء ، وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته ، والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ، ويسقون دوابهم ، وحصل البكاء الشديد ، والضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه وإحسانه إليهم وتكرمه عليهم .
يقول القطبي : ولا أزال أتذكر تلك الساعة وما حصل فيها من اللطف العظيم من كرم الله العليم^(١) .

الماء في سنة ألف ومائة وأربعين :

ونقل الغازي : من حوادث سنة أربعين ومائة وألف عن الوقوف بعرفة قال : كانت الوقفة بالسبب ، ولم يحصل من المخالفات شيء ، وكانت الوقفة في غاية الأمن وإنما شاق - شق - على الناس قلة وجود الماء ، فقد بيعت القربة بثلاثين دوان^(٢) .
أقول : الدواني أو الديواني وحدة من العملة العثمانية ، فصلّناها في أعلام الحجاز نقلا عن السباعي^(٣) ، ونستطيع أن نستخلص من هذا أن سعر الماء في سنة ألف ومائة وأربعين كان رخيصاً جداً بالنسبة لما ذكره القطبي عن سعر الماء في سنة تسعمائة وثلاثين أما جلب الماء من الآبار فقد كان الحجاز كله يعاني من شح الماء وقتله .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٣٢٧/٣٢٩ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٣٧٢ .

(٣) انظر أعلام الحجاز ج ٣ ص ٣٨ .

وفي كتابي ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز تحدثت عن الماء في جدة وعن أنواعه وما يجلب منه من العيون أو الآبار أو يؤخذ من البحر فليرجع اليه من شاء الاستزادة^(١).

ابنة السلطان سليمان تنفق على اجراء الماء الى مكة وعرفات :

كان الماء شحيحاً في مكة وعرفة ومنى ، وتاريخ العيون واجراؤها في هذه الأماكن ثم توالي توقفها تاريخ طويل ليس هنا محل بسطه ، ولكننا استوقف نظري فيما أورده الشيخ الغازي من هذا التاريخ ما قامت به الأميرة خانم سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني التي تقدمت الى والدها السلطان سليمان في أوائل سنة تسعمائة وتسع وستين ، أن يأذن لها في الانفاق على ايصال الماء الى عرفات ، وكانت عين عرفات قد انقطعت ، وأصبح الحجاج يعانون كثيراً من فقدان الماء وغلاء ثمنه ، وكان السلاطين العثمانيون منذ أن صار لهم حكم الحجاز يوالون اصلاح العيون في مكة وعرفة ، وكان قاضي مكة عبد الباقي بن علي المغربي ، والأمير خير الدين سنجدار جدة ، قد رفعوا الى السلطان سليمان تقريراً عن عين عرفات التي انقطعت من سنوات طويلة ، وكان في تقديرهم أن اصلاح هذه العين وايصالها الى مكة يقضي على مشكلة الماء في هذه الأماكن المقدسة ، وقدروا المال اللازم للمشروع بثلاثين ألف دينار فلما علمت الأميرة خانم سلطان بفحوى هذا التقرير التمسست من والدها السلطان سليمان أن يأذن لها بالانفاق على هذا المشروع تشبهاً بالسيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد التي أجرت العين المسماة باسمها الى مكة ، وكانت هذه العين قد انقطعت عن البلد الأمين بتعاقب القرون .

أذن السلطان لابنته الأميرة بالقيام بهذا العمل الجليل ، واختار اسناد هذه المهمة الجلييلة الى الأمير الكبير ابراهيم باشا ، دفتردار مصر ، ودفعت له الأميرة خمسين ألف دينار ذهباً بزيادة عشرين ألف دينار مما قدره قاضي مكة لاصلاحها .

سافر ابراهيم باشا بحراً من مصر ، ووصل الى مكة لثمانين بقين من ذي القعدة سنة تسع وستين وستمائة ، وبعد مقابلة أمير مكة الشريف حسن بن أبي نغمي ، وشيخ الاسلام بمكة القاضي حسين الحسني ، والاستماع الى آرائهما ، باشر العمل فبدأ أولاً بتنظيف بعض الآبار التي يستقي منها الناس ، ثم توجه الى عرفات ، وقام بفحص مجاري العين ومشاربها وتتبع الدبول والقنوات التي يجري فيها الماء ، وأقام بوادي نعمان ، وكان قد أحضر معه للقيام بأعمال الحفر والتنظيف أربعمائة مملوك ، واستخدم البنائين ، والحجارين ، والقطاعين والتجارين والعمال الذين بلغ تعدادهم ألف رجل للعمل في المشروع ، وكان قد أحضر معه من مصر كلماً ظن أنه لازم للعمل من مكاتل ومساحي ، ومجاريف ، وحديد ، وفولاذ ، ونحاس ، وورصاص ، وقسم العمال الى فرق متعددة أوكل لكل فرقة مساحة من الأرض

(١) ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز ص ١٥٢/١٥٤ .

يعملون فيها ، وكان يقدر أن العمل سينتهي خلال عام واحد ، وكان التقرير المقدم الى السلطان يقدر أنه اذا تم تنظيف القنوات التي كان يجري فيها ماء عين زبيدة ، واصلاح ما تهدم منها ، وتعميرها يمكن الوصول الى عين عرفات ، ومن ثم العمل الى اعادة جريانها كما كانت في عهد زبيدة ، ولكن المفاجأة التي حدثت أنه حينما اتصل عمل ابراهيم باشا بعمل زبيدة لم يجد العمال دبلأ ولا آثار عمل وتبين لابراهيم باشا أن زبيدة اصطدمت بصلاية الحجر ، وعدم امكان قطعه في تلك المنطقة فلجأت الى عين حنين وأنه اذا أراد ابراهيم باشا ايصال عين حنين الى هذا المكان ، فانه يحتاج الى شق قناة - دبل - منقور تحت الأرض في الحجر الصوان بطول ألفي ذراع بذراع البنائين ، وكان مما يصل الى الاستحالة نقب ذلك الحجر تحت الأرض ، لأنه يحتاج الى أن يتعمق في الحفر الى خمسين ذراعاً .

وقام ابراهيم باشا بمحاولة أخرى ، هي الحفر في وجه الأرض حتى يصل الى الحجر الصوان ، ثم أخذ يوقد عليه النار ، ويقول المؤلف ان ابراهيم باشا أوقد حمولة مائة حمل من الحطب الجزل في ليلة كاملة ، وكان العمل في مساحة مقدارها سبعة أذرع في خمسة أذرع من وجه الأرض ، وكانت النار لا تعمل إلا في العلو ، فاذا نزلت عن وجه الأرض قل تأثيرها فيلين بالحجر من جانب السفلى بمقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطاً ، فيكسر بالحديد الى أن يصل الى الحجر الصلب الشديد ، فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى وهلمَّ جرّاً الى أن ينزل في ذلك الحجر مقدار خمسين ذراعاً في العمق في عرض خمسة أذرع الى أن يستوفي ألفي ذراع تقطع على هذه الصورة .

ويعلق المؤلف فيقول : وذلك يحتاج الى عُمر نوح ، ومال قارون ، وصبر أيوب ، ولم ير ابراهيم باشا بداً في الاستمرار في العمل بهذه الطريقة التي وصفناها ، حتى فرغ الحطب من جبال مكة ، فصار يُجلب من المسافات البعيدة ، وغلا سعره ، وضاق الناس بذلك ، وتعب الأمير ابراهيم وذهبت أمواله وماليكه ، وهو يتجلد عن ذلك الى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع ، وصار كلما فرغ المال الذي لديه طلب من مصر مالاً ، حتى بلغ ما صرف على المشروع خمسمائة ألف دينار ذهباً من الخزائن العامرة ، وتوفي ابراهيم باشا ناظر العمارة في سنة تسعمائة وأربع وسبعين ، بعد استمراره في العمل خمس سنوات ، فأُسند الأمر من قبل أمير مكة الى سنجق جدة الأمير قاسم بك ، ورفع الأمر الى السلطان في الأستانة للموافقة ، وتوفي السلطان سليمان ، وتولى بعده السلطان سليم ابنه ، فاختر لإكمال مشروع العين ، دفتر دار مصر في ذلك الزمان محمد بك المككي وحضر الدفتر دار المذكور الى مكة ، وشرع في العمل ولكنه توفي في سنة تسعمائة وست وسبعين ، ولم يتم انجاز المشروع فأعيد الأمير قاسم سنجق جدة لمباشرة العمل ، وأقره السلطان سليم على ذلك ليكون أميناً على مصارف العمل وأسند النظارة الى قاضي القضاة بمكة حسين الحسيني ولكن الأمير قاسم توفي في منتصف سنة تسعمائة وتسع وسبعين ، وما زال للعمل بقية ، فأمر السلطان سليم أن يتولى قاضي القضاة حسين

الحسيني القيام به ، وأراد الله إتمام المشروع بعد خمسة شهور من إسناد العمل الى قاضي قضاة مكة كما ذكرنا ، ووصل الى مكة لعشرين يقين من ذي القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة وقد استمر العمل في مشروع اىصال الماء الى مكة نحو عشر سنوات ، وكان المقدرله عاماً واحداً ، وبلغ ما صرف على هذا المشروع خلال هذه العشر سنوات خمسة لكوك وسبعة آلاف دينار ، وكان المقدرله ثلاثين ألف دينار ، وقد رغبت ابنة السلطان سليمان العثماني أن يكون لها شرف هذه الصدقة الجارية تشبهاً بزييدة زوجة الرشيد فدفعت من مالها خمسين ألف دينار ولكن المشروع تضاعفت تكاليفه مائة ضعف فأنفقت عليه الدولة العثمانية من خزائنها طيلة عشرة أعوام ، واذا كانت الأميرة العثمانية لم تحقق ما أرادت ، فإن لها ثواب النية الطيبة والأعمال بالنيات .

أقول : خمسة لكوك بمعنى خمسة ملايين والكلمة هندية وهي تعني المليون ومفردها لُكٌ .

الاحتفال باىصال الماء الى مكة :

احتفل الناس في مكة بوصول الماء احتفالاً عظيماً وصفه صاحب الاعلام بقوله :
وكان ذلك اليوم عيداً أكبر عند الناس ، وزال بوصول ذلك الماء الى البلد كل هم وبأس ، وأقام قاضي مكة الذي أكرمه الله تعالى بإتمام المشروع على يديه « اسمطة » موائد عظيمة في الأبطح ، في بستان له هناك ، دعا اليها الأكابر والأعيان ، ونصب لهم السراذقات والصيوان ، وذبح أكثر من مائة من الغنم ، ونحر عدة من الأبل والنعم ، وقدم للناس على صفاتهم الموائد والنعم ، وخلع على أكثر من عشرة من المعلمين والبنائين والمهندسين حللاً فاخرة وأحسن الى باقيهم بالانعامات الوافرة ، وتصدق على الفقراء والمساكين شكر الله تعالى على هذه النعمة الجزيلة ، وزُفَّت البشائر بها الى السلطان سليم خان ، والى صاحبة الخيرات بلقيس الزمان ، حضرة خانم السلطان ، فأنعمت بالأنعامات الجزيلة على سائر المبارين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجزيلة ، وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار اليه ترقيات عظيمة ، وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالي والأيام الى آخر ما ذكره صاحب الاعلام^(١).

مقدار ما أنفقتة زبيدة على اىصال الماء الى مكة :

أورد الشيخ الغازي مقدار ما أنفقتة السيدة زبيدة على اىصال الماء الى مكة فقال :
« انه ألف ألف وسبعمئة ألف مثقال من الذهب » قالوا : وأحضر القائمون بالعمل دفاترهم لتطلع عليها ، وكانت في قصر عالٍ مشرفٍ على نهر دجلة ، فأخذت الدفاتر وألقته في النهر وقالت : تركنا الحساب ليوم الحساب ، فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ،

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٣٤٦/٣٣١ .

ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه ، وألبستهم الخلع والتشارييف ، فخرجوا من عندها حامدين شاكرين^(١).

أقول : لقد أجرت السيدة زبيدة العين المسماة باسمها والتي كانت من الأعمال العظيمة في التاريخ قبل سبعمائة سنة من تاريخ اجراء العين الجديدة التي أرادت بها ابنة السلطان سليم التشبه بزبيدة يرحمها الله ، وبذلت من مالها الخاص ما قدّرت أنه يكفي لإتمام المشروع العظيم ، وإذا كانت لم تتمكن من إتمامه من مالها الخاص ، فقد كان لها فضل سبق والبداية ، والنية الحسنة ، فجزاها الله خير الجزاء .

لجنة من أثرياء الهند تجمع المال لإصلاح العين :

قصة الماء في مكة كما قلنا لها تاريخ طويل ، فلا يكاد يتم وصول الماء الى مكة ويفرح الناس به إلا وينقطع بعد سنوات تقصر أو تطول ، وضمن ما أورده الشيخ / الغازي من أخبار العيون والآبار المتعلقة بمكة انه في عام ١٢٩١ ، اجتمع جماعة من علماء مكة المشرفة بالشريف عبدالله باشا أمير مكة ، وهم السادة / الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة ، والشيخ / عبدالله الشيبني فاتح بيت الله الحرام ، والشيخ / عبدالرحمن جمال ، والشيخ / عبدالقادر خوقير وغيرهم ، وعوّلوا كما يقول الشيخ / الغازي على جمع المال من أهل البر والاحسان لإصلاح عين عرفات ، واصلاح عين حنين واجرائها لاعانة عين عرفات ، فوفق الله تعالى أصحاب الهمم العالية ، الراجين ثواب الله سبحانه ، منهم المرحوم الشيخ / أحمد أفندي المشاط ، فانه دفع مائة جنيه ، وجمع من تجار الهند بجدة مبلغاً ، وصادف وجود أشخاص كرام مثل الحاج / عبدالواحد الشهير بوخدانة الميمني ، والحاج / عبدالله عرب الميمني ، فساعدوا على هذا العمل الخيري أحسن مساعدة ، وعمرّوا ما تيسر لهم تعميره الى أن جرى الماء بمكة واستراح الناس قليلاً ولكنهم عملوا وتحققوا أن الأمر مهم ، ويحتاج الى نفقات هائلة .

وفي سنة خمس وتسعين ومائتين وألف رغب الحاج / عبدالواحد وخدانه والحاج / عبدالله عرب وبعض جماعة معها في القيام بهذا العمل الخيري ، وذلك بالتفرغ له وجمع الاعانات من كل الجهات الاسلامية .

وصل الرجلان الى مكة ومعهم من يترجم حديثهم الى اللغة العربية ، وقابلوا أمير مكة في ذلك الوقت وهو الشريف الحسين الشهير فيما بعد بالشهيد ، وشرحو للأمر ما ينوون القيام به ، فشكرهم ، وأثنى على همتهم وقال لهم ، حيث ان الحكومة تدفع سنوياً مبلغ ألف جنيه عثماني لعين زبيدة ، فلا بد من استئذائها في الأمر ، وذكر لهم أنه سيبحث الموضوع مع الوالي التركي ، وكان الوالي في ذلك الزمن ناشد باشا .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٨٧ / ٢٨٨ .

قابل الرجلان ناشد باشا ، وعرضوا عليه ما اعتزما عليه ، واتفق الشريف والوالي على أن يكتبوا سوية الى الاستانة للحصول على الموافقة المطلوبة من الدولة ، وكتبوا ، وجاء الاذن بالموافقة على الشروع في العمل .

شكّل الأمير والوالي لجنة تضم جماعة من الأشراف والأهالي وأفاضل المجاورين مثل فضيلة الشيخ / رحمه الله الهندي ، واجتمعت اللجنة وشرعوا في جمع التبرعات التي افتتحها أمير مكة بمبلغ سبعمائة وخمسين ريالاً مجيداً وتلاه الوالي بمائتين وخمسين ريالاً ، وتوالى التبرعات من التجار والأهالي كل على قدر استطاعته ، وتعينت لادارة المشروع لجنة رئيسها الفخري الشيخ / عبدالرحمن سراج مفتي الأحناف والحاج / عبدالواحد خوندا أميناً للصندوق ، ومفوضاً بالنظر والتصرف وكتبت اللجنة الى جميع الجهات الاسلامية وأعلنوا عن مشروعهم في الصحف بلغات عديدة ، وكان المدير التنفيذي باصطلاح عصرنا هذا هو الحاج عبدالواحد الميمني ، وكانت الخطوات التنفيذية تتم بعد اطلاع اللجنة عليها والمداولة فيها وتقرير ما يجب تنفيذه ، ولا يتم الاقدام على عمل إلا بقرار من اللجنة المذكورة .

تجمع في صندوق اللجنة مقدار عظيم من المال يقول المؤلف :
وساعدتهم الحكومة المحلية على هذا العمل الخيري أتم مساعدة ، ولم تجعل منها عليهم يداً أصلاً ، إلا بالمساعدة عندما يحتاجون اليها .

وباشرت اللجنة عملها فاستقدمت من الهند المهندسين والصناع ، وخرجوا بهم الى عرفة وحققوا المسافة بين مكة وبين عين زبيدة من وادي نعمان ، فوجدوا أنها تنوف على سبعة عشر ألف متر ، ورأوا أن البدء بالعمل من عين زبيدة من عرفت أنفع فشرعوا في العمل باجتهاد تام ، وقاموا بالحفر من بعد حدود عرفة الى وادي نعمان ، فبحثوا وحفروا في أسفل الدبل نحو ستمائة ذراع ، بنوا فيها عدة خريزات دفنوا بعضها ، وأبقوا البعض الآخر لسقيا العربان .
كما شرعوا من مكة في تنظيف الدبول وتعمير ما تحرّب منها حتى وصلوا الى المفجر وأوصلوا الماء الى منى « بالآلة النارية » من المفجر ، ونحتوا لأجل ذلك بعض الجبال ، وواصلوا العمل حتى وصلوا الى عرفة ، وبنوا في عملهم هذا عدة خريزات في طريق مكة ، كما بنوا بازانات بمكة منها ، بازان الشعب ، وبازان سوق الليل ، وبازان القشاشيه ، وبازان اجياد ، وبازانين بحارة المسفلة ، وبازان بحارة الباب ، وبازان الشبيكة ، وبازان الشاميه ، وبازان سوق المعلاة الذي يسمي بازان التماره .

وعمرّوا ما كان خراباً ، وزادوا عليه موارد الماء بالبلدة ، وقطعوا الجبل الطويل الكائن بأول مكة ، وهو الريع المعترض وسط الطريق المشهور بريع الرسام وبنوا به دبلاً طويلاً يجري فيه الماء الى حارة جروول ، وبنوا في حارة جروول بازانا عظيماً يستقي منه الناس ، وكذلك أجروا عملاً آخر من جهة العين الأصلية بمكة وهي عين الزعفرانة « والشحاحيد » المعينة لعين حنين ومكثت اللجنة التي كان رئيسها الحاج عبدالواحد الميمني تعمل بعزم وهمة نحو

ثلاث سنين ، ثم حصل الضعف في عملهم شيئاً فشيئاً ، وكان الماء جارٍ بمكة أحسن جريان .

كان صندوق عين زبيدة في ذلك الزمان عامراً بالنقود المتواردة عليه من التبرعات بصورة دائمة من الهند وغيرها ، واستمر كذلك الى أن حدثت المخالفات من أمين الصندوق . ثم تدخلت الحكومة المحلية في أمر النقود الموجودة في صندوق عين زبيدة ، بتناول شيء منها احتاجوه وصرفوه في بعض تعميرات لازمة للحكومة ، فلما بلغ أهل الهند ذلك توقفوا عن ارسال الاعانات ، وكان ذلك سبباً في استياء هيئة اللجنة ، حتى أوقفوا الأعمال ، ثم استعفى الرئيس وأكثر أعضاء اللجنة ، وسافر الحاج وخدانه بعد ذلك بنحو عامين الى الهند ، وتشكلت لجنة جديدة محلية . ويقول المؤلف : ان المبلغ الذي كان في صندوق عين زبيدة ، عند الأخذ منه نحو سبعة وخمسين ألف جنيه^(١) .

أقول : ان العمل العظيم الذي قام به أثرياء الهند المسلمين باصلاح العيون التي تمد مكة وعرفات بالماء هو عمل مشكور ، وقد قام هذا العمل بأموال المسلمين الذين رغبوا التقرب الى الله تعالى بالصدقة الجارية بتوفير الماء في بلد الله الحرام ، والمشاعر المقدسة ، وقد سار العمل سيره الحسن ، واستمر عدة سنوات الى أن طمع الطامعون في أموال العين فمدوا أيديهم اليها لتصرف في غير ما جمعت له ، فانصرف القائمون على العمل وأمسك المنفقون أموالهم ، وعادت أمور الماء في مكة الى ما كانت عليه قبل ذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ولقد ورد ضمن أسماء أعضاء اللجنة التي شكلت لهذا الغرض اسم الشيخ رحمت الله العثماني مؤسس المدرسة الصولتية بمكة ، وقد ترجمنا له في الجزء الثاني من أعلام الحجاز^(٢) ، والشيخ عبدالرحمن سراج مفتي الأحناف بمكة المكرمة ، وقد ترجمنا له في الجزء الثالث من أعلام الحجاز^(٣) ، فليرجع اليها من شاء الاستزادة . وما دمننا بصدد الماء في عرفة ومكة نذكر هنا ما أورده الغازي مما يتصل بالموضوع .

أول من اتخذ الحياض بعرفة :

نقل الغازي عن كتاب أسد الغابة : ان عبدالله بن عامر بن كريز هو أول من اتخذ الحياض بعرفة وأجرى عليها الماء ، وقد جدّد السلطان سليمان العثماني هذه الحياض وجددت بعده مراراً .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٣٧٧/٣٨٦ .

(٢) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٨٦/٣١٣ .

(٣) أعلام الحجاز ج ٣ ص ٣٣٩/٣٧٢ .

يقول صاحب تحصيل المرام : وهي الآن عمارة مملوءة من عين عرفة^(١) .
أقول : عبدالله بن عامر بن كريز صحابي جليل ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتي به النبي وهو صغير فقال صلوات الله وسلامه عليه هذا يشبهنا ، وجعل يتفل عليه ويعوده ، فجعل عبدالله يبتلع ريق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فقال صلى الله عليه وسلم : انه لمسقي ، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء .
وهو ابن خال عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان من ولاية عثمان رضي الله تعالى عنه وافتتح خراسان كلها ، وأطراف فارس وسجستان ، وكرمان ، وزابلستان ، وبعث الجيوش ففتح هذه الفتوح كلها ، وفي ولايته قتل كسرى يزديجرد فأحرم ابن عامر من نيسابور بعمرة وحجة شكراً لله تعالى ، وكان من الأجواد الممدوحين ، وفي ولايته للبصرة اشترى دوراً فهدمها وأنشأ بها سوقاً بالبصرة ، وتوفي ابن عامر سنة سبع وقيل سنة ثمان وخمسين وأوصى الى عبدالله بن الزبير^(٢) .

مكان للشنق يتحول الى سبيل :

ومن الطرائف التي أوردها الغازي في حديثه عن السفايات ذكر الحادثة التالية نقلاً عن ابن فهد قال :

وفي سنة سبع عشرة وثمانمائة أنشأ عطية المطيري سبيلاً بالمروة ، وكان موضع هذا السبيل قبل ذلك معداً للشنق ، فقال شعبان الأتاري في ذلك :

بمكة دار كــــان للشنق ركنها وأضحت سبيلاً بعد كل بلية
وأضحى لسان الحال منها يقول قد رضيت من المولى بخير عطية
وقال شاعر آخر :

بمسعى رسول الله دار معدة لشنق فصارت للأنام سبيلاً

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٢٠ .

(٢) انظر ترجمته مفصلة في أسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٨/٢٨٩ وانظر كتاب عثمان بن عفان ذو النورين ص ٦٢/٦٥ .

المدارس حول المسجد الحرام

أدركت مكة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، وكثير من البيوت الملاصقة للحرم الشريف تدعى بالمدارس ، فيقال مثلاً مدرسة الباسطية ، ومدرسة الداودية ، وما إلى ذلك ، ولم تكن هذه البيوت التي تسمى بالمدارس إلا منازل للسكن يسكنها بعض أهل مكة ويعيشون فيها كما يعيش الناس في بيوتهم ، والميزة الوحيدة التي كانت تميزها عن غيرها من المنازل أن لها نوافذ مشرعة على المسجد الحرام وفي أسفل كل منها غرفة مطلة على المسجد يصلي بها الناس مؤتمنين بامام الحرم الشريف ، وخاصة في الأوقاف التي يزدحم فيها المسجد بالمصلين كأيام الجمع والأعياد ، وأوقات الحج والعمرة ونحو ذلك .

وكنّت أعجب لتسمية هذه الأماكن بالمدارس ، وليست مخصصة للدرس والتدريس ، وقد أزيلت هذه المدارس جميعها مع ما أزيل من بيوت مكة في التوسعة الأولى للمسجد الحرام في العهد السعودي ما بين عامي ١٣٨٥ - ١٣٩٦ للهجرة^(١) ، وقد اختفت هذه التسمية نهائياً بإزالة هذه البيوت .

وقد وجدت في كتاب الشيخ / عبدالله الغازي - إفادة الأنام - أسباب تسمية هذه الأماكن بالمدارس لأنها كانت مدارس حقيقية في الأصل بنيت لغرض التدريس ، وأوقفت على نشر العلم وعين لها المدرسون ، ويؤخذ من الفصل الذي خصصه الغازي لهذا الموضوع أن المدارس التي كانت موقوفة بمكة المكرمة ، أحد عشر مدرسة نوجز هنا ما ذكره عنها لأهميته التاريخية .

يقول الغازي : أما المدارس الموقوفة بمكة فهي أحد عشر مدرسة فيما علمت ، منها بالجانب الشرقي من المسجد الحرام مدرسة الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن ، أوقفها على فقهاء الشافعية ، وتعرف الآن ، بابن عبّاد الله ، وهي على يمين الخارج من باب النبي .

(١) انظر المعلومات التفصيلية عن العمارة السعودية للمسجد الحرام في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ص ٤٣ - ٥٢ .

مدرسة الباسطية :

ومنها بالجانب الشمالي منه مدرسة بدار العجلة على يمين الخارج من باب المسجد المعروف بباب العجلة ، وتعرف الآن بمدرسة عبدالباسط أوقفها على أئمة مقام الحنفي . . . انتهى .
وذكر ابن فهد في حوادث سنة أربع وثلاثين وثمانمائة أن القاضي عبدالباسط اشترى الدار المذكورة وأمر - استاداره - ركن الدين عمر الشامي بأن يقيم بمكة المشرفة ويعمرها مدرسة ، وكانت هذه الدار مدرسة للأمين ارغون الناصري ، نائب السلطنة بمصر عن ابن موله الناصر محمد بن قلاوون ، فاستولى عليها بعض الأشراف (أولاد راجح ابن أبي نغمي) وباعوها في هذه السنة ، وفي سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ابتدئ في عمارتها ، ولم تنقض هذه السنة إلا فرغ من عمارة أسفلها ، وغالب علوها ، فدرّس بها في العشر الأول من ذي الحجة قاضي القضاة : جمال الدين أبو السعادات بن ظهيرة .
وفي سنة ست وثلاثين أكملت العمارة . . . انتهى^(١) .

أقول : يفهم من تاريخ هذه المدرسة أنها بنيت أولاً للأمين ارغون نائب السلطنة بمصر عن ابن موله الناصر محمد بن قلاوون ، ثم باعها بعض أشراف مكة على القاضي عبدالباسط ، فعمرها ما بين عامي ٨٣٤ ، ٨٣٦ هجرية ، وقد تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون السلطنة في مصر ثلاث مرات كانت الاولى سنة ٦٩٣ ، والثانية سنة ٦٩٨ ، والثالثة سنة ٧٠٩ الموافقة للسنوات الميلادية ١٢٩٣ ، ١٢٩٨ ، ١٣٠٩ ، ويبدو أن شراء هذه المدرسة لابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون كان في أواخر القرن السابع الهجري ، أو أوائل القرن الثامن الهجري ، كما يتضح من تاريخ ولايته الثلاث ، ولم يوضح المؤلف كيف تسنى للأشراف الذين ساهم ، بيع هذه المدرسة للقاضي عبدالباسط الذي أعاد بناءها بعد مائة وثلاثين سنة من تشييدها وإيقافها فقد اكتفى المؤلف بقوله استولى عليها أولاد الشريف راجح بن أبي نغمي ، ولعل انتهاء حكم سلاطين المماليك البحرية ، وقد كان السلطان قلاوون وأولاده منهم في سنة ٧٨٣ للهجرة الموافقة لسنة ١٣٨١ للميلاد ، واستيلاء سلاطين المماليك الجراكسة على الحكم في مصر .
أقول لعل ذلك من الأسباب التي أدت الى الاستيلاء على المدرسة وبيعها مرة أخرى^(٢) .

تهدم المدرسة الباسطية :

وقد ذكر الغازي عن هدم وقع بالمدرسة الباسطية وما آلت اليها فقال :
وفي احدى عشر جمادي الثانية من سنة ست وثلاثين ومائة وألف تطبقت المدرسة الباسطية - تطبقت أي تهدمت - سقوفها على بعضها لتفجر بارود كان بها .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤١/٤٤٢ .

(٢) انظر ما يتعلق بتولى السلطان الناصر بن قلاوون السلطنة في مصر وانتهاء حكم المماليك البحرية - كتاب المماليك للدكتور السيد الباز العريفي ص ٢٦٧/٢٦٩ .

وينقل الغازي ما آلت اليه فيقول :
وهي الآن في حوزة الشريفة سعدية بنت سعد بن زيد تأخذ كراها ، وكانت موقوفة على
التدريس . . . الخ^(١) .

مدرسة دار السلسلة :

يقول الغازي : وفي الجانب الغربي من الحرم الشريف ثلاث مدارس ، مدرسة الأمير فخر
الدين نائب عدن على باب العمرة ، وتعرف بدار السلسلة ، أوقفها على علماء الحنفية سنة
خمسمائة وتسع وسبعين .

وقد أورد الغازي تفصيلاً عن دار السلسلة نذكره فيما يلي :

وفي سنة ٥٧٩ وصل الى مكة صاحب عدن الأمير عثمان بن علي الزنجبيلي ، خرج منها فاراً
أمام سيف الاسلام المتوجه الى اليمن ، وبالرغم من أنه تعرض لأخذ كثير من الأموال
والأثقال التي كانت معه من قبل سيف الاسلام ، إلا أنه وصل الى مكة ، وكان قد ابتنى بها
داراً ، بعد أن قدم نفيس ذخائره ، وناجي ماله ، وجملة رقيقه وخدمه ، وكان حاله لا يوصف
كثرة واتساعاً ، وكان موصوفاً بسوء السيرة مع التجار ، وكانت المنافع التجارية كلها راجعة
اليه ، والذخائر الهندية المجلوبة كلها واصله اليه .

وأوقف مدرسته التي عند باب العمرة للحنفية ، وتعرف الآن بدار السلسلة وأوقف الرباط
المقابل لها ، ويعرف برباط الهنود .

يقول الغازي : والمدرسة هي الآن بأيدي بعض الأشراف من أولاد أمراء مكة^(٢) .

أقول ؛ ذكر الغازي في الخبر الأول عن مدرسة السلسلة أن الذي بناها هو الأمير فخر
الدين نائب عدن ، وذكر في الخبر الثاني أنه الأمير عثمان بن علي الزنجبيلي ، وتاريخ بناء
المدرسة في الخبرين واحد وهو عام ٥٧٩ هجرية ، فربما كان فخر الدين لقباً لعثمان المذكور ؟ .

مدرسة طاب الزمان :

ومدرسة طاب الزمان عتيقة المستنصر العباسي - وهو الموضع المعروف بدار زبيدة - أوقفها
طاب الزمان في شعبان سنة خمسمائة وثمانين على عشرة من الفقهاء الشافعية .

مدرسة الداودية :

ومدرسة الملك المنصور عمر بن علي صاحب اليمن بين هاتين المدرستين - بين دار السلسلة
وطاب الزمان - وكانت عمارتها في سنة ستمائة واحد وأربعين ، وتعرف الآن بالداودية أوقفها
الملك المنصور على الفقهاء الشافعية والمحدثين .

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٦٧ / ١٦٩ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣١٤ / ٣١٥ .

أقول : أدركت الداودية عام ١٣٥٢ للهجرة وما بعدها ، وهي تدعى بهذا الاسم ، وكان الشيخ / حسين نظيف أحد أدباء مكة يسكن بها .

مدرسة العينية :

يقول الغازي : ومنها بالجانب الجنوبي مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن أوقفها على الفقهاء الشافعية ، وتعرف الآن بالعينية ، يسكنها قضاة مكة ، وتاريخ وقيمتها في شهر ذي القعدة سنة سبعمائة وتسع وثلاثين .

مدرسة الملك غياث الدين صاحب بنقالة :

ويواصل الغازي حديثه عن المدارس فيقول :

ومنها بالجانب اليماني مدرسة الملك المنصور غياث الدين صاحب بنقالة وهي موقوفة على الفقهاء من المذاهب الأربعة ، وجعل الواقف المنازل بعلوها ، وهي إحدى عشرة خلوة محلاً لسكنى جماعة من الفقهاء أوقفت سنة ثمانمائة وأربع عشرة ، انتهت عبارة تحصيل المرام . ونقل الغازي عن الفاسي في شفاء الغرام تفصيلاً أكثر عن مدرسة الملك غياث الدين فقال : بالجانب اليماني مدرسة الملك المنصور غياث الدين أبي المظفر أعظم شاه ، ابن السلطان السيد الشهيد اسكندر شاه ، ابن السلطان شمس الدين صاحب بنجالة ، وهي للفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة ، وكان المتولي لشراء عرصتها وعمارتها ووقفها من يديه لذلك وغيرها من مصالحها التي تذكر ، وفوض إليه النظر خادمه المكين ، وثقته الأمين ياقوت السلطان الغياثي ، وكان الشراء لعرصتها ، والنخيل وسقيه الموقوفتان عليها الآتي ذكرهما اثني عشر ألف مثقال ، في أول شهر رمضان من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

ثم أعيد عقد البيع على ذلك في شهر شوال من السنة المذكورة لموجب اقتضاه الحال . وفي شهر رمضان المذكور ابتدئ في هدم ما كان في موضعها من الأبنية ، وفيه أيضاً ابتدئ في بنائها ، وفرغ من ذلك في آخر صفر سنة أربع عشرة وثمانمائة .

وقرروا فقهاء فيها أربعة من المدرسين ، وهم قضاة مكة الأربعة يومئذ ، وستون نفرًا من المتفقهين ، عشرين من الشافعية وعشرين من الحنفية وعشرة من المالكية وعشرة من الحنابلة .

وجعل الواقف المنازل التي بعلوها ، وهي إحدى عشرة خلوة محلاً لسكنى جماعة من الفقهاء خلاف واحد منها ، فانه جعلها خاصة للمدرسة المذكورة .

وكان ابتداء التدريس بها في ضحوة يوم السبت سابع جمادي الآخرة سنة أربع عشرة وثمانمائة ، على الحالة التي قدرت عين الوقف ، في تعيين أوقات التدريس بها في أيام الأسبوع ، فكان تدريس الشافعي ضحوة يوم السبت .

وكان تدريس الحنفي في ضحوة يوم الأحد ، وضحوة يوم الأربعاء ، وضحوة يوم الخميس .

وكان تدريس المالكي فيما بين الظهر والعصر أيام السبت والأحد والاثنين ، وباشرت ذلك من حين ابتدائه .

وكان تدريس الحنبلي فيما بين الظهر والعصر من يومي الأربعاء والخميس . وأوقف الواقف على المدرسين والفقهاء ، والسكان بالمدرسة المذكورة ، وعلى مصالحتها ما اشتراه ، وذلك حديقتان وسقية ماء ، فأما الحديقتان فتعرف أحدهما بسلمة ، والأخرى بالحل ، وهما بالضبعة المعروفة بالركابي بوادي مُرٍّ من أعمال مكة المشرفة ، وأما سقية الماء فهي أربع وجبات من قرار عين الضبعة المذكورة ، وجبتان منها تعرفان بحسين بن منصور ليله ونهاره ، والوجبتان الأخيرتان تعرفان بحسين بن يحيى ليله ونهاره ، وجعل الواقف المذكور الربيع المتحصل من ذلك في كل سنة يقسم خمسة أقسام ، قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم ، وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية بينهم ، وقسم منه يقسم ثلاثة أقسام ، قسم منه يصرف في مصالح المدرسة المذكورة من الزيت والماء ، وغير ذلك ، والقسمان الآخران من هذا القسم يصرفان للسكن بالمدرسة المذكورة بالسوية بينهم .

وفي النصف الآخر من ذي الحجة من السنة المذكورة ، وقف الواقف المذكور على المدرسة المذكورة داراً تقابلها تعرف بدار أم هانئ اشتراه الواقف بخمسمائة مثقال ، وعمرها في السنة المذكورة ، وأوقفها على مصالح المدرسة المذكورة .

وسافر الواقف من مكة بعد حجّه في هذه السنة لاعلام مخدومه السلطان غياث الدين بذلك ، فلم يُقدّر اجتماعهما ، لأن ياقوت مات في شهر ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة بجزيرة هرموت ، ومات السلطان غياث الدين في أوائل سنة خمسة عشرة تغمده الله برحمته .

نهاية مدرسة غياث الدين :

ويواصل الغازي كلامه عن المدرسة المذكورة نقلاً عن كتاب بلوغ القرى فيقول : وفي يوم الأربعاء عاشر شهر المحرم سنة أربع وتسعين وثمانمائة شرع في هدم المدرسة البنجالية السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات ، وكأنه استأجرها أو صرفت له بمرسوم شرعي ، والله أعلم .

ويقول صاحب كتاب بلوغ القرى :

وعمرت قاعة بَصْفَةٍ ، وتحت ذلك حاصل بيبٍ له من المسجد ، وبابٌ بيب المسجد المعروف بام هانئ ، وفوق القاعة مقعد يخرج على باب الحرم . . . انتهى^(١) .

(١) الفادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤٣ / ٤٤٩ .

أقول : لا شك أن السلطان غياث الدين الذي أنفق الأموال الطائلة على شراء البيوت وتشيد مدرسته العظيمة بملحقاتها ، وبما أنفقه من الأموال كذلك في شراء النخيل ووجبات الماء لتصرف غلتها على المدرسة ومدرسيها وطلابها ، لا شك أن الرجل بعمله العظيم هذا يبتغي وجه الله تعالى ، وهو مجازيه على عمله الطيب ، فانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ولكن السؤال الذي يستوقف القارئ هو ، كيف يضيع هذا العمل الطيب هباءً بعد زمن طويل أو قصير . ؟ فقد تم انشاء المدرسة وأوقف عليها ما أوقف ، ورتب لها المدرسين من قضاة مكة المكرمة على المذاهب الأربعة في سنة ثمانمائة وأربعة عشر ، وبعد ذلك بثمانين عاماً تهدم المدرسة ويعمر بدلها قاعة ومقعد ودكان بعد أن تصير ملكيتها الى الشريف جمال الدين محمد بن بركات ؟ . الذي يقول عنه صاحب كتاب أم القرى انه استأجرها أو صرفت له بمرسوم .

ولم يتحدث صاحب الكتاب عن الوقف الذي أوقفه السلطان وهو الحديقتان وسقيا الماء فلا بد أن تكون قد امتدت لها الأيدي كما امتدت الى المدرسة ذاتها وملحقاتها ، ونستطيع أن نتصور أن وفاة السلطان غياث الدين ووفاة خادمه الذي قام بالعمل كله ، وبُعْدُ سلطنة بنقالة عن مكة المكرمة ، وعدم تفقد العمل الجليل الذي خلفه السلطان غياث الدين ، قد انتهى به الى ما ذكرنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مدارس أخرى :

وذكر الغازي مدارس أخرى فقال :

ومنها مدرسة أبي علي بن أبي زكريا قرب المدرسة المجاهدية ، وتاريخ وقفها سنة خمس وثلاثين وستمائة .

ومنها مدرسة الأرسوقي بقرب باب العمرة ، وهو العفيف عبدالله بن محمد الأرسوقي .

ومنها مدرسة ابن الحداد الهدوي بقرب هذه المدرسة ، وتعرف الآن بمدرسة الأشراف الأدارسة لاستيلائهم عليها ، وتاريخ وقفها شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة وهي على المالكية .

ومنها مدرسة النهاوندي بقرب الموضع الذي يقال له الدرية ، ولها نحو مائتي سنة فيما أحسب والله أعلم ، ذكره الفاسي في شفاء الغرام^(١) .

مدرسة قايتباي :

كلّف السلطان قايتباي وكيله وتاجره الخواجة شمس الدين محمد بن عمر الشهير بالزمن وشاد العماثر سنقر الجمالي أن يحصل له موضعاً يشرف على الحرم يبني به مدرسة يدرس فيه علماء المذاهب الأربعة ، ورباطاً يسكنه الفقراء ، ويعمر له ربوعاً ومسقفات يحصل منها

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤٩ .

ربيع يقسم منه على المدرسين والفقراء ، وأن تقرأ له رُبْعَةٌ في كل يوم يحضرها القضاة الأربعة والمتصوفون ويقرر لهم وظائف ، ويعمل مكتب للأيتام وغير ذلك من جهات الخير . فاستبدل له رباط السدرة ، ورباط المراغي ، وكانا متصلين ، وكان الى جانب رباط المراغي داراً للشريفة شمسية من شرايف بني حسن ، اشتراها منها وهدم ذلك جميعه ، وجعل فيه اثنتين وسبعين خلوة ومجمعاً كبيراً مشرفاً على المسجد الحرام ، وعلى المسعى الشريف ، ومكتباً ومأذنة ، وسير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف المذهب وقرر فيها أربعة مدرسين على المذاهب الأربعة ، وأربعين طالباً ، وأرسل خزانة كتب أوقفها على طلبة العلم ، وجعل مقرها المدرسة المذكورة ، وجعل لها خزانة عين له مبلغاً^(١) . وفي سنة ٨٨٤ للهجرة كان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين ، أحدهما من ناحية باب السلام ، والثاني من ناحية باب الحريريين على يد الأمير سنقر الجمالي يرحمه الله .

نهاية وقف قايتباي :

وقد ذكر الشيخ الغازي : النهاية التي آلت اليها أوقاف السلطان قايتباي ونقلها هنا بنصها يقول الغازي :

وقد استولت عليه - على الوقف - أيدي النظار والمستفيدين ، وقد ضاع غالباً إلا القليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وجعل الواقف في ذلك المجمع للقضاة الأربعة حضوراً بعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرأون ثلاثين جزءاً من القرآن العظيم . أما في زماننا هذا فالتدريس المشار اليه قد بطل والرابعة لا يحضرها سوى (الجاوا) نواباً عن المسحقين ، وهذه المعينات أغلبها أكمل بل جميعه ، فإننا لله وإنا اليه راجعون ، وجعل فقيهاً يعلم أربعين صبيّاً من الأيتام ، وجعل لأهل الخلاوي ما يكفيهم من القمح ، وجعل مثل ذلك للمدرسين ، وهذا أيضاً شيء دَرَسَ ، وجعل للمدرسين والمؤذنين وقرأء الحديث والأجزاء مبلغاً من الذهب يصرف لهم كل سنة ، وهذا أيضاً درس ، وإن قصدوا أصحاب هذه الوظائف بشيء في بعض السنين فعلى حدّ قول المتمثل من الشاة اذنها ، والحكم لله تعالى العلي القدير .

ومن عدة ربوع ودور تغلّ كل عام نحو ألف ذهب ، ووقف عليهم بمصر قرى وضياح كثيرة وجوباً كثيرة تحمل الى مكة كل عام .

وصارت المدرسة سكناً لأمر الحج أيام الموسم ، وسكناً لغيرهم من الأمراء في وسط السنة ، وعمل من الخيرات العظيمة ما لم يعمل ذلك سلطان قبله وهو باقٍ الى الآن ، إلا أن الأكلّة من الدول استولت على هذه الأوقاف تستغلها النظار كل عام وتأخذها الدولة ، وهذه الأوقاف قد آلت الى الخراب ما لم تتدارك ، والدوام لله تعالى .

(١) افادة الأنام جلد ٢ ص ٤٥٦ / ٤٥٨ .

وذكر صاحب الرحلة الحجازية - محمد لبيب البتنوني - الذي حج الى مكة سنة ١٣٢٧هـ مع الخديوي عباس باشا حلمي مصير مدرسة قايتباي فقال :
مدرسة قايتباي التي على يسار الداخل من باب السلام فانها بعد أن كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ، ولها أوقاف بمصر تصرف غلتها عليها ، ضعفت أوقافها شيئاً فشيئاً فنقلوها الى دار ضيافة كان ينزل بها أمراء الحج المصري ، ثم صار يسكنها بعض أشرف ذوي غالب وهي في أيديهم الى الآن^(١) .

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٥٨ / ٤٦١ .

مدارس السلطان سليمان العثماني

ذكر القطبي أن السلطان سليمان استبدل الأماكن التي بجانب الحرم من الجهة الشمالية وبنى بها أربع مدارس أوقفها على من ولي الافتاء من الأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة وتاريخ وقفها سنة تسعمائة وسبعين .

وقد فصل الشيخ عبدالله الغازي أمر بناء هذه المدارس وكيفية شراء السلطان سليمان لها فالأماكن المملوكة اشترت ، والأماكن الموقوفة استبدلت بغيرها مما فيه فائدة للوقف الأصلي وتم بناء المدارس الأربعة ، وعينت المرتبات للمدرسين والطلاب ، فعين لكل مدرس خمسين عثمانياً لكل يوم ، وعين للمعيد أربعة عثمانية في كل يوم ، يجهزها في كل عام ناظر الأوقاف السلطانية بالشام مع الركب الشامي الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين والطلبة وظائفهم . وقد تم إكمال عمارة المدارس الأربعة في عهد السلطان سليم ابن السلطان سليمان ، وبوشر التدريس فيها من قبل العلماء الأجلاء .

ويقدم صاحب كتاب الاعلام وصفاً شائقاً للدراسة لهذه المدارس يقول فيه :
فأنعم السلطان بالمدرسة المالكية السلطانية وهي رأس المدارس الأربعة على سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضي حسين الحسيني بخمسين عثمانياً ، ثم رقاها الى أن صارت مدرسته بمائة عثمانياً ، وأنعم بالمدرسة الحنفية السلطانية على مؤلف هذا الكتاب - صاحب كتاب الاعلام محمد بن أحمد القطبي - بخمسين عثمانياً في أواسط جمادي الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، يقول القطبي :

فأقرأت فيه قطعة من الكشف والهداية ، وقطعة من تفسير مولانا أبو السعود العمادي وأقرأت فيها درساً في الطب ، ودرساً في الحديث وأصوله ، وأنني أدرس الآن فيها تكميل شرح الهداية الذي كمله الآن العلامة الفهامة فريد دهره ووحيد عصره صاحب التصانيف الفائقة التي سارت بها الركبان ، وتداولتها العلماء فالطلبة ، في سائر البلاد ، مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضي زاده أفندي .

ويكمل صاحب الاعلام حديثه عن هذه المدارس فيقول :
وأُنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقرأ مذهب الشافعي
بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانياً ، وأما المدرسة الرابعة العثمانية فقد
جعلها المرحوم الواقف لآحياء مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فلم يوجد بمكة يومئذ من يكون
ثابتاً في مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فعدل عنه الى علم الحديث الشريف ، وجعلت تلك
المدرسة - داراً للحديث - بخمسين عثمانياً ، يقرأ فيها الصحاح الستة . انتهى^(١) .
أقول : وأود أن نذكر أن ما أورده الغازي من أخبار هذه المدارس وما ذكره صاحب
الاعلام الذي كان مدرساً بالمدرسة الحنفية وهي احدى المدارس الأربع التي بناها السلطان
سليمان يعطي لنا صورة عن بعض أوجه النشاط العلمي في مكة المكرمة في أواخر القرن
العاشر الهجري .

وقد لفت نظري ما ذكره صاحب الاعلام عن أنه كان يلقي درساً في الطب على طلبته في
المدرسة الحنفية ، ولا بد أن يكون لهذا الدرس مثيل في المدارس الأخرى ، وبالرغم من أن
الطابع الديني يغلب على هذه المدارس وهي أصلاً إنما انشئت لتعليم الطلاب المذاهب
الأربعة إلا أن النشاط العلمي في المدرسة كان متنوعاً فيما يبدو ، وقد خصصت المدرسة
الرابعة لدراسة علم الحديث لأن المذهب الحنبلي لم يكن منتشرأ في مكة في ذلك الزمان ،
وبالنسبة للمرتبات التي ذكرها القطبي يقول الشيخ / حسين عبدالله باسلامة :
ان هذه النقود العثمانية ربما كانت أجزاء من العملة الفضية .

نهاية المدارس الأربعة :

يقول الشيخ / حسين باسلامة في كتابه « تاريخ عمارة المسجد الحرام » المؤلف في سنة
١٣٥٤ هـ وأما المدارس المذكورة فهي باقية على حكمها بناءً ، وشكلاً الى هذا العصر .
وأما حالتها الحاضرة فصارت احداها مركزاً لرئاسة القضاء ، والثانية مركزاً للقضاء
الشرعي والثالثة داراً للكتب الموقوفة لعموم القراء ، والرابعة بجناحيها تصرف فيها بالبيع
أحمد باشا عامل محمد علي باشا خديوي مصر منذ مائة سنة من صدور هذا المؤلف وأصبحت
ممتلكة^(٢) .

ونستطيع أن نتصور أن السلطان سليمان الذي أنشأ المدارس الأربعة والتي كملت في عهد
نجله السلطان سليم ، أن المصروفات التي كانت تنفق على هذه المدارس ومدرسيها
وظلابها ، كانت تصل سنوياً مع أمير الحج الشامي انقطعت فتوقفت الدراسة بها ، أما
المدرسة التي تصرف فيها بالبيع أحمد باشا عامل محمد علي باشا خديوي مصر ، فلعل ذلك تم

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤٩ / ٤٥٦ .

(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٨١ .

حينما وصل محمد علي باشا خديوي مصر إلى الحجاز سنة ١٢٢٨ واستولى على الحجاز بأمر من الدولة العثمانية^(١)، وبقي أحمد باشا والياً على مكة من قبله ، فتصرف في إحدى المدارس بالبيع كما يقول الشيخ / باسلامه ، ويقول السيد أحمد زيني دحلان عن أحمد باشا هذا :
أنه تولى منصب ولاية الحجاز سنة ١٢٣٥ بعد وفاة أخيه خليل بك ، وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجاز ، فقد تولى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة أربع وأربعين ، وأعيد سنة ثمان وأربعين ، ومكث إلى سنة ست وخمسين ، وهو ابن أخت محمد علي باشا^(٢)، ولعل طول بقاء أحمد باشا في الولاية مكن له الاستيلاء على المدرسة الرابعة والتصرف فيها بالبيع .

(١) أمراء البلد الحرام ٣٢٧ .
(٢) أمراء البلد الحرام ٣٣٩ / ٣٤٠ .

مدرسة محمد باشا بسويقة

نقل الغازي بالارج المسكي مايلى :

ومن المدارس مدرسة الوزير محمد باشا بجانب رباطه ولها معلوم معين من غلال وقفه بمكة المشرقة ، وكانت في أصل الوقفية بيمارستان ، ثم قلبت مدرسة .
أقول : البيرامستان هو المستشفى باصطلاح العصر الحديث .

وقف السلطان سليمان خان :

نقل الغازي عن كتاب منائح الكرم مايلى :

وما حدث في زمن الشريف حسن أن محمد باشا وزير مولانا السلطان سليمان خان أمر أن يبنى له موضع بالقرب من الحرم يكون محلاً للفقراء وصوناً للحرم الشريف ، وأن يبنى له مساطب تصلح للمرضى ، فتكون دار الشفاء له ، وأن يبنى خارج ذلك دكاكين ويوت تؤجر وتصرف غلالها في مصلحة هذا المحل ، وأمر ببناء حمام في وسط هذا البلد يكون عظيم الشأن فبنى جميع ذلك ، وعُمرت له أوقاف كثيرة بمكة ووردت صدقاته سنة ٩٧٤ أو سنة ٩٨٤ انتهى .

الباقى من المدارس :

جاء في تحصيل المرام تعليقاً على المدارس التي بجوار الحرم مايلى :
لم يبق من المدارس إلا مدرسة محمد باشا بباب الزيادة ، والداودية ، وكذلك رباط وراء المدارس السلطانية يسكنها الفقراء وما عداها توالى عليها الأيدي . انتهى .

الأوقاف تتغير عبر الأزمان :

ذكر الغازي نقلاً عن شفاء الغرام في الفصل الخاص بالرباطات :
رباط السدرة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل من باب السلام ،

وكان موقوفاً في سنة ٤٠٠ ، وموضعه دار القوارير التي بنيت في زمن الرشيد على ما ذكر الأرزقي ودار القوارير موضعها مدرسة قايتباي . انتهى^(١).

أقول يفهم من هذا النص أن الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي تولّى الخلافة ما بين عامي ١٧٠ الى ١٩١ بنى في الجانب الشرقي من المسجد الحرام داراً سميت دار القوارير ، ثم تحولت هذه الدار بعد أكثر من مائة عام لتكون رباطاً سمي رباط السدرة ، وبعد نحو خمسمائة عام تحولت لتكون مدرسة السلطان قايتباي في سنة ثمانمائة وأربع وسبعين ، وقد تحولت هذه المدرسة في الأزمان الأخيرة لتكون منزلاً يسكنه أمراء الحج المصري ، كما جاء تفصيله في الحديث عن مدرسة قايتباي قبل .

وقد بنى السلطان قايتباي الى جانب مدرسته هذه رباطاً ، وكان مكانه رباطاً بناه قاضي القضاة أبوبكر بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم المراغي ، ولم يذكر الغازي تاريخ بناء الرباط المذكور ولكنه قديم حتماً ، وقد ذكر أن السلطان قايتباي استبدل الأماكن التي بني محلها المدرسة والرباط أي أنه اتفق مع نظار الوقف على شرائها واستبدال ما هو خير منها للوقف كما هو معلوم في مثل هذه الأحوال .

وقد استبدل السلطان سليمان العثماني رباط الخليفة الناصر العباسي الذي أوقفه سنة خمسماية وتسع وسبعين على الصوفية ، وبني في موضعه المدارس السلطانية سنة ٩٧٠ للهجرة التي سبق الحديث عنها قبل^(٢).

(١) الفادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٢/٤٦٤ .

(٢) الفادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٥/٤٦٦ .

الأربطة في مكة

الأربطة مفردها « رباط » وهي الأماكن التي تبنى ويخصص سكنها للفقراء والمحتاجين من الرجال والنساء وقد عرفت مدن الحجاز كثيراً من الأربطة التي شيّدها وأوقفها أهل الخير لهذه الأغراض ، ولاتزال لهذه الأربطة بقايا في كل من مكة والمدينة وجدة ، وقد عقد الشيخ الغازي فصلاً خاصاً عن الأربطة في مكة .

وقد وجدت فيما أورده عنها بعض الغرائب الخاصة في شروط الوقف فمن ذلك :

رباط الطبري :

رباط الحافظ أبو عبدالله بن منده ملاصق لزيادة دار الندوة ويعرف في وقته برباط الطبري وقد أوقفه بانيه على القادمين من أصفهان أربعين يوماً ، وعلى سائر الناس عشرة أشهر وعشرين يوماً .

أقول : الأربعون يوماً التي خصصت لأهل أصفهان لا بدّ وأن تكون في أيام الحج حين قدومهم حاجين الى مكة المكرمة^(١) .

رباط رامشت :

عند باب الحزورة ، ورامشت هو الشيخ / أبو القاسم واسمه ابراهيم بن الحسن الفارسي وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة من سائر العراق وتاريخه سنة تسع وعشرين وخمسمائة^(٢) .

أقول : كانت بدعة التصوف في ذلك الزمان منتشرة في العالم الاسلامي ، وكان بعضهم يلبس ملابس خاصة يعرفون بها ، وكل هذه البدع بعيدة عن صفاء العقيدة وتوحيد العبادة لله تعالى .

(١) الفادة الأنعام مجلد ٢ ص ٤٤٦ .

(٢) الفادة الأنعام مجلد ٢ ص ٤٦٧ .

رباط الشيخ / غياث الدين :
وموقعه قبالة باب الصفا ، أمر بإنشائه السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس ويقال له
رباط الشيخ غياث الدين الأبرقوهي لتوليته لأمره وعمارتها ، وتاريخ وقفه سنة سبعمائة
واحدى وسبعين ، وهو وقف على الأعاجم من بلاد فارس المجردين دون الهنود^(١).

الرباط العباسي :
وهو بالمسعى عند العلم الأخضر ، وكان مطهرة أنشأها الملك المنصور لاجين
المنصوري ، وقد حوله الى رباط الملك الناصر قلاوون الألفي^(٢).

مصير الأربطة :
نقل الغازي عن الشيخ الصباغ بعد أن أورد أسماء الأربطة الكثيرة في مكة مايلي :
قلت لم يعرف الآن شيء مما ذكر ، وقد توالى عليه الأيدي ، والموجود الآن شيء قليل
منها . . . الخ^(٣).

رباط البصري :
نقل الغازي عن الطبري في تحاف فضلاء الزمن مايلي :
وفي سنة ألف ومائة واحدى وثلاثين بنى الشيخ / سالم بن عبد الله البصري رباطاً وجعل له
ثلاث طبقات ، في كل طبقة عشرة خلاوي ومحل زائد لشيخ الرباط ، وأوقفه على آل باعلوي
وأرسل الى - الكرزار - أني قد بنيت رباطاً وأريد منكم المعونة فأجروا لنا في بندر جدة لكل
خلوة قرش ، وقرش للزيت ، وأربع قروش للسقا ، تأخذ كل سنة من بندر جدة^(٤).

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٨ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٩ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٧٠ .

(٤) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٧٤ .

ذكر من دخل مكة والمدينة من النصارى والافرنج

ذكر الغازي ما ذكره الأزرقى عن سيل الجحاف الذي دهم الناس بمكة صباح يوم التروية من سنة ثمانين للهجرة قبل الفجر ، وما أحدثه هذا السيل من الفزع فقد امتلأ الوادي بالماء وهدم البيوت الشارعة على المسجد الحرام مما اضطر الناس للاتجاه الى الجبال خشية على أنفسهم ، وكان هذا السيل في خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما علم بأمره بعث الى عامله مالاً كثيراً لاصلاح البيوت التي تخربت ، ولعمل ضفائر لها وللمسجد الحرام ، وبعث مهندساً نصرانياً للقيام بهذا العمل كما هو موضح في صفحة ٤٧٩ من المجلد الثاني من افادة الأنام .

وعلى ذكر دخول هذا المهندس النصراني الى مكة ذكر الشيخ الغازي مقالة لأحمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء في مصر ، في ذكر من زار مكة والمدينة من نصارى الافرنج وهذا نصها :

قد تمكّن طائفة من الافرنج من دخول الحجاز - ومن زيارة البقاع المقدسة والأماكن المطهرة ، ولكنهم لم يكتبوا عنها « بالمرّة » وإن كانوا كتبوا فمن باب الاستطرد ، ومن هذه الفئة :

أولاً : الثلاثة النصاري الذين رأهم « نيور » في مكة ، فقد روى أن ملاحاً انجليزياً توجه اليها في سنة ١١٧٥ للهجرة قاصداً أوربا عن طريق القسطنطينية ، وأن رجلاً آخر أتى اليمن عن طريق مكة وركب البحر سراً الى الهند ، وأن تاجراً فرنسياً ذهب الى مكة لمعالجة أمير الحج بعد أن أعطاه الأمان على نفسه ، وعلى دينه ولكنهم اضطروه في أثناء الطريق الى الدخول في دين الاسلام .

ثانياً : توماس - اكيث - وهو عسكري اسكتلندي - أسره المصريون في محاربة الانجليز مع محمد علي الكبير بمدينة الاسكندرية سنة ١٨٤١ ميلادية ، ثم أسلم وانتهى أمره أن صار والياً على المدينة المنورة ، ثم قتل في محاربة الوهابيين .

ثالثاً : انجليزي في الجيش الذي حارب محمد علي بالاسكندرية أيضاً فقد أسره المصريون ودخل الاسلام باسم عثمان ، وتمكن بدهائه من الاستحواذ على كل أموال سبيه المسلم وكان يجتهد في التوفيق بين التوراة والانجيل والقرآن .

رابعاً : الكابتن جورج فواستر ساربر ، ذهب الى المدينة في سنة ١٢٣٩ رسولاً الى ابراهيم باشا القائد المصري ، وامتاز على من عداه من الأوربيين الدين دخلوا الحجاز بأنه بقي محافظاً على زيه الأفرنجي ، ولكنه لم يقترب من أسوار المدينة .

أرسلته شركة الهند الشرقية ليهنيء ابراهيم باشا على انتصاراته ، ويعرض عليه مساعدة المراكب الانجليزية ، ثم عاد من ينبع وهو أول أوربي اجتاز شبه جزيرة العرب من الشرق الى الغرب .

سابعاً : الطلياني الذي لقي في سفره من الأهوال مالا يوصف ، وفي آخر الأمر ادعى الاسلام ، وتردد كثيراً بين مكة والمدينة وجمع له المسلمون اعانة تاجر بها فأصبح من ذوي اليسار ومشاهير التجار .

ثامناً : دوتي الانجليزي ، فقد كتب رحلته في الحجاز وما لاقاه من المشاق ولم - يرزأ - أحداً فرمي بل سيق الى الطائف والى جدة في خطب طويل .

تاسعاً : في سنة ١٢٠٠ للهجرة تمكن الدكتور المورسي الفرنسي من الحج ، وقد كان مقيماً في الجزائر ، وهو من الأوربيين الذين تمكنوا كل التمكن من زيارة الكعبة المعظمة ، وهو قد أسلم اسلاماً خالصاً لم يعتوره أدنى ريب .

عاشراً : اولانسن شارل هوبر ، فقد اقترب كثيراً من مكة ، عند عودته من - حائل - سنة ١٢٠٠ وشاهد الحرم وجباله عن بعد ، ثم تمكن بفضل مساعي خادمه من النجاة الى جدة ، وهو مدفون بها ، وقبره موجودٌ الى الآن في جبانته ، وقد صورته كور تلمون بالفتوغرافية وطبعه في رحلته قال :

وهناك طائفة من الافرنج المستقلين المتظاهرين بالاسلام ، وقد كتبوا كثيراً أو قليلاً عن الحرمين الشريفين ، ودونوا ما شاهدوه في موسم الحج ، وما وصلوا اليه من المعلومات الصادقة أو البعيدة عن الحق وإليك بيانهم بحسب ترتيبهم التاريخي دون الشرح والتفصيل : فأولهم حامل رايتهم الايطالي - بارتيا - فهو فاتح هذا الباب لكل من أتى بعده من الأفراد وكانت زيارته للحرمين في سنة ٩٠٨ للهجرة في أيام السلطان قانصوه الغوري ، وتسمى باسم يونس .

الثاني : الفرنسي تنسان لابان في سنة ٩٦٨ للهجرة .

الثالث : برهان الألماني - وولد - في سنة ١٠١٦ للهجرة .

الرابع : الانجليزي جوزيف تبس في سنة - ١ -

الخامس : الأسباني باديايش في سنة ١٢٢٣ للهجرة ، باسم علي بك العباسي ، وتحصل على شهادة على أنه من الأشراف من سلالة العباسيين .

السادس : الألماني (أول ريخ جاسبارشتيرن) في سنة ١٢٢٤ للهجرة .

السابع : السويسري (جون لويس بوركهارت) في سنة ١٢٣٠ للهجرة وتسمى باسم الشيخ حاج ابراهيم وذكر الريحاني أيضاً في تاريخ نجد دخول هؤلاء الثلاثة أي (باديا ، أرريخ ، بوركهارت) فقال : ان ثلاثة من العلماء المستشرقين المستعربين دخلوا مكة يوم كان الوهابيون مستولين عليها ، أول هؤلاء رجل أسباني اسمه رولد موباديا ، انتحل نسباً وديناً عربياً وجاء من قادش عن طريق الجزائر الى الحجاز وهو علي بك العباسي الأمير المكرم والعالم المحترم رسول بونابرت الى البلاد العربية ، أجل قد جاء حاجاً مستكشفاً فنظر في جدة تحفه الخدم والحشم وصار الى مكة المكرمة محرماً مثل من جاءوها من أهل نجد ، فدخلها في ٢٣ يناير ١٨٠٧ ميلادية الموافق أربعة عشر ذو القعدة ١٢٢١ للهجرة .

وقد شاهد جموع الوهابيين ، وحج معهم واعتمر ، وكان في ظاهره قحاً عربياً ومسلماً حقاً ، لا تعيبه كلمة يقولها ولا تخونه فعلة أو اشارة فما شك أحد في دينه أو نسبه .

علي العباسي يصف الشريف غالب :

وقد وصف العباسي الشريف غالب أمير مكة في ذلك الزمن فقال :

انه في العقد الرابع من العمر وأنه على جهله ذو حصافة ودهاء ، رآه لأول مرة في مجلسه وهو يدخن النارجيلة التي كانت محجوبة خوفاً من الوهابيين ، ولم ير السائح الأوربي غير الأريج الذي كان يتصل من خرق في الحائط بالنارجيلة (لعله يقصد اللي أو الأنبوب المتصل بالنارجيلة) ورآه في الغرفة المجاورة للمجلس ، والعباسي هذا كان عالماً يحمل في حقايبه أدوات الرصد والمساحة فاستخدمها في مكة وجوارها دون أن يعترضه أحد من الناس ، بل كان محترماً من الجميع ، وقد حاز فوق ذلك شرفاً لم يحزه سواه من المستشرقين ولا يحوزه إلا الأفراد القلائل من المسلمين ، ألا وهو شرف كناسة الكعبة ، ولكنه على ما يظهر لم يفلح حتى النهاية في تنكره ، فعندما قصد الى المدينة زائراً صده عنها الوهابيون ، فعاد الى ينبع ، ومنها الى مصر فباريس ، حيث اجتمع بنابليون ، وعين في حاشية أخيه يوسف بونابرت ، وقد عاد علي بك الى الشرق في سنة ١٨١٨ ميلادية ، فسافر من دمشق ليقوم برحلة ثانية الى البلاد العربية ولكنه وهو لا يزال في أول الطريق أصيب بالدستاريا فمات بالمزاريب .

ومن هؤلاء العالم الألماني الريخ زتش الذي قضى عشرين سنة يدرس ويتأهب لرحلته في الشرق ، فجاء سورية سنة ١٨٠٥ ، وأقام في الشرق الأدنى بضع سنين ثم سافر الى الحجاز في زي درويش اسمه الحاج موسى ، فدخل مكة حاجاً سنة ١٨١٠ وارتحل منها الى اليمن ، فزار صنعاء ، ونزل الى عدن ، وقد كان في نية - رتش - أن يجتاز شبه الجزيرة العربية الى الخليج

ليسوح في الشرق الأوسط « فعارض » عدن ووجهته الجبال ، ولكن عند مروره « بتعز » اعترضه بعض الناس وقد اراهم أمره فقتلوه .

الثالث : من المستشرقين الذين ساحوا في الحجاز السويسري الشهير (بركهرت) المسمى بالحاج عبدالله ، صديق محمد علي ، جاء الى الحجاز عندما كان محمد علي هناك ، فنزل في جدة في ١٥ تموز ١٨١٤ ، وسار منها الى الطائف ثم رحل الى مكة المكرمة في ١٥ رمضان ١٢٣٠ الموافق ٤ أغسطس ١٨١٤ بعد استئذان صديقه العظيم ، وهو يومئذ سيد الحرمين فحجَّ مع من حجوا في ذلك العام ، وأقام في مكة ثلاثة أشهر ، ثم سافر الى المدينة فأدَّى الزيارة في أبريل سنة ١٨١٥ يوم كان محمد علي باشا هناك ولكنه مرض في المدينة ، فعاد الى القاهرة في ربيع ذلك العام ، وتوفي فيها وكان بركهرت في قيافته وفي اسلامه محترماً موقراً ، وقد قال يصف نعمة - الحج - بها ، « وما شعرت في مكان آخر بمثل الطمأنينة التي كنت أشعر بها وأنا في مكة » انتهى .

قال الشيخ / أحمد زكي باشا :

الثامن : الطلياني (جوفاني فيناتي) في سنة ١٢٣٠ للهجرة باسم الحاج محمد .

التاسع : ليون ردش في سنة ١٢٥٧ باسم الحاج عمر .

العاشر : الفرنسي (دكوبريه) في سنة ١٢٥٧ باسم الحاج عبدالحميد .

الحادي عشر : الفنلندي (جورج أغسطوس دالين) في سنة ١٢٦١ باسم ولي الدين .

الثاني عشر : الانجليزي سيرريتشارتن في سنة ١٢٦٩ باسم الحاج عبدالله .

الثالث عشر : الألماني هريش ديهرماترد في سنة ١٢٧٦ باسم سيد عبدالرحمن .

الرابع عشر : الانجليزي هرمن بيكل في سنة ١٢٧٨ باسم الحاج عبدالواحد .

الخامس عشر : الانجليزي جون دركين في سنة ١٢٩٤ باسم الحاج محمد أمين .

السادس عشر : الهولندي (ك سنوك هورخرونيه) في سنة ١٣٠٣ باسم عبدالغفار .

يقول أحمد زكي باشا وهو صديقي ومن كبار المستشرقين ولا يزال موجوداً الى الآن .

أقول : وقد ألف سنوك هذا كتاباً عن رحلته الى مكة وقامت مشكورة بنشره وترجمته جامعة

أم القرى بمكة المكرمة وعنوان الكتاب « مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري » .

وهو من أهم الكتب التي تصور الحياة في مكة في زمنه .

السابع عشر : الفرنسي خرفي كور تلمون في سنة ١٣١١ باسم عبدالله .

يقول عنه أحمد زكي باشا وقد تعرف بي عند رجوعه الى القاهرة (١) كثيراً ولا يزال على قيد

الحياة .

الثامن عشر : السويسري الدكتور هيس في سنة ١٣٣٨ ولا يزال باقٍ الى الآن ينفع بعلمه

الواسع خصوصاً فيما يتعلق ببلاد العرب وأهلها ، وهو من الأصدقاء ومن كبار المستشرقين

(١) الكلمة غير واضحة .

وهو أكبر من رحل الى الحجاز من الافرنج . انتهى ما ذكره أحمد زكي باشا^(١) .

وفي المجلد الأول من مجلة المنار ص ٧٨٣ في سنة ١٨٠٥ ميلادية تمكن الفرنسي - روش - وكان مترجماً لدى الأمير عبدالقادر الجزائري من الدخول الى مكة بصفته وبزي عربي ، وعرض على أمير مكة الشريف محمد بن عون أنه وافد من قبل الأمير ليحصل على التصديق من علماء العرب على فتوى أفتى بها علماء مصر والقيروان .

وسافر من مكة للطائف ، ولدى عودته بمكة للحج دُلَّ عليه بعض الحجاج الجزائريين فكشفوا خبره وقبضوا عليه وساقوه الى السجن والناس حوله تحاول الفتك به .

فسلمه الشريف مكة كتاب أمان وبعض نفقة يستعين بها على سفره وأشخصه الى جدة .

وفي سنة ١٨١٤ أو ١٨١٥ احتال السائح السويسري بوكهارت حتى دخل مكة والمدينة ورجع مزوداً ببعض المعلومات عن حالة البلاد الجغرافية ، وعن أهلها وتظاهرها في آخر أمره بالاسلام وعليه مات ، وقبره بمصر وعليه اسمه هكذا - عبدالله بوكهارت المشهور عند العامة باسم الشيخ بركات - انتهى .

وفي الرحلة الحجازية لمحمد لبیب البتنوني تحدث عن الافرنج الذين رحلوا الى الحجاز فقال عن بوكهارت أنه سويسري لوزاني المولد وفد الى مصر ودخل الأزهر بعد أن ادعى الاسلام ، وسمى نفسه ابراهيم المهدي ، وتعلم في الأزهر العربية ، ثم سافر الى بلاد العرب وأقام بها نحو سبع سنين ، وكتب عنها كتابه ، الذي هو أحسن ما كتبه الفرنجة خصوصاً في صفة بلاد العرب وقبائلها ومات في مصر على زيه الاسلامي^(٢) .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٨٠ / ٤٩٠ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٩٤ / ٤٩٥ .

أصناف العملة بمكة وأسعارها

صرف القرش بأربعين ديواناً ، والأحمر بقرشين ، والمشخص بأربعة قروش ، والريال بقرشين وثمان .

كانت هذه الأسعار في سنة ١١٤٠ كما نقل الغازي عن خلاصة الكلام^(١).

أورد الشيخ عبدالله الغازي في الفصل الخاص بأحوال المعيشة وغلائها في مكة المكرمة قصيدة للشيخ زين العابدين بن أحمد الشاع هذا نصّها :

الحمد لله مبيد الدهور	عالم ما يخفى بطي الصدور
مسيراً أفلاك في أفقها	ومجريّ الفلك بماء البحور
فقد جرى في مكة عنة	قد عمّت الدنيا وفي كل دور
جرى غلاء ما سمعنا به	ولا مضى في سابقات العصور
قد أذهب الأرواح حتى لقد	ضاقت على الموت فسيح القبور
وقد غدى من عظم أهواله	كل فتى منا عديم الشعور
أقام في أم القرى مأكثاً	ثلاثة أعوام وأدى شهـور
وبعد ماحلّ بنا وانقضى	وارتحلّ الهم ووافى السرور
قامت حروب نارها تلتظي	ينفر منها الطبع كل النفور
وقتلة ما قد جرى مثلها	في سُوح بيت الله بادي الظهور
من رمم القتلى وأشباهها	قد شبع الوحش وبعض الطيور
وها هي الآن وقد بدت	تشعل ناراً مالهـا من فتور
وأتمنا كلما لنا مثل ما	رواه خير الرسل وافي النذور
ونسأل الرحمن سبحانه	يفرّج الكرب ويمحو الشرور
وعامنا قد صح تاريخه	ألا إلى الله تصير الأمور

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٦٥ .

يقول الشيخ / الغازي في هذا الصدد ما يلي :

وفي عاشر جمادى الآخرة سنة ١١١٨ أخذ الأشراف قافلة كبيرة من جدة ولم يفرغ لها أحد من جانب الشريف ، وإنما الشريف عزم على الركوب عليهم ، وَرَفِعَهُم عن الطريق فأرسل يستصرخ عرباً وأرسل - لايوز بك - يطلبه بعض مدافع فامتنع أن يعطيه وقال :

أنا لا أستغني عنها ، فأمر بفتح بيت سليمان باشا لأنه بلغه أن في الدهليز أربعة مدافع مدفونة وكان الأمر كذلك ، فأخرجها ، وأخرج أيضاً من البيت بطة مائة بارود ، واشتد الكرب ، وعز كل شيء من الأقوات وغيرها من حطب وفحم وملح لانقطاع الطريق ، وقد أُرِّخ هذه السنة الأديب الشيخ / زين العابدين بن أحمد الشجاع بالقصيدة التي أوردناها آنفاً^(١).

أقول : كانت اماره مكة محل تنازع شديد بين الأشراف فقد وليها الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلي بدلاً من الشريف سعيد بن سعد بعد أن حصل على أمر من السلطنة العثمانية له بها ودخل مكة في السادس من شعبان سنة ١١١٧ ولكن الشريف سعيد جمع جمعاً من العربان قاصداً مهاجمة مكة ، وخرج الشريف عبدالكريم لملاقاته - بالمليساء - قرب الطائف ، واقتتل الفريقان وانهزم الشريف سعيد في هذه المعركة ، وانسحب الى لِيَّة من ضواحي الطائف .

وكانت الأحوال مضطربة بسبب الاقتتال بين الأشراف على الامارة ، وتداولها بينهم وقد انعكس ذلك على الحالة العامة ، ففي موسم حج عام ١١١١ ، حصلت مشاجرة بين المحمل الشامي والمحمل المصري تبودل فيها اطلاق الرصاص بين الفريقين في يوم عرفة . ومن المؤكد أن هذه الأحوال قد أثرت على حالة الأمن لانقطاع الطريق وشُحَّ الغذاء ، وهو الأمر الذي صورته الشيخ زين العابدين في قصيدته التي أوردناها آنفاً^(٢).

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٨٤/٥٨١ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب خلاصة الكلام ص ١٩٨ وما بعدها .

قطع الطريق على الحجاج

ذكر ابن فهد في حوادث سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ما نصه :
وفيها نهب بنو سليم حاج مصر والشام ، وكانوا عَالمًا كثيراً وأخذ جميع ما كان معهم من الأموال ، وكان مالا لا حد له ، لأن كثيراً من الناس من أهل الثغور والشام هربوا خوفاً من الروم بأموالهم وأهلهم وقصدوا مكة ليسيروا منها الى العراق فأخذوا وقتل أمير الـركب وهلك من الناس مالا يحصى ، وتمزقوا في البراري ، ولم يسلم إلا القليل ، وردَّ على الحاج بعض ما أخذ منهم في السنة التي بعدها^(١).

العرب يضعون الحنظل في المياه للحجاج :
وقال ابن فهد أيضاً في حوادث سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وفيها أصاب حاج العراق رياح وأهوال ، وطرحت العرب من خفاجة الحنظل في المياه فهلكوا عطشاً ثم أخذوهم ونهبوهم^(٢).

أمير مكة محمد بن أبي هاشم ينهب أموال الحجاج :
وفي درر الفرائد ، وفي سنة ست وثمانين وأربعمائة حج الناس من الشام ، فلما قضوا حجهم وعادوا سائرين ، أرسل اليهم أمير مكة محمد بن أبي هاشم عسكرياً فلحقوهم بالقرب من مكة ، فنهبوا كثيراً من أموالهم وجواهرهم ، فعادوا مستغيثين به وأخبروه ، وسألوه أن يعيد اليهم ما أخذ منهم ، وشكوا اليه بعد ديارهم فلم يغتهم بما فيه كبير جدوى ، وأعاد بعض ما أخذوا منهم ، فلما ايسوا منه عادوا من مكة على أقبح صفة ، فلما بعدوا عن مكة ، ظهر عليهم جوع من العرب في عدة جهات ، فضايقوهم على مال أخذوه من الحاج بعد أن قتل منهم

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٥/٦٠٤ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٥ .

جماعة وافرة ، وهلك كثير بالضعف والانقطاع وعاد السالم منهم على أقبح صورة ، وفي حالة عجيبة^(١).

نهب الحجاج بالحرم الشريف :

وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة نهب أصحاب هاشم بن فليته أمير مكة ، نهبوا الحجاج بالحرم الشريف وهم يطوفون ، وذلك لفتنة كانت هناك بين أمير الحج وبين هاشم أمير مكة ، كذا في تحصيل المرام^(٢).

أقول : وقعت الفتنة بين هاشم بن فليته أمير مكة وبين أمير الحج العراقي فنهب أعوان أمير مكة الحجاج العراقيين وهم يطوفون بالكعبة المعظمة . وقد دامت ولاية هاشم بن فليته بمكة الى سنة ٥٤٩ ، وقيل الى سنة ٥٥٩^(٣).

أعراب بني زغب يقاتلون حجاج العراق وينهبونهم :

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة كان قبياز الارجواني أميراً للحجاج العراقي ، فلما وصل الحجاج العراقي الى مكة طمع أمير مكة فيهم واستزرى بقبياز - لعله يقصد أنه ازدراه واستضعفه - فطمع العرب ووقفوا في الطريق وبعثوا يطلبون رسومهم فقال قبياز للركب « المصلحة أن يعطوا ونكتفي شرهم » فامتنع الركب من ذلك فقال لهم : فاذا لم تفعلوا فلا تزوروا هذه السنة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستغاثوا عليه فقالوا غمضي الى سنقر فنشكوه ، فسار بهم الى أن وصلوا الى مضيق بين مكة والمدينة ، فخرج عليهم العرب من بني زغب بعد عصر يوم السبت الرابع عشر من المحرم من سنة خمس وأربعين وخمسمائة فقاتلوهم وتكاثر العرب وظهر عجز قبياز عنهم ، فطلب لنفسه أماناً ، واستولوا على الحجاج فأخذوا من الثياب والأموال والحجاج مالا يحصى وأخذوا من الدنانير ألوفاً كثيرة ، فتحدث جماعة من التجار أنه أخذ من هذه عشرة آلاف ، ومن هذا عشرون ألفاً ، ومن هذا ثلاثون ألفاً ، وأخذ من خاتون أخت مسعود ما قيمته مائة ألف دينار ، وتقطّع الناس وهربوا على أقدامهم يمشون في البرية ، فماتوا من الجوع والعطش والعري ، وقيل أن النساء طيّنن أجسادهن لستر العورة ، وما وصل قبياز الى المدينة إلا في نفر قليل وتحملوا منها الى البلاد ، وأقام بعضهم مع العرب حتى توصل الى البلاد . كذا في أتحاف الوري في أخبار أم القرى^(٤).

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٧/٦٠٨ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) خلاصة الكلام ص ٣٣ .

(٤) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٨/٦١٠ .

القتال بين أمير الحج وصاحب مكة :

وفي سنة خمسائة وست وخمسين حج الناس فحصلت فتنة وقتال بين صاحب مكة وأمير الحج فرحل الحجاج ، ولم يقدر بعضهم على طواف الافاضة .
قال ابن الأثير : وكان ممن حج ولم يطف جَدُّهُ أُمُّ أَبِيهِ ، فأتت في العام المقابل وطافت وأحرمت بحجة أخرى وأهدت . انتهى .
ذكره أبو الفداء كذا في تحصيل المرام^(١) .

عساكر مصر يخرجون أهل مكة من بيوتهم وينهبون القوافل :

وفي سنة تسعمائة واثنين وثلاثين ورد من مصر سليمان الرئيس متوجهاً الى اليمن ومعه نحو أربعة آلاف عسكري جهزهم الوزير الأعظم ابراهيم باشا صاحب مصر لأخذ اليمن مدداً لمن سبق من الباشوات فوصلوا جدة في شهر رمضان من السنة المذكورة ، وصار العسكر يتعرضون العرب بالنهب فانقطعت الميرة عن مكة بسبب ذلك ، وحصل بها غلاء لذلك ، ثم وصلت طائفة من العسكر الى مكة وأخرجوا الناس من بيوتهم وسكنوها ، وكثر أذاهم ، فسلطت عليهم العربان وقتلتهم في طريق جدة ، وأينما وجدوهم ، الى أن قتلوا تاجرين عظيمين من تجار مكة ظناً بهم أنهم من العسكر فأمر الشريف حسن العربان بعدم القتل ، لكن بعدما ألحَّ فيهم القتل ، وامتلأ طريق جدة من رمهم ، فبعث الشيخ الشيخ محمد بن عراق جماعة فدفنوا ما في الطريق من جثث القتلى ، ولما كثر العسكر المذكور بمكة نصبوا بيارقهم بالمسجد الشريف من باب السلام الى باب علي ، فشكى الناس ذلك الى الشيخ محمد بن عراق ، فجلس الشيخ في المسجد ودعى الأمير خير الدين وبعض رؤساء العسكر ونهرهم وأمرهم بالخروج من بيوت الناس فأكبوا على رجله يقبلونها وقالوا : قصدنا الحج ونتوجه فقال لهم : اذهبوا الى منى ، فإن بها بيوتاً خالية فاسكنوها ، فامتلأ أمره ، وخرجوا الى منى ، وقتلوا بعض المسئولين منهم امتثالاً لأمر الشيخ محمد^(٢) .

القتال بين أمير الحج المصري وبين أهل ينبع :

في سنة سبعين ومائة وألف ، كان أمير الحج المصري محمود درويش بك ابن دفتدار مصر سابقاً ، وحصل بينه وبين أهل ينبع قتال عظيم وقتل منهم كثيراً ، ونهب السوق وشال الحج وتوجه حين الوقعة ، وكانت شديدة الحرومات بها خلق كثير ، وأيضاً مات من البهائم شيء عظيم .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦١٠/٦١١ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٢٦/٦٢٨ .

وفي عودته من المدينة توجه الحج الشامي عن طريق الشرقية حتى طلع على - مُكْرَة - .
وحصل له مشاق كثيرة من الحرِّ وموت الخلائق والبهاثم ، ثم نهب الحج الشامي بأجمعه حتى
انهم أخذوا المحمل عن آخره ، واجتمعت عليه العربان من كل محل ومكان^(١) .

قبيلة حرب تقطع الطريق وتقاتل أمراء الحج :

نقل الغازي عن تاج تواريخ البشر القصة التي أوردها السيد جعفر البرزنجي عن قبيلة
حرب ومشايخها الذين كانوا يقطعون طريق الحجاج وينهبونهم ويقاتلون أمراء الحج تلخصها
فيما يلي :

في حج سنة ١١٧٥ جمع شيخ مشايخ قبيلة حرب، عيد الظاهري الجموع الكثيرة من
العربان حتى قيل أنه اجتمع معه نحو سبعين قبيلة من البادية كانوا يقطعون الطرق وينهبون
الحجاج ويعيثون في الأرض فسادا وقد قام عيد الظاهري هذا بمتابعة الحج الشامي بمن معه من
القبائل الى أن وصلوا الى تبوك فحصرهم فيها ، وبقي الحجاج محاصرين بها مدة ستة عشر
يوما وأرسل أمير الحاج الشامي يستجد بأمر الشام ليرسل اليه فرقة من جنود الدولة العلية ،
ولكن والي الشام لم يسعف أمير الحج ، ولم يستجب لطلب النجدة ، وكانت الشام نفسها
أحوالها غير مستقرة وعلم أمير الحاج الشامي أن طلبه لم يجب فقرّر مغادرة تبوك بمن معه من
الحجاج وغادرها في منتصف الليل وأحسّت قبائل حرب بتحرك ركب الحاج الشامي فساروا
خلفهم ، فلما أحس أمير الحج أن الأعراب يحفون بالركب أمر بالتوقف لقتالهم ونشبت
الحرب بين الطرفين ، وقتل خلق كثير من الجانبين .

وحدث أن اعثرت فرس أمير الحاج فوقع الى الأرض فظنّ من حوله من الحجاج أنه قتل
فشاع أمر مقتله بين الحجاج ، فدبّ فيهم الجزع وانهمزوا ، وقتل غالبهم ونهب جميع
متاعهم ، وهتكت أستار المخدرات ، وأسرت النساء والبنات أو تمزقوا كل ممزق .

يقول الراوي : وبلغ عيد الشقي العنيد ما أمّله ، واستحوذ هو وجنوده على جميع أموال
الحجاج ، وخيلهم ورجلهم ، ورجع بالغنائم وتفرّق من بقي من الحجاج في كل طريق .
أما أمير الحاج الشامي الذي ظن به القتل فقد لجأ الى قرية قريبة واعتصم بها .

السلطان العثماني يهتم بالأمر :

وصلت أخبار هذه المقتلة التي وقعت من قبائل حرب على الحجاج الى الاستانة ، وصادف
هذا تولى السلطان مصطفى الثالث بعد وفاة والده السلطان أحمد الثاني في عام ١١٧١ فغضب
السلطان واهتم بالأمر أعظم اهتمام ، واستشار وزراءه فوقع الاختيار على الوزير عبد الله باشا
الحسبه جي ، نسبة الى قرية من قرى ديار بكر ، فأُسند اليه السلطان ولاية الشام وإمارة

(١) افادة الأتاتم مجلد ٢ ص ٦٤١/٦٤٢ .

الحج ، ووصل الوالي الجديد وباشر مهام ولايته ، ولما وصل الى المدينة المنورة في طريقه الى مكة أرسل اليه عيد الظاهري شيخ قبيلة حرب ابن عمه برسالة يقول فيها :
انه مقيم على الطاعة للدولة العثمانية ويطلب من الوالي صرف العوائد المقررة له ولقبيلته ، ومقدار هذه العوائد ألف قرش باسمه وخمسة آلاف باسم قبائل حرب ، وأجاب الوالي على رسالة عيد هذا بأنه مسرور لاقامته على هذه الطاعة ووعده بصرف العوائد المقررة بعد عودته من الحج كما جرت العادة بذلك .

ولكن عيداً لم يقبل من الباشا هذا التسوية وترددت الرسل بينه وبين الوالي دون جدوى ، وتحرك الوالي من المدينة المنورة يقصد مكة بمن معه من حجاج الشام ولكن عيداً ومع من معه من الأعراب كمنوا لهم في وادي الصفراء ، وأرسل اليهم عيداً رسوله يقول :
لا نسمح بمروركم حتى تصرفوا العوائد ، ولم يستجب الباشا لطلبه ، فقام عيد ومن معه باطلاق الرصاص على العساكر والحجاج ، وكان أمير الحاج مستعداً لملاقاته فنشبت المعركة بين الطرفين ، ولم تمض ساعة ونصف الساعة إلا وكان قد قتل من قبائل حرب سبعين قتيلاً بينهم شيخهم عيد .

وأسر منهم عدد آخر ، وتفرق جمع الأعراب ، وواصل الباشا سفره الى مكة المكرمة فبلغها في أمان ، ولقي الباشا في مكة أميرها سعيد بن سعد بن زيد الذي أشار على الباشا بأن يسلك في عودته الى المدينة المنورة طريق الفرع .

ولم تستسلم قبائل حرب للهزيمة التي نزلت بها فولوا عليهم ابن شيخهم القليل في المعركة . وجمعوا القبائل من كل حذب وصوب ، وقطعوا الدروب على سالف عاداتهم ورصدوا عودة الحج الشامي ، فطمؤوا الآبار التي في الطريق ، وغرّروا المياه واستطاع أمير الحج الشامي الوصول بالركب الى المدينة المنورة من الطريق الذي سلكه بأمان .
وبعد أن بقي بها ثلاثة أيام خرج لملاقاة قبائل حرب بعساكره فسار اليهم حيث كانوا بالخياف ونشبت بينهم معركة عظيمة استمرت ثلاثة أيام .

واستعملت فيها المدافع وهزمت قبائل حرب هزيمة منكرة قتل فيها شيخهم ابن عيد وأربعة عشر من مشايخ القبائل المشاركة في القتال وعاد الباشا الى الشام مكللاً بالنصر بعد أن عين شيخاً لقبائل حرب ممن يدينون بالطاعة والولاء للدولة العثمانية وكانت هذه الواقعة في عام ١١٧٦ .

يقول الشيخ الغازي : وقد أفرد لها تاريخاً الفاضل السيد جعفر البرزنجي لخصت منه القصة سماه « البعث الفرجي » .
ونقل الغازي ذلك عن تاج تاريخ البشر للحضراوي^(١) .

(١) افادة الأنام جلد ٢ ص ٦٤٢ / ٦٥٠ .

الدولة العثمانية تمنع بيع الرقيق في الحجاز

في سنة ألف ومائتين واثنين وسبعين صدر الأمر من الدولة العثمانية الى كامل باشا والي جدة بمنع بيع الرقيق في جدة ومكة ، وأبلغ والي جدة ومكة بهذا الأمر ، وكان هذا الأمر تنفيذاً لاتفاق بين الدولة العثمانية وبعض الدول الغربية^(١) .
جمع قائم مقام الوالي بمكة دلالي الرقيق وأبلغهم الأمر الصادر بمنع الرقيق من الدولة العثمانية .

اضطرب الناس في مكة لذلك واجتمع جماعة من طلبة العلم عند رئيس العلماء الشيخ جمال ، محتجين بأن هذا المنع يخالف الشرع الذي أجاز بيع الرقيق واتفق رأي المجتمعين أن يذهبوا الى قاضي الشرع بمكة ويخبروه باعتراضهم ليقوم القاضي ببلاغ الوالي كامل باشا بذلك ، ليتولى هو مراجعة الدولة في الأمر .

وفي مسيرة المعترضين الى القاضي تجمعت معهم جموع من العامة والغوغاء حتى وصلوا الى بيت القاضي ففرع لرؤية الجموع الغفيرة فدخل هارباً منهم الى بيت الحريم .
ازداد هيمان الناس واضطربهم ، ورأى عساكر الضابطية في دار الحكومة تجمع الناس وهيجانهم ، وكان بعضهم يحمل السلاح وينادي بالجهاد فقام العسكر من جانبهم بمواجهة هذه الجموع ، وتطور الأمر الى اطلاق الرصاص من الجانبين وثارَت بسبب ذلك فتنة عظيمة في أسواق مكة وطرقاتها ، وتبادل العسكر وبعض الناس اطلاق الرصاص في المسجد الحرام ، وقتل بعض الناس من جرّاء هذه الفتنة العمياء .

شريف مكة يتدخل لاطفاء الفتنة :

فرع الناس الى الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور في داره وأخبروه بواقع الحال ، فأمر منادياً ينادي في مكة يأمر الناس بالكف عن القتال والهدوء ، وأمر العساكر

(١) انظر ماكتبه السباعي في تاريخ مكة ص ٥٣٢/٥٣٤ .

بالرجوع الى القلعة والبقاء فيها ، وقام الشريف عبدالله بن ناصر بادخال بعض العساكر في دار الشريف محمد بن عون ، وتم اطفاء الفتنة^(١) .

أقول : ان الرقيق الذي أباح الشرع بيعه هو الرقيق الذي يسلبه المسلمون في حرب جهادية ، أما الرقيق الذي كان منتشراً التداول فيه بالبيع والشراء ، فلم تكن تنطبق عليه هذه الشروط ، لأن هؤلاء الأرقاء كان يسرقون من ديارهم وأهليهم ويؤخذون لبيعاعوا في البلاد الأخرى ، وكان الواجب على القاضي الاستماع الى الناس بدلاً من الهرب منهم .

وكان الواجب على العلماء ارشاد الناس الى حقيقة الوجه الشرعي في الأمر ومعالجة المسألة بالهدوء والحكمة ، فقد كان بيع الرقيق وشراؤه منتشراً منذ عشرات السنين ، والناس تدفع فيه الأموال الكثيرة وهم يظنون أنه بيع شرعي لا شبهة فيه وكان يجب التمهيد لذلك باظهار حقيقة حكم الشرع في هذا الأمر ، وتحبيب الناس القادرين على عتق الرقيق الذي يملكونه .

والى جانب ذلك ترصد الدولة مبلغاً من المال لتعويض الناس أثمان رقيقهم وتتولى هي عتق الرقيق ، كما فعلت الحكومة السعودية في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله ، في حوالي سنة ١٣٨٣ هـ وبذلك وضعت نهاية لبيع الرقيق وشرائه وخلصت البلاد من هذه العادة السيئة واللاانسانية .



(١) نفس المصدر ص ٦٥٠/٦٥٣ .

شورة القبوري بمكة

في شهر شوال من عام ألف وثلاثمائة وست وعشرين حدثت بمكة فتنة كادت أن تفضي الى محنة عظيمة وخلاصة أسبابها أن الدولة العثمانية كلفت أحمد القبوري - وهو الذي كان يتولى حفر القبور للموتى ودفنهم - بتعمير الجدار المحيط بالمقابر منعاً لرواد القهاوي المحيطة بمقبرة المعلاة من استعمال هذه القبور لقضاء حاجاتهم ، كما أمر القبوري بأعمار القبور المتهدمة ، وأن يصرف على بناء الجدار وعمارة القبور المتهدمة مما يستوفيه من الناس الذين يدفنون موتاهم .

وعمد أحمد القبوري الى زيادة ما يتقاضاه على عمله زيادة كبيرة وشاع بين الناس أن الحكومة فرضت للقبوري خمسة ريالات مجيدية على كل قبر يأخذ منها لنفسه ريالاً واحداً ويستعمل الريالات الأربعة لبناء الجدار وتعمير القبور .

وجاءت جنازة أحد الفقراء من التكرانة ، فلما طالبهم القبوري بالمبلغ ، امتنعوا وتضاربوا وقصدوا الى دار الحكومة بالحميدية ، واغتنم السفهاء من الناس هذه الفرصة فانضموا الى القوم وساروا من المقبرة الى دار الحكومة وهم يصيحون باطل ، باطل ، أن تفرض الحكومة ضريبة على دفن الموتى مقدارها خمسة ريالات ، وسارت جموع الناس محتجين الى دار الوالي ، وحينما سمع الوالي بالأمر نفى أن يكون قد أصدر أمراً بذلك ، ولكن الغوغاء أشاعوا الفتنة والاضطراب ، وهجموا بالسلاح على دار الحكومة وعلى بعض المواقع العسكرية ، وجرى إطلاق الرصاص فيما بين الصفا وياب الوداع بالمسجد الحرام ، وقتل في هذه الموقعة بعض الأهلين وبعض العساكر ، ولم تحمد الفتنة إلا بعد أن تدخل بعض الأشراف ووكيل الامارة لاختادها ، وشارك في ذلك بعض أعيان مكة .

وقامت الحكومة بالقبض على أحمد القبوري ، وعشرين من أعوانه ، واتهم محمد علي بن عبد الواحد الذي كان كاتباً للشريف عون أولاً ، ثم كاتباً للشريف علي في مدة امارته ، اتهم

بأن له يدأ في تدبير هذه الفتنة ، فقبض عليه ، ونفي هو والقبوري وأعوانه الى الاستانة وسجنوا هناك مدة ، وقد توفي محمد علي عبدالواحد في الاستانة ، ثم رحل القبوري وجماعته الى بيروت لمحاكمتهم بها ، ثم أطلق سراحهم وعادوا الى مكة بعد سنة من ترحيلهم عنها^(١) .

(١) الغادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٥٣/٦٥٦ .

الضرائب على الحجاج

كان أمراء مكة قد فرضوا لأنفسهم ضرائب نقدية يتقاضونها من الحجاج القادمين الى مكة للحج أو للعمرة ، وكانت هذه الضرائب تستوفي بمينا عذاب من الحجاج القادمين عن طريق البحر ، ومن لم يؤدّ هذه الضريبة منهم تستوفي منه في مدينة جدة حين وصوله اليها ، وكان مقدار الضريبة سبعة دنانير مصرية على كل انسان وتمّ ابطال هذه الضرائب في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ولذلك قصة ذكرها مؤرخو مكة قالوا :

ان الشيخ علوان الأسدي الحلبي حضر الى جدة للحج ، فلما وصل الى جدة طولب بالضريبة فامتنع وأراد الرجوع من حيث أتى ، ويبدو أن الرجل كان اسمه معروفاً ، فخشي وكيل الأمير مكثّر بن عيسى صاحب مكة من العاقبة ، واستمهل الشيخ علوان ، حتى يبلغ الأمير بأمره ، وحينما أبلغ مكثّر بذلك ، أمر باعفاء الشيخ ومن معه جميعاً من الضريبة ، ولما وصل الشيخ علوان الى مكة اجتمع به الأمير مكثّر وقال له :

اننا مضطرون لفرض هذه الضرائب لأن واردات مكة لا تفي بالمصاريف اللازمة لها فكتب الشيخ علوان الى السلطان صلاح الدين بالأمر ، فأمر السلطان صلاح الدين بابطال الضرائب لقاء أن يرسل الى مكة في كل عام ألفين من الدنانير وألفي أردب قمح ، وقيل مقابل ثمانية آلاف أردب من القمح ، وقيل إن الذي فرض هذه الضريبة لأمر مكة على حجاج المغرب الخلفاء العبيديون الذين تولوا الخلافة بمصر^(١).

وربما كانت هذه الضريبة من الدنانير على الحجاج ، فقد ورد أنه كانت هناك ضرائب أخرى تؤخذ بمكة من الحب والتمر والغنم والسمن ، ورفعت هذه الضرائب في زمن السلطان حسن بن قلاوون صاحب مصر ، يقول الفاسي في شفاء الغرام :

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٦١/٦٦٢ .

وفي سنة ستين وسبعمائة رَسم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن بن قلاوون باسقاط المكوس من مكة ، ورتب لصاحب مكة ثمانية وستين ألف درهم من بيت المال بمصر وألف أردب حب ، وقرر ذلك في ديوان السلطان المذكور وأمضى ذلك الولاة بالديار المصرية الى تاريخه ، وكتب بذلك في أساطين المسجد الحرام جهة باب الصفا وغيره ، فطابت نفس أمير مكة المشرفة وعمل به هو ومن بعده من أمراء مكة . انتهى^(١) .

بيان المكوس المقررة :

وأورد الغازي نقلاً عن كتاب المنتقى بيان المكوس التي كانت تؤخذ على البضائع الواردة الى مكة المكرمة على الصورة التالية : مُدُّ حَبِّ جُدِّي ، وهو مُدُّان مكين من كل جبل حب يصل من جدة ، ومُدُّ مكّي وربع مكّي من كل جبل حب يصل من جهة الطائف وبجيلة ، وثمانية دنانير مسعودية على كل جبل من التمر واللبن الذي يصل الى مكة ، وثلاث دنانير مسعودية على كل شاة تصل اليها ، وسدس ثمن ما يباع بمكة من السمن والعسل والخضر ، وذلك بأن يحصي ثمنها مسعودية فاذا عرف أخذ على كل خمسة دنانير دينار مسعودي من ثمن سلة التمر اذا بيعت بالسوق من الذي باعها .

قالوا : ان الذي نبه الملك الأشرف الى ما يعانیه أهل مكة من هذه المكوس هو الأمير بلبغا المعروف بالخاسكي مدير المملكة الشريفة في دولة الملك الأشرف حيث نبهه الى ذلك بعض أهل الخير .

ويقول البتوني في الرحلة الحجازية :

ان بعض أمراء مكة عمدوا الى الأساطين المنقوش عليها ابطال هذه المكوس فكسوها بعجينة من الجبس حتى لا يقرأها الناس^(٢) .

الملك الأشرف يضاعف النقود لأمر مكة :

وفي درر الفرائد ما يلي :

وفي سنة سبعمائة وتسع وستين اتفق الحال مع الشريف عجلان صاحب مكة أن يرتب له من بيت المال في كل سنة مائة وستون ألف درهم - نقره - تحمل اليه من مصر ، وألف أردب قمح ، ويترك الجباً من مكة في كل ما يؤكل ويحلب اليها من الحبوب والخضروات والثمار والغنم والخشب والسمن والعسل ، وأشهد على نفسه بذلك وكتب ثلاث محاضر يجعل واحد بمكة وواحد بالمدينة ، وواحد بقلعة الجبل بالقاهرة ، وقيد ذلك في ديوان الأشرف شعبان وأمضى الولاة بعد ذلك الى أن انقطع . انتهى^(٣) .

(١) الفادة الأنعام مجلد ٢ ص ٦٦١/٦٦٢

(٢) الفادة الأنعام مجلد ٢ ص ٦٦٣/٦٦٥

(٣) الفادة الأنعام مجلد ٢ ص ٦٦٦/٦٦٧

الشريف حسن بن عجلان والقاضي شهاب الدين المحلي :

وفي أتحاف الورى أنه في سنة ثمانمائة وأربع حصل للسيد حسن بن عجلان خمسة وستون ألف مثقال وأزيد فيما قيل عن القاضي شهاب الدين أحمد بن القاضي برهان الدين المحلي ، وجماعة من تجار الكارم ، لأن المركب الذي كانوا فيه - انصلح - بمقربة من مكة فأعطوه هذا المقدار عن الربع الذي يأخذه ولاية البلد فيما ينصلح في بلادهم من الجلاب .

واشتد غضب القاضي برهان بن المحلي بسبب ذلك على السيد حسن وسعى في ارسال شخص من خواص السلطان بمصر يطالبه بذلك فوصل اليه في آخر رجب ، وبلغ رسالته ، فاعتذر بتفرق ذلك من يده ، ووعد بالخلاص ومأطل^(١) .

وفي الاعلام :

ان السلطان أبو الفتح سيف الدين قطز الظاهري ، قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهبي تحمل له من خزينة مصر في كل عام ، مقابل ترك المكس على الخضرة والفواكه والحبوب وغيرها بمكة ، وأمر أن يكتب عهده واعترافه بذلك على سواري المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا ، والسواري المكتوبة بهذا العهد موجودة في المسجد الحرام الى الآن . انتهى^(٢) .

السلطان قايتباي يبطل المكوس بمكة :

وفي الاعلام ما يلي :

وفي أول ولاية السلطان قايتباي أرسل الى مكة مراسيم تتضمن بإبطال جميع المكوسات والمظالم ، وأن ينقر ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف في باب السلام .

مراكب الهند تتحول من عدن الى جدة :

كانت مراكب الهند التي تحمل البضائع الى جدة تصل أولاً الى ميناء عدن وتفرغ بضاعتها فيه ، ثم تنقل هذه البضائع في الجلاب - المراكب الشراعية - الى جدة .

وفي سنة ثمان وعشرين وثمانمائة بلغ صاحب مصر وصول مراكب من الهند الى بندر جدة ، فأحب أخذ مكوسها فبعث بعض مسالمة القبط سعد الدين بن المرة فقدم مكة ، وصادف وصول أربعة عشر مركباً موسوقة بضائع من الهند فأخذ منها العشر وهذا أول ما أخذ العشر لصاحب مصر بجدة .

وسبب تحول مراكب الهند من عدن الى جدة كثرة الظلم عليهم في عدن فتركوه وصاروا يفدون الى بندر جدة ، فاستمر بندر جدة يعمر ويتلاشى أمر عدن الى أن ضعف بسبب ذلك صاحب اليمن وقل مدخوله ، وضعف متحصله .

(١) الحاة الأنام جلد ٢ ص ٦٦٧/٦٦٨ .

(٢) الحاة الأنام جلد ٢ ص ٦٦٨/٦٦٩ .

حصيلة الضرائب بجدة تنقل الى مصر :
وكان المتحصل في هذه السنة من عشور بندر جدة ما ينوف على سبعين ألف دينار ذهب
حملت الى خزينة مصر^(١).

السلطان الأشرف برسبائي أول من فرض المكوس بجدة :
ونقل السنجاري عن ابن فهد أن السلطان الأشرف برسبائي هو أول من فرض العشور
بجدة في سنة ٨٨٤ ، وأورد الخبر عن وصول المراكب الهندية وعددها أربعة عشر مركباً
موسوقة بالبضائع من الهند ، وكان قائد المراكب الهندية ابراهيم الناخودة ، وأرسل السلطان
مع سعد الدين بن ابراهيم الذي تولّى استلام العشور الأمير رأس نوبه أونبغا وشاد الديوان
شاهين العثماني .
يقول ابن فهد :

وصار قطر جدة وظيفة سلطانية يخلع على متوليها ويتوجه اليها في كل سنة أوان ورود
المراكب اليها متولّ جديد ، يأخذ ما على التجار من العشور ، ويحضر بها الى القاهرة ، وبلغ
ما حمل الى الخزانة من ذلك سبعين ألف دينار ذهب .
وقد علّق القطب الحنفي على ما ذكره ابن فهد فقال :

وزادت هذه المظلمة في زماننا حتى صاروا يأخذون من الوارد ما يزيد على العشر بكثير .
، وعلّق السنجاري على ذلك فقال :

وفي زماننا هذا زادت زيادات كثيرة وصار صاحب جدة يأخذ ما يريد ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم ، انتهى ما في تاريخ السنجاري^(٢).

أقول : ذكر ابن اياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور شيئاً عن المكوس التي فرضها
السلطان برسبائي على جدة ، فذكر أنها كان في سنة ٨٢٨ وليس في سنة ٨٨٤ كما ذكر ابن فهد
لأن برسبائي تسلم السلطنة سنة ٨٢٥^(٣).

تعليق ابن فهد على فرض المكوس :

قال ابن فهد بعد ذكر هذه الواقعة :

فجاء للناس ما لا عهد له - به - قبله ، فإن العادة لم تنزل من قديم الدهر ، في الجاهلية
والاسلام أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة الى مكة لتصرف في أشرفها ومجاورها فانعكست
الحقائق وصار المال يحمل من مكة ويلزم اشرافها بجمله .

(١) افادة الأناام مجلد ٢ ص ٦٧٠ .

(٢) افادة الأناام مجلد ٢ ص ٦٧١/٦٧٠ .

(٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٣/٩٦ .

سلاطين الممالك يأمرّون التجار بحمل البضائع الى مصر :

ويواصل ابن فهد تعليقه فيقول :

ومع ذلك منع التجار أن يسيروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله ، وكلفوا أن يأتوا الى القاهرة حتى يؤخذ منهم المكوس على أموالهم ، فانه في هذه السنة في أيام الموسم منع التجار أن يتوجّهوا من مكة الى بلاد الشام بما ابتاعوه من أصناف تجارات الهند ، وألزموا أن يسيروا مع الركب الى مصر ، حتى يؤخذ منهم مكوس ما معهم ، فتوجهوا مع الحاج فلما نزل الحاج (بركة الحاج) خارج القاهرة - خرج مباشرة الخاص وأعوانهم واستقفوا تفتيش محابر القادمين من الحجاج والتجار وأحماهم وأخرجوا سائر ما معهم من الهدية ، وأخذوا المكوس ، حتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع الصغير عشرة دراهم مكوس . انتهى^(١).

منادي السلطان في عرفات :

ونقل الغازي عن درر الفرائد ما يلي :

ومن الغرائب اظهار النداء في يوم عرفة بالموقف الأعظم لجميع الناس عامة ، من اشترى بضاعة للبحر وسافر بها الى غير القاهرة حلّ دمه وماله للسلطان .

فسافر التجار القادمين من الأفطار مع المركب المصري ، ليؤخذ منهم مكوس بضائعهم بها ثم اذا سافروا من القاهرة الى بلادهم يؤخذ منهم المكوس بالشام أيضاً ، وغيرها فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم . انتهى ، وكان ذلك في سنة ثلاثين وثمانمائة كما ذكر ابن فهد^(٢).

السلطان يخصص لشريف مكة ثلث مكوس المراكب الهندية :

وفي يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين وصلت المراسم من الأشرف صاحب مصر بالانعام على مولانا الشريف بركات بن حسن ، ثلث ما يتحصل من عشور المراكب الهندية ، وأن الثلثان - الثلثين - يحملان الى الخزانة فحصل للشريف بذلك غاية السرور^(٣).

مضاعفة المكوس على بضائع اليمن :

وفي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة كتب السلطان صاحب مصر بأن يؤخذ من التجار الشاميين والمصريين اذا وردوا جدة ببضائع اليمن عشرين - عشرين - أي تضاعف المكوس عليهم وأن من قدم الى جدة من التجار اليمنيين ببضاعة ، تؤخذ بضاعته بأجمعها للسلطان من غير ثمن

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٢/٦٧٤ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٤ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٥ .

يدفع له عنها وسبب ذلك أن تجار الهند في هذه السنين صاروا عندما يعبرون من باب المنذب ،
يجوزون عن بندر عدن حتى يرسوا بساحل جدة ، فافقرت عدن من التجار ، وضعف حال
ملوك اليمن لقلة متحصله ، وصارت جدة هي بندر التجار ، ويحصل لسلطان مصر من
عشور التجار الواردين من الهند عشر بضائعهم ، ويؤخذ من العشور رسوم تقررت للناظر ،
والشاد ، وشهود القبان والصيرفي ونحو ذلك من الأعوان وغيرهم .

وصار يحمل من قبل سلطان مصر مرجان ونحاس ، وغير ذلك مما يحمل من الأصناف الى
بلاد الهند فيطرح على التجار ، ويتشبه به في ذلك غير واحد من أهل الدولة ، فضاق التجار
بذلك ذرعاً ، ونزل جماعة منهم في السنة الماضية الى عدن فتكرر السلطان بمصر عليهم لما فاته
من أخذ عشورهم ، وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن ، وجاء بها الى جدة أن
كان من الشاميين أو المصريين أن يضاعف عليه العشر بعشرين ، وإن كان من أهل اليمن
تؤخذ بضاعته بأسرها .

الشریف بركات يتدخل لابطال المرسوم :

ويواصل الشيخ / الغازي حديثه نقلاً عن اتحاف الوري فيقول :
فمن لطف الله تعالى بعباده أنه لم يعمل بشيء من هذا الحادث لكن قرئت هذه المراسم تجاه
الحجر الأسود ، فراجع السيد بركات أمير مكة السلطان صاحب مصر في ذلك ، حتى عفى
من التجار ، وأبطل مارسه به ، كذا في اتحاف الوري^(١) .

السلطان يمنح الشریف بركات نصف العشور :

وفي سنة ثمانمائة وأربعين وصل قاصد من مصر للسيد بركات ومعه كتاب من صاحب
مصر ، مذكور فيه أنه أنعم عليه بنصف عشور جدة من المراكب الهندية .

السلطان ينقص حصّة أمير مكة :

وفي سنة ثمانمائة وثلاث وأربعين وصلت مراسم تتضمن أن جميع الجلاب الواصلة من
البحر الى جدة من سائر البلاد ليس لصاحب مكة من عشرها إلا الربع وثلاثة الأرباع تحمل
الى مصر .

تركات المتوفين للسلطان :

وأن جميع ما مات بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من تركته شيء ، وكله لصاحب
مصر وأن صاحب مكة ليس له إلا تركة من مات من أهل مكة .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٥/٦٧٧ .

السلطان يعفي الشريف بركات من تقبيل خف المحمل :
وأن السلطان قد أعفى السيد بركات من تقبيل خف المحمل الذي يأتي بالمحمل ، فشكر ذلك من فضل السلطان .

العشور يؤخذ صنفاً لا مالاً :

وان لا يؤخذ من التجار الواردين غير العشر فقط ، يؤخذ صنفاً لا مالاً من كل عشر وأن يبطل ما كان يأخذه غير العشر من الرسوم - كذا في تاريخ السنجاري - (١) .
التجار المصريون يزاحمون تجار مكة :

وذكر ابن فهد ما أوردته السنجاري وزاد عليه أن السلطان أمر بمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة ، وجلسوا بالخوانيت في المسعى وحكروا المعاش ، وتلقوا الجلب من ذلك وأن يخرجوا من مكة ، فشكر ذلك أيضاً وشكر السلطان أو الناس ذلك ، لعل صحة الجملة - وشكر الناس للسلطان ذلك - لأن هؤلاء البياعين كثر ضررهم ، وتقوا بحماية المماليك لهم فغلت الأسعار ، وأحدثوا بمكة أحداثاً لم يعهد لها وعجز الحكام عن منعهم لتقوية المماليك المجردين لهم بما يأخذوا منهم من المال . انتهى (٢) .

السلطان يصدر مراسيم تتعلق بالرسوم والتركات :
وفي أتحاف الوري :

وفي سنة احدى وثمانين وثمانمائة ، ثاني عشر ذي القعدة ، وصل الى مكة المشرفة نائب جدة قرأغا عتيق أروادار الكبير جاني بك ، ومعه مراسيم للشريف محمد بن بركات ، وقاضي القضاة برهان الدين الشافعي كمال الدين ، وباش الترك قايتباي فدخلوا جميعاً الى المسجد الحرام وجلسوا بالحطيم ، فقرأ مرسوم الشريف ثم القاضي برهان الدين ، ثم أخيه ، ثم باش الترك ، وتاريخ المراسيم رابع عشر شوال من السنة ، ومضمونهم واحد هو :
ان الواصل الى مكة من المرجان وغيره من بضائع الهند لا يترك شيء منه يذهب به الى اليمن ، حتى لا تبقى المراكب الهندية تدخل اليمن .

والواصل من اليمن من بضائع الهند يكون بين السلطان وبين الشريف نصفين ، ولم تجر بذلك عادة قبل ذلك ، بل كان ذلك مما يختص بالشريف ومن مات بجدة ومكة ولم يكن له وارث يكون من أشرفي الى ألف للشريف ، وما فوق ذلك للسلطان ، ومن مات وله وارث غائب لم يختم على مال الميت القاضي على العادة بل ذلك الى نائب جدة قرأغا ، والفلفل الواصل الى جدة من الهند يؤخذ منه للسلطان بسعر العام الماضي والذي قبله ، ولا يعارض نائب جدة في شيء مما يريد ، والمتوجه عليه فانه من المقربين انتهى (٣) .

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٩ / ٦٨٠ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٩ / ٦٨٠ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٨٠ / ٦٨١ .

الطارون والزارون يعتصمون بمكة :

وفي سنة ست وثلاثين وألف ثامن عشر عاشوراء ، عَزَل من السوق جميع العطاراة والبزارة ، ودخلوا على ضريح السيد نعمة الله القادري ، نزيل شعب عامر ، وسبب ذلك أن كل شريف من الأشراف استخرج رجلاً منهم على قواعدهم أنه رَجَّالُه وأنه اليه في قواعدهم أن كل ما أراد شيئاً أخذَه منه ، وإن امتنع تصرَّف فيه بكل ما يختار ، وما أحد يعارضه ، ولا صاحب ، حتى أن شريفًا يقال له عبدالمعين بن حسن ، نادى على ابن عبد الله شلبي وطلب منه بعض شيء من المعاملة فامتنع ، فسل سيفه عليه وتهدَّده ، فخاف على نفسه ، وألقى بنفسه من طاقة في بيت الشريف فانكسرت رجله .

وفي ظهر ذلك اليوم نادى منادي الشريف ، في حال العطاراة والبزارة بأنهم رعية الله ، ورعية السلطان أحمد ، ورعية ملك مكة ، يسطون دكاكينهم ، ليس لأحد من الأشراف يتعرضهم فبسطوا ، ثم أرسل شريف من ذوي عبد الله ، يقال له زين العابدين لرجل من العطاراة ، وناداه وأظهر وصلاً من الشريف يتضمن بأنه رَجَّالُه ، فقال العطار أنا رعية السلطان ورعية الشريف فضربه على فمه وفوق رأسه ، حتى آدمى وجهه وجبسه ، ولا فكُّ حتى أخذ منه شيئاً .

فاجتمعت العطاراة والبزارة ، ومضوا إلى شيخ الجماعة فاستنظرهم ثلاثة أيام ، فلم يجدوا عنده جواباً شافياً فعرفوا بطلان المناداة الأولى ، وهذه سالفة بين الأشراف لا يمكن قطعها . وفي هذه المدة فقد من السوق كل شيء ، وطلعت الأسعار ، وزاد العيار ، ولا في السوق إلا الفول والزيت الحار فقلت :

كُل شيء عَزَ نَـائِلُه فهو مفقود ومجهول
بسوقنا حيث الغلاء به ليس إلا الـ زيت والفول
كذا في انحاف فضلاء الزمن^(١) .

شاعر يصف خطباء العصر في مكة :

شكى المنبر المكِّي جَوْرَ ائمة عليه بأنواع المواعظ يلعبوا
وقال آلهي أنت أدرى بحالهم يقولون مالا يفعلون ويكذبوا
وقال آخر :

لقد كانت الخطبة فيما مضى لمن لـه في العلم أوفى نصيب
حتى اضمحلت بأناس اتوا من فارط الجهل بشيء عجيب
فصار من قلة عقل الفتى وجهله أن قيل هذا خطيب
هذا الشعر قيل في إمام خطب في مكة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف نقلاً عن انحاف فضلاء الزمن^(٢) .

(١) إفاة الأنام مجلد ٢ ص ٦٣٧/٦٣٩ .

(٢) إفاة الأنام مجلد ٢ ص ٦٤١/٦٣٩ .

السياط

قال العلامة جعفر اللبني رحمه الله في شرح رسالة ابن زيدون : السياط من الطعام ما يُمَدُّ عليه ، والعامّة تضم السين وهو في عرف أهل مكة ومن قرب منهم ، طعام يجمع أنواع المأكولات الموجودات يومئذ في البلد من حلوى وحامض ، ومن فواكه ويجلب اليه ما يمكن جلبه من أقرب المحلات ويُصَفُّ على أشكال مخصوصة ، لهم فيها اصطلاحات يصنع في الولايم العظام ، ويعرف أوضاعه أساتذة لهم مهارة فيه ، وهي عادة قديمة في مكة وإذا قَصَرَ عن بعض الأطعمة سمي طرافة أو نصف سباط . انتهى^(١).

اقامة الصلاة في المسجد الحرام بأئمة أربعة :

نقل السنجاري عن التقي الفاسي :

ان الصلاة في المسجد الحرام كانت تقام بأئمة أربعة على المذاهب الأربعة ، ويقول التقي الفاسي عن ذلك :

وأما حدوث صلاة هذه الأئمة الأربعة على هذه الصيغة لا أعلم في أي وقت كان ، ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين مع الشافعي سنة أربعمائة وسبع وتسعين ، وأن الحنبلي لم يكن موجوداً ، وأنما كان أمام الزيدية .

ثم قال : ووجدت ما يدل على أن الحنبلي كان موجوداً في عشر الأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى^(٢).

محمل الحج وتاريخ المحامل :

ذكرنا في الجزء الثالث من أعلام الحجاز شيئاً من المحامل التي كانت تصل بحجاج الأقطار الإسلامية الى مكة ، وقد أورد الشيخ الغازي معلومات أخرى رأيت اضافتها الى ما سبق ذكره^(٣).

(١) هامش المجلد الثاني من الفادة الأنام صفحة (٩) .

(٢) الفادة الأنام مجلد ٢ ص ١٥/١٦ .

(٣) راجع أعلام الحجاز ج ٣ ص ٣٠/٣٢ .

جاء في كتاب الكثر المدفون للسيوطي :
ان أول من أحدث المحامل في طريق مكة شرفها الله الحجاج بن يوسف الثقفي ، وذكر
صاحب درر الفرائد : المحامل أربعة ، العراقي ، والمصري ، والشامي ، واليميني ، وحج
في بعض السنين الحلييون بمحمل ، وحج آخرون بمحامل في سنين مختلفة .

المحمل العراقي :

كان المحمل العراقي أعظم المحامل في وقته ، لأن الخلافة الاسلامية كانت في مدينة بغداد
عاصمة العراق ، وان معول أقاليم الاسلام على ما يصدر منها ، ويرد اليها . . . الخ .

ثم قال :

ولقد اعتنى أبو سعيد بن خدابنده بأمر حاج العراق عناية تامة ، وغشى المحمل بالحرير
ورصعه بالذهب واللؤلؤ والياقوت ، وأنواع الجواهر الأخرى التي بلغت قيمة الحلية فيه
(٢٥٠,٠٠٠ دينار) من الذهب المصري أو (١٢٥,٠٠٠ جنيه) وجعل للمحمل خزاناً
يسبل عليه اذا وضع ، ولما تقلص ظل الخلافة عن طريق العراق ، وآل الأمر الى الملوك
المتغلبين من الأمراء والأعيان .

ضعف شأن المحمل العراقي فكان العربان يستهترون بركبه ، وكثيرا ما اعتدوا عليه .
وفي سنة ٦٣١ رجع الحج العراقي إذ طمَّ عرب الاجاورة الآبار ، واختلف الحجاج مع
العربان حتى ضاق الوقت ، وفي السنوات ٦٣٣ : ٦٣٦ ، وسنة ٦٣٩ لم يحج العراقيون
لدخول التتربغداد ، ثم صار المحمل العراقي يحجى مرة وينقطع أخرى الى القرن التاسع
الهجري^(١) .

السلطان سليم أول من رتب ارسال الغلال الى مكة والمدينة :

نقل الغازي عن ابراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين ، ان السلطان سليم هو أول من رتب
صدقة الحب لأهل الحرمين ففي سنة ٩٢٤ وصل من السويس الى جدة سفائن تحمل سبعة
آلاف أردب من القمح جهزها خاير بك نائب السلطنة بمصر منها ألفين أردب لأهل المدينة ،
والخمسة الباقية لأهل مكة ، وأخذ سلاطين آل عثمان يزيدون هذه الصدقات كلما تولى
سلطان جديد ، حتى وصلت الى اثني عشر ألف أردب لمكة ، وثمانية آلاف لأهل المدينة^(٢) .

أول من أرسل صرة النقود الى مكة المقتدر العباسي :

وفي مرآة الحرمين ، ان أول من أرسل صرة النقود الى الحرمين المقتدر بالله العباسي سنة
٣٢٠ هجرية ، ثم تبعه الأمراء والخلفاء كل يزيد منهم على سلفه ما يليق بكرم نفسه ، وأول

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢٨ / ٣٠ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٥٣ / ٤٢ .

من جهاز صرَّ النقود الى مكة من سلاطين آل عثمان السلطان محمد خان بن السلطان يلدرم خان ، وكانت ترسل من بلاد الروم قبل تولي آل عثمان أمر الحرمين ، واقتفى أثره ولده السلطان مراد خان فكان يرسل أضعاف ما أرسله أبوه ، فالسلطان بايزيد خان ضاعف الصدقة .

ولما آل الأمر الى السلطان سليم خان أرسل الصدقات أضعاف ما كان يرسله أبوه^(١) . وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وثلاثمائة ما يلي :

وفي أيام المقتدر بالله وهي من سنة خمس وتسعين ومائتين الى أواخر سنة عشرين وثلاثمائة في وزارة حامد بن العباس ، رتب علي بن عيسى بن الجراح لأن يحمل الى الحرمين الشريفين وإلى المجاورين بهما ، وإلى أرباب الوظائف بمكة والمدينة في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار وخمسة آلاف دينار وأربعمائة وستة وعشرين ديناراً .

هكذا قال الامام السروجي في باب زكاة المال من كتاب الغاية في شرح الهداية^(٢) .

السلطان نور الدين الشهيد أول من أرسل الطواشية الى المدينة :

نقل الغازي عن أتحاف فضلاء الزمن بتاريخخ ولاية بني الحسن ما يلي :

وفي سنة خمسائة وسبع وخمسين حسَّنوا للسلطان نور الدين الشهيد أن يرسل بعض خدم طواشيته الى المدينة المنورة ، ليكونوا سدنة لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرمة المحترم فاستحسن ذلك إلا أنه قال :

كيف نعمل شيئاً ما سبقنا عليه أحد من الخليفة - الخلفاء - قبلنا ، فلم يزلوا به حتى وافقهم على ذلك ، فجعل اثنا عشر طواشياً لا غير ، وشرط أن يكونوا حُفَاطاً للقرآن ، ولربيع العبادات لذلك^(٣) ، وأن يكونوا أحباشاً فإن لم يكونوا فأرواماً ، فإن عُدِمُوا فتكارنة ، وإن لم يوجد فهنود ، واستمر الأمر مستقيماً مدة ، ثم مازال فقَد شيء بعد شيء ، حتى صار الآن من الهنود ، وصاروا عامية ليسوا بأهل علم ، وكانوا اثنا عشر فعادوا فوق الأربعين ، فسبحان من يغير ولا يتغير ، وأنكروا علماء المدينة ذلك وألقوا في ذلك تأليفاً ولكن يد الخلافة لا تطاؤها يد . انتهى^(٤) .

المهدي العباسي يأمر بنفي المغنين من مكة :

وفي سنة تسع وخمسين ومائة أوفى التي بعدها أمر المهدي بنفي كل من بمكة من المغنين ومنع فِتْيَتَهَا من الغناء ، وأخرج كل من فيها من التشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٦٢/٦١ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٨٧/٨٦ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٩٧/٩٦ .

(٤) الجملة غير واضحة لعل المراد أن يكونوا على علم بالعبادات وأركانها .

الرجال بالنساء ، ومنع من لعب الشطرنج ، وغيره من الأمور التي تجرُّ الى اللهو والطرب ، وطهرها من كثير من المباحات الملهية عن الصلوات ، والمشغلة عن اغتنام القرب والزم حجة الكعبة اجلاها وتوقيرها ، وتنزيهاها ، وتطيبها للزائرين وتجميرها وفتح بابها بالسكينة والخشوع ، وزجر النساء عن الخروج الى المسجد متعطرات^(١) .

المهدي أول من أقام البريد بين مكة والمدينة :
وفي صفر سنة ست وستين ومائة أمر المهدي باقامة البريد بين مكة والمدينة ، فخصصت لذلك بغال وأبل ، ولم يكن هناك بريد من قبل^(٢) .

المستضيء بالله العباسي يأمر بعمارة الأميال الخضر بالمسعى :
وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة أمر أمير المؤمنين المستضيء بالله بعمارة الأميال الخضر بالمسعى المعظم^(٣) .

المظفر كوكبري ينشئ الاعلام الثلاثة بعرفة :
وفي سنة خمس وستمائة في شهر شعبان ، انشئت الاعلام الثلاثة التي هي بين منتهى أرض عرفة ووادي عرنة ، أمر بانشائها المظفر كوكبري بن علي بكتكين صاحب اربل^(٤) .

اغلاق أبواب المسجد الحرام باستثناء أربعة أبواب :
في سنة ثلاثين وثلاثمائة وصل مرسوم صحيفة الحاج يتضمن منع الباعة من بسط البضائع أيام الموسم في المسجد الحرام ومن ضرب الخيام في المسجد على مساطب وأمامها ، وأن يترك المنبر الذي يخطب عليه يوم الجمعة في مكانه مسامتا لمقام ابراهيم ، ومقام الشافعي ، وأن لا يُجرَّ الى جانب الكعبة لأن عند جَرِّه على عجالات يزعج الكعبة اذا أسند اليها ، وأن يخطب الخطيب عليه هناك ، وأن تُسدَّ أبواب المسجد بعد انقضاء الموسم إلا أربعة أبواب هي باب السلام وباب العمرة وباب ابراهيم وباب الصفا ، وأن تُسدَّ الأبواب الشارعة من البيوت الى سطح المسجد فامتل جميع ذلك ، ولم يعرف قط أن أبواب المسجد غلقت إلا في هذه الحادثة ، وصعب عليهم بُعْدُ الأبواب فروجع السلطان في ذلك فأمر بفتح باب الزيادة ، وباب الجنائز ، وقد نظم الشاعر شهاب الدين أحمد بن سعد بن أحمد الحنفي قصيدة يخاطب فيها

(١) افادة الأناام مجلد ٣ ص ١١٤ / ١١٥ .

(٢) افادة الأناام مجلد ٣ ص ١١٥ .

(٣) افادة الأناام مجلد ٣ ص ١١٦ .

(٤) افادة الأناام مجلد ٣ ص ١١٦ .

أهل مصر في غلق أبواب المسجد ، ومنبر الخطيب ، وعزل القاضي ، يقول فيها :
يا أهل مصر يا كرام الوري
أغلقتم الأبواب عن طائف
ومنبر الخطبة أضحي إذا
ومنصب الشرع الشريف الذي
فبالذي شرفكم دائماً
منوا على سكان أم القرى
وفتحوا الأبواب التي غلقت
فضلاً فقد أصبح جيرانها
ثم جاء في الموسم مرسوم صحبة الركب المصري أن تفتح الأبواب كلها ويعزل البوابون
القدماء ، وكانوا قضاة وفقهاء ، ويولى على أبواب الحرم بوابون يتفرغون لهذه الحرفة ،
ويحرصون على نظافة الأبواب وما حولها ، ويمنعون دخول ما يضر المصلين ويلازمون الأبواب
ليلاً ونهاراً ، ورُتبت لهم الرواتب على هذه الخدمة^(١).

أول قاض يرد الى مكة من الروم :

كان قضاة مكة يعينون من علماء مكة ، وفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة عيّنت الحكومة
العثمانية قاضياً من الروم وأرسلته الى مكة ، وهو أول قاض يرد من الروم^(٢).

ترك القوائم أمام البيوت جزاؤها الضرب على الأقدام :

وفي صبح يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة ظننا سنة خمس عشرة وتسعمائة ، شق الأمير
- خير بك المعمار - المسعى وغيره ، ونادى بشيل القوائم من أمام البيوت ، ثم مرّ على بيت
الزمرمي ، فرأى أمام بيتهم بعض شيء من ذلك ، فسأل عن أصحابه فحضر اليه ثابت بن
حسن الزمرمي فوشحه بعضاً ، ثم أمر به فوضع في الأرض فضربه تحت رجله ، ثم مرّ على
رباط السيد حسن عجلان ، فرأى شيئاً تحت جانبه مما يلي زقاق الحمام ، فنادى شيخ الرباط ،
فحضر اليه شيخه وهو أحمد الفقيه بن عبدالمعطي بن حسان فوضع الآخر وضربه تحت
رجليه ، ثم مرّ على أوقاف الجمالي ناظر الخاص ، فرأى شيئاً من ذلك ، فسأل عن المتكلم على
ذلك ، فقيل محمد زمان ، فحضر فضربه على رجله ضرباً كثيراً ، وطيف به البلاد ، فلما
رأى الناس منه ذلك بادروا بشيل ما تحت بيوتهم ، نقلاً عن بلوغ القرى^(٣).

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٢٥/١٢٩ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٤٧ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٥٢/١٥٣ .

الشريف سرور يبني بيتاً في عرفة :
وفي سنة ألف ومائتين أرسل الشريف سرور ستين من المعلمين غير أتباعهم الى عرفة لينبؤوا
له بيتاً ، ولم يسبق لغيره بناء بيت في عرفة ، نقلاً عن خلاصة الكلام^(١) .

دار الامارة بسوق الليل :
وفي الرحلة الحجازية للبتنوني : أن دار الامارة في سوق الليل قد بناها والي مصر محمد علي
باشا سنة ١٢٢٨ لتكون دار الحكومة الحجازية ، ولما ترك ولايتها جعلت مقراً لامارة مكة الى
الآن^(٢) .

أقول : أدركت دار الامارة في الخمسينات من القرن الماضي ، وهي مقر لدائرة الأمير
فيصل بن عبدالعزيز - الملك فيما بعد - الذي كان نائباً لوالده الملك عبدالعزيز في الحجاز ،
وهي مكونة من عدة بيوت متلاصقة وتقع في محلة الغزة ، وقد هدمت فيما بعد .

عمارة قلعة أجياد :
كنت ذكرت في الجزء الثالث من أعلام الحجاز ان الوالي عثمان نوري باشا عمّر قلعة
أجياد ، وقد وجدت في افادة الأنام تفصيلاً عن بناء هذه القلعة وما حدث لها من تعمير أورده
فيما يلي :

في سنة ألف ومائة وستة وتسعين شرع مولانا الشريف سرور في عمارة القلعة التي في أجياد
بعد أن اشترى ما حولها من البيوت ، وأنفق في عمارتها مالاً كثيراً ، ثم نقض بعد سنتين كثيراً
من بنائها وأعادها على أحسن اتقان .

وقد جندَ الشريف غالب جميع العمال والمعلمين الذين في مكة وجدة والطائف واشترى
بيوتاً كثيرة وخاصة في شعب عامر وهدمها ليستعمل أحجارها ، وتم هدم هذه البيوت
بالتفجير ، فهدمت في أيام قلائل وتحولت الى أكوام ، فانطلق المنادي في شوارع البلاد على
جميع الحاضر والباد ، حتى العبيد والعساكر ، والأكابر ، والصغار وأرباب الحرف ، وكلفهم
الحضور ونقل هذا الدمار ، ومن لم يكن له استطاعة بالمشاركة الشخصية فعليه ارسال
أتباعه ، وعين للعاملين أجرة للعمل ، وقد بلغت الأجرة اليومية ألفي قرش ، نقلاً عن
خلاصة الكلام ، وكتاب أشراف مكة وامراؤها^(٣) .

الشريف غالب يبني الأبراج التي بأطراف مكة وقلعة لعلع :
وفي سنة ألف ومائتين وخمسة عشرة بنى الشريف غالب بن مساعد الأبراج التي بأطراف
مكة ، والقلعة التي على جبل لعلع المطل على العبادي ، ذكر ذلك السيد دحلان في خلاصة
الكلام .

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢١٢ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢١٥ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢١٤/٢١٣ .

وفي السابع والعشرين من رجب سنة ألف ومائتين وواحد وعشرين أمر مولانا الشريف غالب أن يبني له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندي ، وتم بناؤه في عاشر رمضان ، فحَصَّنَه بالرجال والذخائر .

أقول : ويبدو أن هذه القلعة تعرضت للخراب فقام بتعميرها وتوسيعها وأحكم عمارتها وأتقنها والي الحجاز عثمان نوري باشا في سنة ألف وثلاثمائة كما جاء في سالنامة الرحلات^(١) .

السلطان عبد الحميد يبني قسلة جرول :

وفي سنة ١٣١٨ بنى قسلة جرول السلطان عبد الحميد واحتفل بافتتاحها في الخامس عشر من ذي الحجة من العام المذكور ، وكان السلطان عبد الحميد أمر ببناؤها من ماله الخاص لتكون نزلاً لفقراء الحجاج ، وقد حضر حفلة الافتتاح ابراهيم رفعت باشا مؤلف كتاب مرآة الحرمين ، ووصف المبني وصفاً جيداً ، ثم علق على ذلك فقال :

وأعجب لهذا السراي التي بها ناظر ، وخدم ، وطباخون ، يأخذون مرتبهم من ثلاث سنين خلّت ، في حين أنه لا توجد حجرة من حجراتها مفروشة ولا يوجد بها فقير واحد ، وقد بلغني أن جلالة السلطان أنفق على اقامتها تسعين ألف جنيه مجيدي . انتهى^(٢) .

الثلج يحمل الى المهدي من العراق الى مكة :

حجَّ الخليفة العباسي الثالث أبو عبدالله ولد المنصور الملقب بالمهدي ، وحمل له الأمير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة ، وهذا شيء لم يتم لأحد قبله ، وقسّم المهدي في الحرمين الشريفين أموالاً عظيمة ، وهي ثلاثون ألف درهم ، وصل معه بها من العراق ، وثلاثمائة ألف دينار وصلت اليه من مصر ، ومائتا ألف دينار وصلت اليه من اليمن ، ومائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، فرّق جميع ذلك على أهل الحرمين ، ذكره ابن فهد^(٣) .

أقول : ذكرت في الجزء الثالث من أعلام الحجاز أن الثلج حمل الى الرشيد بمكة نقلاً عن تاريخ مكة للسباعي ، وأود أن أذكر هنا أن المهدي العباسي هو والد الرشيد فاذا صح أنه نقل اليه الثلج بمكة ، فيكون أول من نقل اليه الثلج من العراق الى مكة .

جميلة بنت ناصر وأعمالها في الحج :

وفي سنة ثلاثمائة وست وستين حجت جميلة بنت ناصر الدولة التي يضرب بها المثل في أفعال البر .

كان معها أربعمائة محمل على لون واحد ، ولم يعلم هي في أي محمل ، ولما رأت البيت الحرام نثرت عليه عشرة آلاف دينار ، وكست المجاورين بالحرمين وأنفقت أموالاً عظيمة -

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢١٤/٢١٥ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٢٤/٢٢١ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢٨٠/٢٨١ .

والذي أنفقته في حجها ألف ألف وخمسمائة ألف دينار من ضرب أبيها وزوجها وزوجت كل علوي وعلوية بالحرمين ، وسقت أهل عرفة كلهم السوق ، والسكر والثلج حملته معها ، وحملت معها البقول مزروعة في مراكن الخشب وأعدت للفقراء خمسمائة بعير تحملهم عليها في الطريق .

ولم توقد في الحرم مدة إقامتها إلا بشمع العنبر .
وأعتقت بمكة ثلاثمائة عبد ومائتي جارية ، وأغنت جميع الفقراء المجاورين .
كذا في تاريخ السنجاري ، وتحصيل المرام ، وفي الأتحاف .
وكان معها عشرة آلاف جمل وألف عجل^(١) .

الأمير عثمان الزنجبيلي يحمل الحجاج بين عرفة والمزدلفة :

وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وصل مكة صاحب عدن الأمير عثمان الزنجبيلي ، وفي الثامن من ذي الحجة بكر الناس بالصعود الى منى ، وغدوا فيها الى عرفة وتركوا المبيت بها لخوف الأعراب المغيرين على الحجاج في طريقهم الى عرفات ، واجتهد الأمير عثمان الزنجبيلي في حفظ الحاج اجتهداً بل جهاداً يرجى لديه المغفرة لجميع خطايه .
وذلك أن تقدم جميع أصحابه شاكين السلاح الى المضيق الذي بين مزدلفة وعرفات ف ضرب قبه في المضيق بين الجبلين ، بعد أن قدم أحد أصحابه فصعد بفرسه الى رأس الجبل الذي على يسار المار الى عرفات فأمر جميع الحاج ، واتصل صعود الناس ذلك اليوم كله ، كلها الى يوم الجمعة كله ، فاجتمع بعرفات من البشر جمع لا يحصي عدده إلا الله عز وجل^(٢) .

السلطان غياث الدين ملك بنقالة يرسل أموالاً لبناء مدرسة ورباط بالمدينة :
في ذكر ما أرسله السلطان غياث الدين ملك بنقالة الى مكة ذكر الغازي عن صدقته للمدينة المنورة مايلي :

وكان السلطان غياث الدين أرسل مع ياقوت الغياثي خادماً يسمى حاجي اقبال أرسله بصدقة أخرى عنده لأهل المدينة المنورة ، وجّهز مالاً لبيني له بها مدرسة ورباطاً ، وهدية الى أمير المدينة يومئذ جواز الحسيني ، فانكسرت السفينة التي فيها هذه الأموال وغيرها بقرب جدة فأخذ الشريف حسن بن عجلان ربع ما خرج من البحر على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم ، وأخذ ما يتعلق بالسيد جواز الحسيني لأنه عصي ، وظهرت منه شتايع بالمدينة المنورة ، من أخذ مفتاح خزانة النبي صلى الله عليه وسلم من قاضي المدينة جبراً بعد أن أهانه ، وهو القاضي زين الدين أبوبكر بن حسين المراغي ، وضرب شيخ الخدام ، وأخذ من خزانة النبي صلى الله عليه وسلم أحد عشر خوشخانه وصندوقين كبيرين ، وصندوقاً صغيراً كلها عمهورة فيها ذهب للملوك العراق ، وخمسة آلاف كفن ، وصادر الخدام ، وأخذ

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣١٢/٣١٣ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣١٥/٣١٦ .

قناديل الذهب من الحجرة ، فمنعه الله ، ونهب العربان ما جمعه ومات .
فأرسل الشريف حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكرياً وصلوا اليها وولى عليها
عجلان بن نمير الحسيني ، وكل ذلك سنة أحد عشر وثمانمائة . انتهى^(١) .

وزير السلطان مراد يمزج الماء بالسكر والعسل ويسقي الحجيج :
وفي سنة خمسين وثمانمائة حج وزير من وزراء السلطان مراد الثاني وجاء بصدقات جليلة
وخيرات وافرة لأهل الحرمين الشريفين ، ورمى في بركة قبة العباس بالحرم الشريف ثلاثمائة
وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس ، وملاً القرب ، وخرج بها الساقون
الى المسعى يسقون الناس ، وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالاً جزيلة . كذا في
الاعلام^(٢) .

أول مكوس فرضت على جدة :

وفي سنة ثمانمائة وثمان وعشرين عين سلطان مصر سعد الدين بن ابراهيم بن المرة القطبي
لأخذ مكوس جدة وهو أول مكس أخذ من جدة ، واستمر من يومئذ عمال الى الآن بيندر
جدة .

أقول : كان السلطان بمصر هو الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الظاهري^(٣) .

الجودرية اسم حارة بالقاهرة :

ذكر ابن اياس في بدائع الزهور أن السلطان برسباي أمر بكبس حارة الجودرية ، وكان
مختفياً بها أحد المتصوفة الذين يطلبهم السلطان ، فكبست الحارة وأخليت وبقيت خالية مدة
طويلة^(٤) .

وفاة الشيخ عبدالله غازي :

توفي الشيخ عبدالله الغازي سنة ألف وثلاثمائة وسبعة وخمسين ، تغمده الله برحماته
الواسعة^(٥) .

ونختم الحديث عن كتاب افادة الأنام راجين لمؤلفه الشيخ عبدالله غازي الرحمة
والغفران ، متمنياً أن تهتم جامعاتنا العزيزة بنشر مؤلفه الموسوعي الكبير وتحقيقه قريباً بإذن
الله .



(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣٣٣/٣٣٥ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣٣٦/٣٣٧ .

(٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦ .

(٤) بدائع الزهور ص ١٠٥ .

(٥) سيرة وتراجم ص ٢٠٢ .



السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ



السيد محمود احمد

السيد محمود أحمد

أسمر اللون واسع العينين أقى الأنف متوسط القامة ، أقرب الى النحافة منه الى الامتلاء ، تزين وجهه لحية سوداء تشمل الشارب والعارضين ، يرتدي العباءة ويسدل على رأسه شالاً أبيض بدون عقال ، وهو الزي الذي يتميز به رجال الدين والقضاة .
ولد السيد محمود أحمد سنة ١٣٠٨ هـ بالهند وقدم مع والده الى المدينة وهو في الثامنة من العمر ، وتعلم بالمدرسة الاعدادية بالمدينة في العهد العثماني ، وتخرج منها سنة ١٣٢٥ هـ ، وتابع دراسته في المسجد النبوي الشريف في حلقات الدروس على العلماء الذين كانت تملأ حلقاتهم رحاب المسجد الشريف .

وظائفه :

عمل كاتباً بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة في العهد العثماني ، وفي العهد الهاشمي رُقِّي بأمر ملكي الى وظيفة رئيس الكتاب فيها .
ثم عين قاضياً بمدينة جدة عام ١٣٤٩ هـ ولكن صحته توعكت فاستقال من وظيفة القضاء وعاد الى المدينة المنورة بعد عامين قضاهما في جدة .
وبعد عودته الى المدينة عين كاتباً للعدل بالمدينة المنورة ، وفي عام ١٣٦٤ عين عضواً في رئاسة القضاة بأمر ملكي .
ثم عين عضواً في المجلس الاداري وترأس مجلس الاوقاف بالمدينة المنورة ، كما ترأس المجلس البلدي بها^(١) .

التجارة والتطوير :

المدينة المنورة كما هو معروف بلد زراعي ، تقوم حياة سكانه على الزراعة ، وعلى استقبال

(١) مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ص ١٣/١٤ .

الوافدين اليه لزيارة المسجد النبوي الشريف ، والسلام على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وكانت الزراعة في المدينة المنورة تعتمد على الوسائل القديمة في ري المزروعات حيث تستخدم الحيوانات في سحب المياه من الآبار لري الزرع ، وشاهد الشاب السيد محمود ذلك ، ولكنه كان الى جانب عمله في المحاكم الشرعية وفي دوائر القضاة متفتح الذهن راغباً في ادخال التطوير المفيد ، وكان قد تعلم اللغة الانجليزية وكاتب بعض المصانع في انجلترا بحكم عمله التجاري الذي بدأه فقام باستيراد طلبات سحب المياه المزودة بمكائن رستن ، وجرى تركيب أولى المكائن في المدينة المنورة فأحدث هذا العمل ثورة في طرق الري التي كانت مستخدمة ، واتجه القادرون من أصحاب البساتين والزراع الى استخدام هذه الآلات في ري مزارعهم ، فكانت نقلة عظيمة في الري ، استخدمت فيها الآلة بدلا من الحيوان .

وكان السيد محمود أحمد هورائد هذا العمل العظيم في المدينة المنورة .

ولم يكف محمود أحمد بهذا ، ولكنه وقد رأى ما تفعله الآلة استورد أول آلة لطحن الحبوب ، بعد أن كانت المطاحن تدار كذلك بالحيوانات فحلّت الآلة محلها ، وكان هذا تطوراً آخر أدخله محمود أحمد على حياة المدينة المنورة .

والصيف في المدينة المنورة شديد الحرارة تصل الحرارة فيه الى أعلى الدرجات فتتجاوز الأربعين درجة في الظهر والأصيل ، وهي في أشد الحاجة الى الوسائل التي تخفف هذه الحرارة على الناس ، واستورد السيد محمود أحمد أول مصنع للثلج في المدينة المنورة ، فكان بحق رائداً من الرواد أدخل الآلات في حياة الناس فاستغنوا بها عن استعمال الحيوانات ، وادخل الرفاهية الضرورية بايجاد الثلج ميسورا في المدينة المنورة يقبل الناس على شرائه واستعماله لمقاومة الحرارة الشديدة في الصيف .

قد يقول البعض ، ولكنه بادخاله هذه الآلات في المدينة المنورة ربح ربحاً عظيماً وجوابي على ذلك ، ان الريح حلال طيب ، وان هذا لا يطعن في ريادته في هذا المجال . وقد يتمحك المتمحكون وما أكثرهم فيقولون انه احتكر استيراد هذه الآلات وتحكم في أسعارها .

وجوابي على هذا ان المصانع التي تنتج الآلات سواء لتوليد الكهرباء أو لرفع المياه أو لإدارة المطاحن ، أو لصنع الثلوج تعد بالمئات ان لم تكن بالآلاف فلماذا لم يتقدم غيره للبحث عن هذه المصانع ويستورد منها كما استورد محمود أحمد ويثري كما أثرى ؟

وهنا يظهر الفارق بين العامل المجد ، وغيره من الناس .

وبعد هذه المقدمة التي رأيتها ضرورية بين يدي البحث أصل الى السبب الأعظم الذي دفعني للكتابة عن محمود أحمد ووضعه بين أعلام الرجال الذين أكتب عنهم وأترجم لهم في هذا الكتاب وما سبقه من أجزاء .

لمحمود أحمد مكرمة صنعها وأخفاها عن الناس ويأبى الله تعالى إلا أن يظهرها فالعمل الطيب كالعطر الزكي الرائحة لا بد أن ينبعث عن نفسه ، فتظهر آثاره ويشتمه الناس عطراً شديداً .

في عام ١٣٦٩ كان السيد محمود أحمد يتولى رئاسة مجلس الأوقاف في المدينة ورأى أن المكائن الكهربائية التي تضيء المسجد النبوي الشريف في حاجة الى تقوية فاستأذن الملك عبدالعزيز رحمه الله أن يسمح له باستيراد مكينة كهرباء لتقوية الاضاءة ، وبعد حصوله على الاذن الملكي استورد على حسابه مكينة كهربائية بقوة مائتي كيلووات ، مع كافة مستلزماتها من تمديدات وكوابل ، واستورد معها مائتي مروحة هوائية ومصابيح الفلوراسنت ، وتم تركيب هذه المكينة ، كما تم تركيب المراوح والمصابيح الفلوراسنت لتقوية الاضاءة بالمسجد النبوي الشريف .

وقد أخبرني من أثق بروايته أن السيد محمود أحمد كتم هذا العمل عن الناس فلم يعلن عنه في الصحف ، ولم ينشر خبره بين الناس ، وانما بقي مكتوماً في دائرة ضيقة بين السيد محمود وموظفي الأوقاف الذين تسلموا المكينة الكهربائية والمراوح والمصابيح عمل هذا ابتغاء مرضات الله تعالى ، ورغبة فيما عنده ، وتعبيراً عن حبه العظيم للرسول صلوات الله وسلامه عليه وتعلقاً بمسجده الشريف ، وقد رأيت بهذه المناسبة أن نستكمل الحديث عن اضاءة المسجد النبوي الشريف بالكهرباء فأقول :

اضاءة المسجد النبوي بالكهرباء :

في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ذكرت عن انارة المسجد النبوي الشريف بالكهرباء مايلي :

كانت الاضاءة في المسجد النبوي تعتمد على قناديل الزيت التي لا تزال بقاياها معلقة في العوارض الحديدية بين أعمدة المسجد ، كما كانت الشموع توقد في المسجد للاضاءة الى جانب القناديل .

وأول من أضاء المسجد النبوي الشريف بالكهرباء هو السلطان عبدالمجيد الثاني العثماني الذي بعث مكينة كهربائية لاضاءة المسجد ، وكان بدء الانارة فيه بالكهرباء يوم ٢٥ شعبان ١٣٢٦ للهجرة ، وهو يوم الاحتفال بافتتاح سكة حديد الحجاز بالمدينة المنورة^(١) .

ويقول السيد حبيب محمود أحمد رئيس مجلس الأوقاف الأعلى بالمدينة المنورة عن هذه المكينة أنها كانت من مصنع رستن الانجليزية وانها كانت تدار بغاز الفحم ، وقد وردت هذه المكينة مع كافة اللوازم للاضاءة ، وانه تم بناء محطة توليد الكهرباء شمال المسجد الشريف في المنطقة المعروفة بدار الضيافة ، وبعد إكمال التمديدات والتجهيزات أضيء المسجد النبوي

(١) أعلام الحجاز ٢ ص ٢٠٥ .

الشريف بالتيار الكهربائي لأول مرة ، ثم ألحق السلطان ذلك بمحرك آخر من مصنع تانجي الانجليزي ، وكان المحركان يتناوبان على العمل^(١) .

وذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز :

ان الحاج الشاوي الجزائري - ويسميه السيد حبيب أحمد - ابشاري الجزائري ، أهدى للمسجد النبوي الشريف مكيئة جديدة لاضاءته بعد أن ظلت المكائن المرسله من السلطان العثمانية تعمل أكثر من ربع قرن وتم وصول المكيئة المهداة من الحاج ابشاري أو الشاوي سنة ١٣٥٣ للهجرة^(٢) .

وكذلك أهدى الوزير المصري الأسبق أحمد حمزه مكيئة كهربائية رائعة للمسجد النبوي الشريف بعد وصول المكيئة التي أهداها الحاج الجزائري ، فيكون مجموع المكائن الكهربائية الى ذلك الوقت أربع مكائن كهربائية^(٣) .

وفي عام ١٣٦٩ هـ أهدى السيد محمود أحمد المكيئة الكهربائية التي قدمنا الحديث عنها، وفي عام ١٣٧٤ هـ قامت الدولة بانشاء محطة خاصة لاضاءة المسجد النبوي الشريف ضمن مشروع التوسعة الاولى للمسجد النبوي الشريف ، والتي كانت نواة لتأسيس شركة كهرباء المدينة المنورة^(٤) .

وبهذا الايضاح التفصيلي نكون قد استكملنا ايراد ما يتعلق باضاءة المسجد النبوي الشريف بدءاً من سنة ١٣٢٦ هـ الى انشاء المحطة الكهربائية الخاصة به من قبل الحكومة السعودية سنة ١٣٧٤ هـ ، ثم تأسيس شركة كهرباء المدينة المنورة .

وفاة السيد محمود أحمد :

مرض السيد محمود أحمد مرضاً طويلاً ، وقاوم كل المحاولات التي بذلت معه للعلاج في خارج المدينة الى أن وافاه الأجل المحتوم في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٩٢ هـ ، ودفن بها كما كان يتمنى رحمه الله رحمة واسعة ، انه سميع مجيب .



(١) من رسالة خاصة من السيد حبيب محمود أحمد الى المؤلف .

(٢) اعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٣) رسالة خاصة من السيد حبيب محمود أحمد الى المؤلف .

(٤) رسالة خاصة من السيد حبيب محمود أحمد للمؤلف .



محمد حسین زیدان



محمد حسين زيدان

محمد حسين زيدان

أصفر اللون ، متوسط القامة ، واسع العينين ، حليق اللحية والعارضين ، كان نحيف البدن في شبابه فلما علت به السن صار أقرب الى الامتلاء ، وفي السنوات الأخيرة من عمره عشي بصره فكان يرى الأشباح ولكنه لا يميز التفاصيل ، ولكن مرض عينه لم يقعه عن الحركة والعمل ، فكان يملئ ما يريد أن يكتب ، ويزور من يحب زيارته وكان يرافقه غالباً صديق عمره السيد يسن طه ، مد الله في حياته .

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٥ للهجرة ، وتلقى تعليمه في الكتاب مثل أبناء جيله في ذلك الزمن ، والتحق بالمدرسة الراقية الهاشمية وتخرج منها سنة ١٣٤٣ هـ كما درس على المشايخ في حلقات المسجد النبوي الشريف ، وعمل بالتدريس في المدرسة السعودية بالمدينة مدرساً للمواد الدينية والتاريخ سنة ١٣٤٦ هـ ، ثم قام بتدريس العقيدة السلفية في دار الأيتام بالمدينة المنورة ، ثم عين مديراً مساعداً لها واستمر عمله بالتدريس الى سنة ١٣٥٨ هـ .

وانتقل الزيدان من المدينة المنورة الى مكة المكرمة سكرتيراً لشيخ مشايخ الجاوه الشيخ / حامد عبد المنان في النصف الثاني من الخمسينات ولعل ذلك كان سنة ١٣٥٨ هـ جرية^(١) .

ثم انتقل الى العمل الحكومي عام ١٣٥٨ هـ ، فعين سكرتيراً للمجلس المالي بوزارة المالية ، فرئيساً للقسم الحسابي ، ثم رئيساً للمحاسبة .

ثم عين مديراً عاماً مساعداً لمديرية الحج بمكة ، وانتقل بعدها مديراً للمالية مكة ، ثم مديراً عاماً لشئون الرياض ، ثم مفتشاً عاماً للحج .

وترك العمل الحكومي في سنة ١٣٧٤ ليتفرغ للعمل الصحفي فشغل منصب مدير تحرير جريدة البلاد ، ثم رئيساً لتحريرها ، كما ترأس بعدها تحرير جريدة الندوة وكان خلال رئاسته لتحرير الصحيفتين وبعدها كاتباً بارزاً في الصحف ، وفي صحف المنطقة الغربية خاصة .

(١) ذكريات المهود الثلاثة ص ٥ .

كان الزيدان يرحمه الله صاحب ثقافة موسوعية ، وكان فصيح اللسان قوي الجنان خطيباً مفوهاً ، اذا اعتلى المنبر ارتجل فأسمع وأبدع ، وحينما بثت الاذاعة ثم التلفزة برامجها كان هو أحد فرسان الكلمة ، بل كان من أحب المتحدثين الى السامعين والمشاهدين ، واني لأذكر برنامج الناجح في سير الصحابة الذي كان يبثه التلفاز في شهور رمضان لسنوات مضت ، ثم توقف مع انه كان من أنجح البرامج التلفزيونية وأحبها الى الناس .

وقد جمع الزيدان يرحمه الله أحاديثه في هذا البرنامج وأضاف اليها ما يماثلها ونشرها في كتاب سماه « سيرة بطل » وحينما تأسست رابطة العالم الاسلامي عمل الزيدان مساعداً لأمين عام الرابطة .

وحينما انشئت دارة الملك عبدالعزيز بالرياض عين عضواً في مجلس ادارة الدارة ، وكان لمكانته الثقافية أكبر الأثر في اختياره لهذا المنصب .

ثم عين رئيساً لتحرير مجلة الدارة ، وهي مجلة تعني بالآثار التاريخية للمملكة سياسية وثقافية وعمرانية ، وكان الزيدان يرحمه الله يمثل مجلة الدارة في الندوات العلمية والمؤتمرات^(١) أصدر الزيدان ثمانية عشر كتاباً نورد أسماءها فيما يلي :

مؤلفات الزيدان :

- سيرة بطل .
- أشياخ ومقالات .
- تمر وجر .
- محاضرات في الثقافة .
- بنو هلال .
- عبدالعزيز والكيان الكبير .
- المنهج المثالي لكتابة التاريخ .
- صور .
- كلمة ونصف .
- خواطر مجنحة .
- قضايا ومقالات في الشرق الأوسط .
- العرب بين الارهاص والمعجزة .
- رحلات الأوربيين الى نجد وشبه الجزيرة العربية .
- ذكريات .
- فواتح مجلة الدارة .
- مع الأيام .

(١) استقيت هذه المعلومات من رسالة ابنه الاستاذ حسين محمد زيدان بتاريخ ١٤١٤/٧/٢ هـ .

- المقالات .

مخلاة الكاتب كشكول القارىء ، وقد صدر منه الجزء الأول والثاني ، وهناك خمسة أجزاء
معدة للطبع كما ذكر لي نجله الكريم الاستاذ / حسين زيدان .

ذكرياتي عن الزيدان :

عرفت الاستاذ / محمد حسين زيدان أول ما عرفته كاتباً في الصحف يتميز بأسلوب فريد ،
فقد كان أحد كتاب جريدة المدينة المنورة حين صدورها في ٢٥ محرم سنة ١٣٥٦ هـ بل كان
أحد أفراد هيئة التحرير ، كما ذكر الاستاذ عثمان حافظ^(١) .

كما أنه كان يرسل مقالاته الى جريدة صوت الحجاز في مكة المكرمة .
وعرفته كذلك من رسائله التي كان يبعث بها الى الشيخ محمد سرور الصبان الذي كان
يتلقى الرسائل من الناس على مختلف طبقاتهم ، حينما كنت أعمل سكرتيراً خاصاً له منذ
نهاية عام ١٣٥٥ هـ في مكة .

وحينما وصل الزيدان الى مكة سنة ١٣٥٨ هـ للعمل في مكتب الشيخ حامد عبد المنان شيخ
مشايخ الجاهه اذ ذاك كان يسكن في بيت الشيخ حامد عبد المنان في سوق الليل ، وكان منزل
الشيخ محمد سرور يرحمه الله على بعد خطوات من منزل الشيخ عبد المنان .
وكان الزيدان يتردد على مكتب الشيخ / محمد سرور ، وكنت أرى الزيدان كثيراً في تلك
الأيام .

كان قد ترك المدينة المنورة ، وله فيها ذكريات وصادقات ، ذكريات عزيزة وصادقات
حيمة ، وكان يشعر بشيء من الوحشة أول مقدمه الى مكة ، وكان يتحدث عن المدينة
والعواطف تتدفق في كلماته ، والشوق يتجلى في ذكرياته ، فكان يخرج معنا في الأصائل
والأماسي الى ظاهر مكة في المسفلة وجرول ، وكنا مجموعة من الأدباء الشباب اتفقت
مشاربهم ، وتشابهت آمالهم ، يتحدثون عما قرأوا ويزجون أوقات فراغهم في هذه المجالس
التي تضمهم في المساء وصدر الليل .

وحينما حل الصيف كان الزيدان أحد أفراد هذه المجموعة التي تجتمع أصيل كل يوم في
الطائف في قروة في سفح جبل السكارى ، وفي الفضاء الفسيح الممتد أمام الثكنة العسكرية
هناك .

وحينما دعوته أول مرة الى بيتي في الطائف ، ورأى الجبل شاغخاً وهو يجلس في الروشان قال
لي ان هذا المنظر يذكرني بالمدينة وجبالها . .

ما أكثر ما كانت المدينة في قلب الزيدان وفي روحه يرحمه الله ، وكتابه ذكريات العهود
الثلاثة من أمتع ما كتب عن المدينة وسأحدث عنه حينما نتحدث عن مؤلفاته يرحمه الله .

(١) تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية ج ١ ص ١٦٢ .

كان يزورني ذات صباح في مكتب الشيخ محمد سرور الصبان بالقشاشية ، وكان له مكتب بها ، وكان هذا المكتب في مواجهة مدرسة الفلاح في مكة المكرمة .

وكان الحاج محمد علي زينل مؤسس الفلاح يرحمه الله قد وصل الى مكة لزيارة المدرسة في ذلك الصباح ، وكنت أرغب في السلام عليه ، فاصطحبت الزيدان يرحمه الله وذهبنا الى مدرسة الفلاح ، كان الحاج محمد علي زينل يرحمه الله قد سبقنا الى الوصول الى المدرسة ، وكان وصحبه يجلسون في صالة الاستقبال ، وكلمات الترحيب تلقى أمامه من الطلبة والمدرسين ، وكان السيد محمد علوي مالكي يرحمه الله استاذاً بمدرسة الفلاح كما كان من قبل تلميذاً بها ، ووقف السيد علوي أمام مؤسس الفلاح وقفة التلميذ أمام الاستاذ ، فقد كان الجميع يقرون له بالفضل ، ويعُدُّونه الأب الروحي لهم .

وقف السيد علوي مالكي أمام مؤسس الفلاح يلقي كلمة كلها الشناء والاعزاز والحب والتقدير .

وانتفض الزيدان يرحمه الله وكان الى جانبي واندفع يرتجل خطاباً يتساءل فيه ويوجه الخطاب الى مؤسس الفلاح وكأنه يقول له : من أنت الذي يقف هذا العالم الجليل بين يديك ليرتل لك آيات الشناء .

ورد الحاج محمد علي زينل بأدبه الجم وتواضعه الكبير على الزيدان يؤيده ويقول : نعم من أنا حتى يقوم السيد علوي مالكي العالم الفاضل الجليل ليثني عليّ وماذا أكون الى جانب علمه وفضله ، ودينه وتقواه . . . ؟

هكذا كان الزيدان اذا انفعل لا يملك زمام نفسه . . . ؟ وهكذا كانت ملكته الخطابية وقدرته على الارتجال تفسحان له مكاناً للخطابة والكلام . . . ؟

لم يكن الزيدان قد عرف مقدار الحب العظيم الذي كان يحظى به مؤسس الفلاح في مكة وجدة اللتين حظيتا بمدارسه العظيمة فيهما .

كان الزيدان مدنياً - مدني المولد والنشأة والهوى - ولم يكن الحاج محمد علي زينل معروفاً في المدينة بمقدار عرفان الناس له في مكة وجدة ، ولهذا فقد كان استغراب الزيدان ان يقف السيد محمد علوي مالكي « وكانت شهرته بالعلم والفضل نعم الحجاز كله » كان استغرابه عظيماً أن يقف هذا العالم الجليل وقفة التلميذ أمام مؤسس الفلاح وعلى أي حال فان الزيدان يرحمه الله أخذ من هذه الوقفة الدليل على عظمة مؤسس الفلاح ، واستحقاقه لما لقي ويلقى من حفاوة وتقدير .

محاضرات جمعية الاسعاف بمكة :

وعلى ذكر ملكة الزيدان الخطابية ، فقد كانت تعقد في جمعية الاسعاف بمكة المكرمة محاضرات أسبوعية يدعى اليها العلماء والأدباء والمؤرخون ليحاضروا فيها ، وكان يجتمع لسماع هذه المحاضرات جمع غفير وقد أصدرت جمعية الاسعاف - التي تحولت فيما بعد الى

جمعية الهلال الأحمر - أصدرت كتاباً ضم بعض المحاضرات التي أُلقيت في الجمعية ، وكان من أبرز محاضريها السيد محمد شطا يرحمه الله ، وكان يتحدث في محاضراته عن قصص الأنبياء ، كما كان من أبرز المحاضرين الدكتور الفلسطيني حسني الطاهر ، وكان يعمل في مستشفى أجياد في مكة المكرمة ، ومن المحاضرين الذين تحدثوا في الجمعية السيد صالح شطا ، والشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي وكانت محاضراته بعنوان « ما نحن أحوج إليه » وقد ألقى بها الأديب الجهير حمزة شحاته محاضراته الطويلة الرجولة عماد الخلق الفاضل والتي استمر في القائها حوالي الخمس ساعات وقد طبعت في كتاب خاص أصدرته شركة تهامة سنة ١٤٠١ هـ ، وكان لي شرف القاء محاضرة فيها عن شعر الغزل والشعراء الغزلون قديماً في الحجاز ، وقد بحثت عن هذه المحاضرة بين أوراقى فلم أجدها ، فلم أكن احتفظ بما أكتب وأنظم إلا في السنوات الأخيرة .

وقد ألقى الزيدان في جمعية الاسعاف محاضرة بعنوان رعاية الشباب ، وكان يرتجل الكلام ولا يستعين بأوراق مكتوبة ، كما يفعل الكثيرون من الخطباء ، وهي مقدرة يعد الزيدان فيها واحداً من أفراد قلائل كانوا قادرين على الارتجال في ذلك الزمان .

ذكريات الزيدان :

كتاب الزيدان ذكريات العهود الثلاثة من أمتع ما كتبه الزيدان ، فقد امتد به العمر ليشهد العهد العثماني والعهد الهاشمي ثم العهد السعودي في الحجاز ، وقد اختزنت ذاكرته القوية أحداثاً كثيرة في هذه العهود مما رأى وسمع ، وأضاف الى ذلك رحلات عديدة ، وقراءات موسوعية كثيرة .

فسرد هذه الذكريات في مقالات نشرها في جريدة المدينة ، وربما في غيرها من الصحف ، ثم طبعها في كتاب ، وقد رأيت أن أشرك القراء في بعض هذه الذكريات الغنية بالمعلومات التاريخية والطرائف ، وان كنت أفضل أن يقرأها القراء بقلم الزيدان يرحمه الله .

والآن الى بعض هذه الذكريات .

المخزن :

يقول الاستاذ/ محمد حسين زيدان ان من الآثار التي تركها حكم محمد علي باشا رأس الاسرة الخديوية الحاكمة في مصر ، من الآثار التي تركها في المدينة - المقاس المعروف بالمخزن - أي تقسيم الأرض الى مخازن ، والمخزن هو ستة أمتار في سبعة أمتار ومجموعه اثنان وأربعون متراً ، وهذا المقاس يساوي واحد في المائة من مساحة الفدان^(١) .

أقول : ان الأراضي تباع في جميع أنحاء المملكة بالمترينما ان البيع بالمخزن هو السائد في المدينة المنورة ، ولعل بقاء هذا الاصطلاح في المدينة يرجع الى طبيعة أرضها الزراعية فان حكم محمد علي باشا لم يقتصر على المدينة وحدها وإنما عم الحجاز كله .

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٣٠ .

الوظائف في عهد محمد علي باشا :

السباهية : يعني الخيالة .

القلعية : يعني حماة القلعة .

النوباتشية : حماة الأبواب .

البيرقدارية : أصحاب البيرق - العلم والبنديرة أو الراية .

باب عرب : وهو الذي ينتهي اليه أمر القبائل العربية اذا ما اختلفوا يحكمونه^(١) .

باب المجيدي :

كان المحل الذي يسمى باب المجيدي في الوقت الحاضر هو وادي مشعط^(٢) .

مدحت باشا أبو الدستور :

كان مدحت باشا يلقب في دولة الخلافة العثمانية بأبي الدستور ، فقد أصدر الدستور العثماني في أواخر سنة ١٢٩٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٧٦ ميلادية حينما تولى منصب الصدارة العظمى في الستانة ، ولكن السلطان عبدالحميد عزله من منصبه وانتهى به الأمر الى أن نفي الى مدينة الطائف بالحجاز ، وبقي فيها بضع سنوات ، ثم قتل غدراً بأمر السلطان^(٣) .

يقول الاستاذ/ محمد حسين زيدان : ان جثمان مدحت باشا دفن في الطائف أمام باب الريع ، وان مصطفى كمال أرسل وفداً الى الملك عبدالعزيز يرحمه الله لنش القبر واستلام جثمانه والعودة به الى تركيا ، وان مكان القبر لم يعرفه الا محمد خوجه وكمال خوجه ، فقد دلا الوفد التركي على مكانه ، فنبشوا القبر وحملوا الرفات وعادوا بها الى تركيا^(٤) .

محمد خوجه وكمال خوجه كانا من أصل تركستاني وكان لهما محل كبير للخياطة في محلة أجياد ، وقد توفيا الى رحمة الله تعالى ، ومن أبنائهم الآن الأطباء ورجال الأعمال ، والسفير السعودي حالياً في موسكو الاستاذ/ عبدالعزيز خوجه هو ابن أخيها محيي الدين ، وكانا يصيِّفان بالطائف كل عام ، ولا بد أنهما علما بموضع قبر مدحت باشا فدلا عليه .

عبدالحميد بدوي باشا :

كان عبدالحميد بدوي باشا القاضي المصري في محكمة العدل الدولية في لاهاي من أعظم رجال القانون في العالم ، حتى اختير لهذا المنصب الرفيع بعد أن تدرج في الوظائف القضائية الكبرى في مصر ، وكان أبوه محمد بدوي من محبي المدينة المنورة والمتردين عليها ، وقد تلقى

(١) ذكريات المهود الثلاثة .

(٢) نفس المصدر ص ٢٦ .

(٣) انظر تفصيل ذلك في الاعلام ج ٧ ص ١٩٥ .

(٤) ذكريات وعهود ص ٣١ .

عبد الحميد بدوي وهو طفل تعليمه التحضيري في المدينة المنورة ، يقول الاستاذ / محمد حسين زيدان عنه ، قال الدكتور طه حسين وهو يقدمه حين اختياره عضواً في مجمع اللغة العربية في مصر :

لقد حَفَّتْه بركة المدينة حيث أول ما فُكَّ الحرف فيها^(١).

الداودية :

نسبة الى داود باشا الوالي التركي الذي ثار على السلطان العثماني وأسس ملكاً في العراق ، وصك عملة في أحد وجهيها - يداود انا جعلناك خليفة في الأرض - وقد انتصر السلطان على داود باشا وأسر ورَحَّلَ الى المدينة المنورة ، فبستان الداودية خارج باب الشامى ، كان باسمه ، ويقول الاستاذ الزيدان : ولا أدري هل الداودية في مكة مثل الداودية بالمدينة أم هو داود آخر^(٢).

أقول : الداودية في مكة - أو مدرسة الداودية بناها الملك المنصور عمر بن علي صاحب اليمن - بين مدرستي دار السلسلة وطاب الزمان - وكانت عمارتها في سنة ست مائة واحد و أربعين ، وتعرف الآن بالداودية أوقفها الملك المنصور على الفقهاء الشافعية والمحدثين^(٣).

الخديوي عباس يتبعث طلاباً من الحجاز الى مصر :

ذكر الاستاذ / محمد حسين زيدان ان الخديوي عباس حينما حضر الى الحج سنة ١٣٢٨ هـ ابتعث من مكة عبدالرؤوف الصبان للدراسة في مصر ، كما ابتعث من المدينة حسن ناصر بن دياب ناصر ، وقال الزيدان تعليقاً على ذلك : كان يقلد السلطان عبد الحميد ، يريد أن يجمع حوله رجالاً من هنا وهناك^(٤).

أوائل المبتعثين من الحجاز :

أما أوائل المبتعثين من الحجاز فقد كانوا في أواسط العشرينات في عهد الدولة العثمانية ، أولهم جميل أحمد شقيق أحمد الفيض آبادي مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة ، وحسين طه وأحمد أبوبكر حمد الله ، ومحمد المغربي وعبد القادر عبد الجواد^(٥).

طلب فصل المدينة عن مكة في العهد العثماني :

يقول الاستاذ / محمد حسين زيدان ما ملخصه :

كانت المدينة المنورة تابعة لشريف مكة في العهد العثماني ، فلما وصل قطار السكة الحديدية

(١) ذكريات المهود الثلاثة ص ٣٣ .

(٢) ذكريات المهود الثلاثة ص ٣٣ .

(٣) انظر ترجمة الشيخ عبدالله الغازي في القسم الخاص بالمدارس في هذا الكتاب .

(٤) ذكريات المهود الثلاثة ص ٣٨ .

(٥) نفس المصدر ص ٣٨ وانظر ترجمة محمد المغربي في الجزء الثالث من اعلام الحجاز ص

بين الشام والمدينة ، أراد الاتحاديون أن يفصلوا المدينة عن سلطة شريف مكة ويلحقونها بالشام ، فانتدبوا علي رضا الركابي ، وهو من نوابغ الضباط السوريين ، وكان لم ينضم الى القوميين العرب ، وانما بقي ولاؤه خالصاً للعثمانيين .

انتدب الاتحاديون علي رضا الركابي فجاء الى المدينة وسعى لتحقيق طلب الانفصال ، يقول زيدان : فالقدا مي من الأسر لم يلبوا طلبه ، والمحدثون منهم كانوا له ، ولم يشذ عن الأسر القومية إلا الشيخ أبو الحسن السنان .

استطاع الركابي أخذ توافيع أهل المدينة الذين أشرنا اليهم على مضبطة يطلبون فيها فصل المدينة عن مكة وضم المدينة الى الشام ، وكانت الأسباب التي استندوا اليها هي سرعة الاتصال ، القطار والتلغراف .

وكان وصول التلغراف الى المدينة سنة ١٣١٨ هـ ، وكان في خفارة علي ناصر . يقول زيدان : وتم فصل المدينة ، والواقع أن ذلك قد يسر كثيراً من الأعمال بينها شريف مكة الحسين بن علي يرحمه الله قد غضب ، فعاتب السنان لأنه ابن لصديقه ، كان مُراً في عتابه ، وقاسياً في شكيمته ، ولكن لا حول ولا قوة له ، فمضى الأمر^(١) .

احسان الله البواب الجاسوس :

عرفت وعرف معي أهل جدة احسان الله الهندي الذي كان يعمل نائباً للقنصل الانجليزي بجدة في أواخر العهد الهاشمي وأوائل العهد السعودي ، وكان رجلاً عظيم النفوذ لدى الانجليز ، أو هكذا كان يتصوره الناس وخصوصاً أولئك الذين ترتبط مصالحهم بحجاج الهند ، وكانت الهند مستعمرة انجليزية ، وكنت اسمع الناس يتحدثون عن احسان الله هذا ويصفونه بأنه كان بواباً في المسجد النبوي الشريف لسنوات طويلة بالمدينة المنورة ، وقد أيد الأستاذ حسين زيدان هذه الرواية وذكر عنها ما خلاصته :

انه رجل من مسلمي الهند بقي مدة ثمانية عشر عاماً في المدينة المنورة بواباً على باب النساء أحد أبواب المسجد النبوي ، وتربطه صلات قرابة بكل من : عبدالحق النقشبندي ، وعبد الحميد عنبر من جهة النساء ، وكانت هذه القرابة هي الساترة لأحواله ، ولم يعرف عنه أهل المدينة إلا أنه البواب على باب المسجد - وبواب المسجد هو الذي توضع لديه أحذية الداخلين الى المسجد لحفظها في أدراج خاصة خارج المسجد - الى جانب مراقبة ما يجب منع دخوله الى المسجد .

يقول الزيدان ما معناه :

وكم كان استغراب أهل المدينة الذين رحّلهم فخري باشا الى الشام ومنهم زين صافي ، وزين مدني ، وأسعد طرابزونى وابراهيم شاكر وغيرهم ، كم كان استغرابهم عظيماً حينما

(١) ذكريات المهود الثلاثة ص ٤١/٤٢ .

احتل فيصل بن الحسين دمشق بعد أن نزع عنها جمال باشا وحين دالت دولة الأتراك ، وجاء المرشال اللنبي الى دمشق ليوطد الأمر لفيصل رأى هؤلاء المدنيين احسان الله البواب على باب النساء ، ضابطاً كبيراً يدخل مع اللنبي . . . الخ^(١) .
أقول :

ظل احسان الله يقوم بوظيفة نائب القنصل الانجليزي في جدة سنوات طويلة ، ثم نقله الانجليز منها الى عدن ، ورُحِّلَ ورحلت معه عائلته الى هناك ، ويبدو أن نقله الى عدن انما تم بعدما عرف عن صلته بالمخابرات البريطانية وشاع ذلك كثيرا ، وربما لأسباب أخرى والله أعلم .

الشيخ مخلوف والبشير الابراهيمي :

يقول الاستاذ/ محمد حسين زيدان ، اجتمع في حج أحد الأعوام في خيام الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية الأسبق الشيخ محمد حسين مخلوف مفتي الديار المصرية في ذلك الزمان والشيخ البشير الابراهيمي الجزائري ، وكانوا ضيوفاً عليه في عرفات ، وأخذ المستفتون من الحجاج يتوافدون يسألون مفتي الديار المصرية عما يرغبون الاستفسار عنه من شئون الحج ، فكان الشيخ مخلوف يسأل السائل عن مذهبه ويحجب عليه بحسب مقتضى مذهبه وطلب البشير الابراهيمي من الشيخ محمد سرور اغلاق الصيوان بحيث لا يدخل أحد ، ثم وجه خطابه للشيخ مخلوف قائلاً :

لماذا تسأل عن المذهب . . . ؟ فأنت تعرف القاعدة ، العامي لا مذهب له ، المذهب للمفتي ، إن رأى مخرجاً يسرَّ عليه ، وإن رأى مسرفاً عسرَّ عليه ، كلمة حق ينتصر به الحق ولا يهزم المذهب^(٢) .

الامام يعين بفرمان :

كانت الامامة في المسجد النبوي الشريف تتم بصدر فرمان من السلطان العثماني باسناد الامامة اليه ، وكانت الامامة دائماً لمن يتبعون الامام أبي حنيفة النعمان لأن السلطان العثماني والحدوي المصري يتبعان الامام أبي حنيفة ، فاذا صدر الفرمان بأن يكون - الأفندي - فلان اماماً ، فأبناؤه يرثون الامامة ، ولا يسألون أن يقوموا بالوظيفة فالواحد منهم ولو لم يفك الحرف - امام بالوراثة ، حتى اذا وصل اليه الترتيب لأداء الصلاة يتخذ قارئاً ينوب عنه في أداء المهمة ، فهي مراتب افتخار يمتازون بها ويحرصون عليها .

(١) ذكريات المهود الثلاثة ص ٤٢/٤٣ .

(٢) ذكريات المهود الثلاثة ص ٤٤ .

فالصلاة الجامعة يؤديها الامام الحنفي ، وبعده يأتي الامام الشافعي يصلي بالذين لم يدركوا الجماعة الاولى ، وهو أيضاً صاحب رتبة منح الامامة بالفرمان ، وان تخلف بعض المصلين يأتي امام على مذهب مالك يصلي في محراب المواجهة ، ولم يكن بالمدينة امام على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وذلك لأسباب سياسية في ذلك الزمان^(١).

أقول :

أوردنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز نبذة عن الائمة في المسجد الحرام والمقامات الأربعة وفيها الكثير من المعلومات في هذا الباب^(٢).

الريال المجيدي :

السلطان عبدالمجيد العثماني هو الذي صك الريال المجيدي ، وكان التعامل قبله بالريال الفرنسي الذي جلبته الحملة الفرنسية على مصر والشام ، وليس هورياً فرنسياً ، ولكنه ريال نمساوي عليه صورة الامبراطورة ماري تريزا امبراطورة النمسا .

ثم طبع السلطان عبدالمجيد الريال المجيدي ، والسلطان رشاد الريال الرشيدي .

أصناف العملة الذهبية :

الجنهات الانجليزي والعماني ، والمسكوفي نسبة الى موسكو ، والفرنسي واسمه المتو وقد أطلق المغاربة اسم لويز على الجنه الفرنسي يعني لويس .

وحينما وصلت الريالات الفرنسية الى سوريا ولبنان أطلق عليها السوريون واللبنانيون كلمة مصريات ومصري لأن هذه العملة من بقايا حملة ابراهيم باشا على الدولة العثمانية^(٣).

هذا ما رأيت أن أشرك القراء في قراءته من ذكريات الامتاذ / محمد حسين زيدان يرحمه الله في كتابه الممتع ذكريات العهود الثلاثة ، وكما ذكرت قبل فإني أفضل أن يقرأ القارئ الزيدان بقلمه وبأسلوبه الخاص الذي تفرد به وعرف عنه .

وفاة الزيدان :

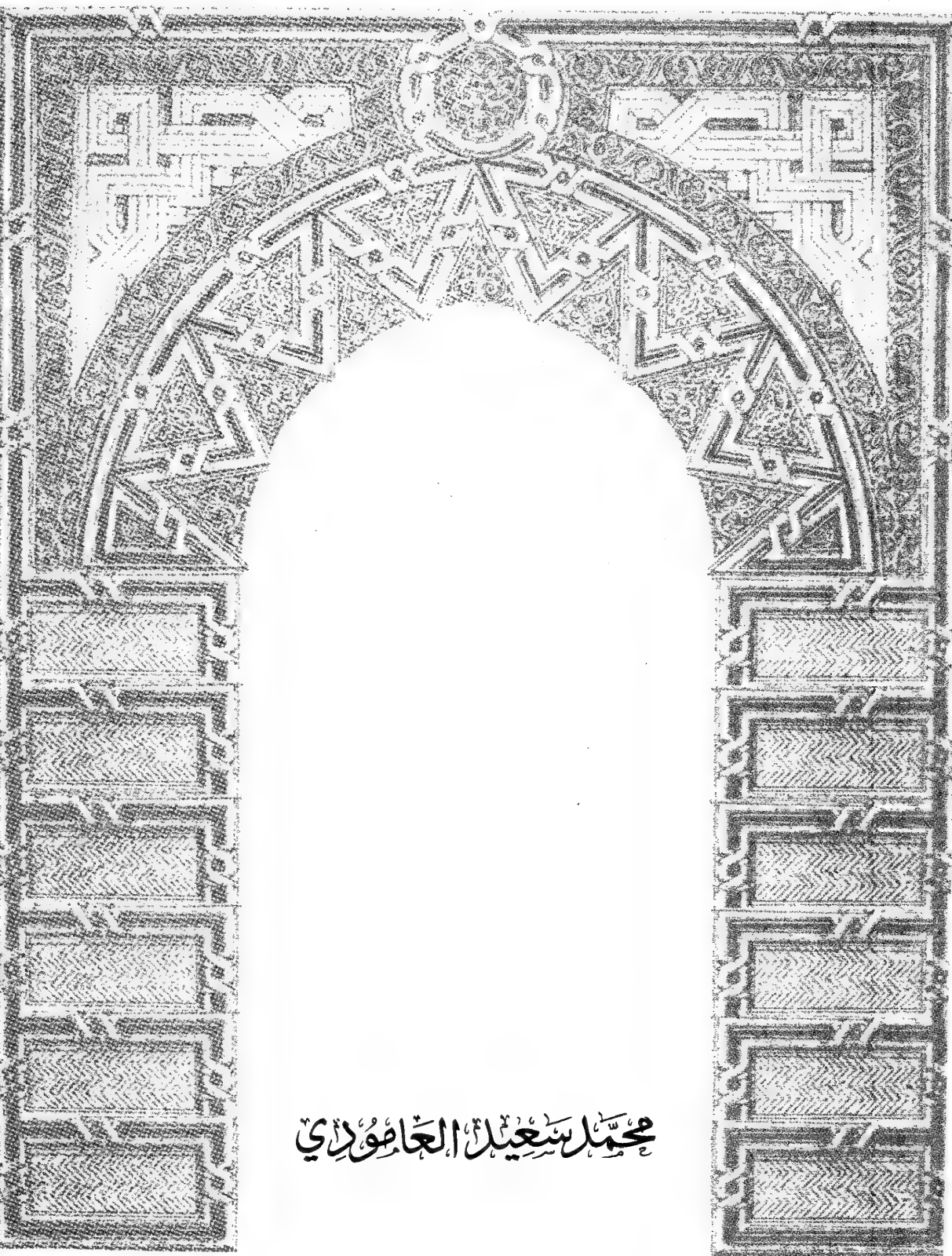
مرض الزيدان وتردد على المستشفيات ، وكان في أيامه الأخيرة قد غشيت كآبة رانت على نفسه ، وتوفي صباح السبت التاسع والعشرين من شهر شوال سنة ١٤١٢ هـ ، تغمد الله برحمته الواسعة ، إنه كريم رحيم .



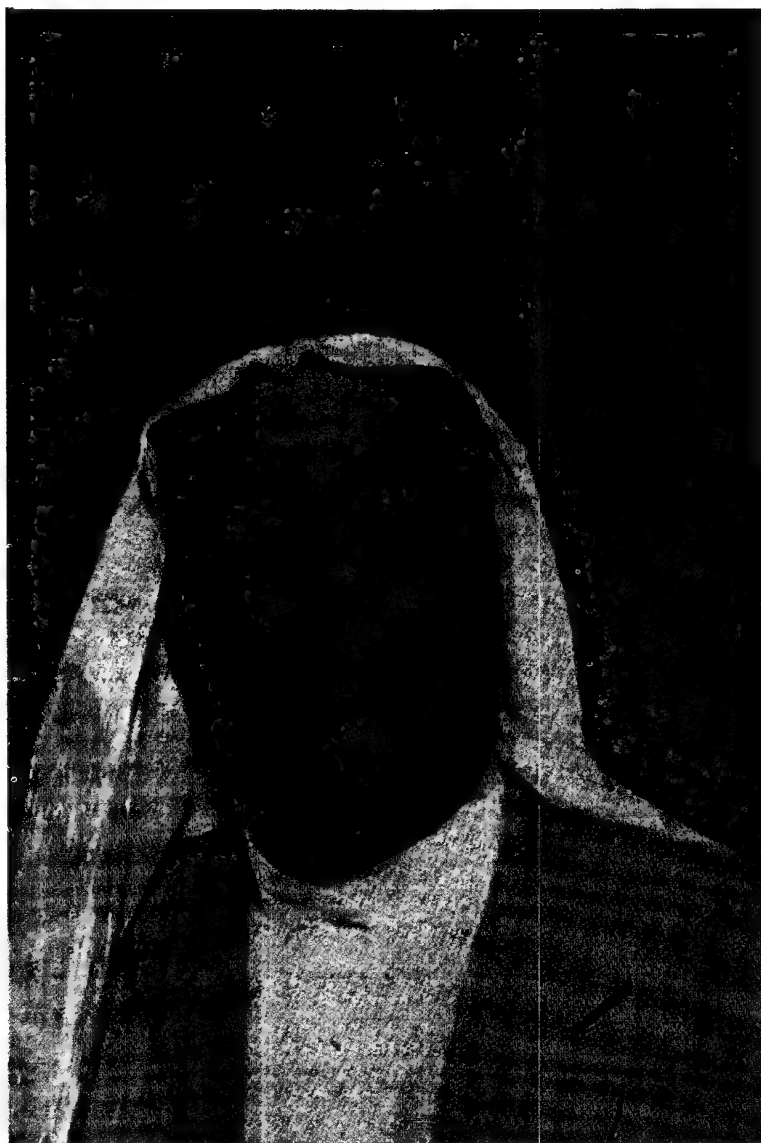
(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٤٦ .

(٢) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٤٩ / ٣٦ .

(٣) ذكريات العهود الثلاثة ص ٥٦ .



مَحْمَدُ سَعِيدُ الْعَامُودِي



محمد سعيد العامودي

محمّد سعيد العامودي

طويل القامة ، أسمر اللون ، أقرب الى النحافة منه الى الامتلاء ، أقى الأنف ، ساجي النظرات ، حليق اللحية والشارب ، تلمح في وجهه سياء الحياء المشوب بالوقار والاتزان . ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٢٣ هـ ، وتعلم بمدرسة الفلاح وتخرج منها ، وعمل مع أبيه وكان تاجراً يشتغل بتجارة الأقمشة ، وله حانوت في السوق ، وهي السوق الخاصة بتجار الأقمشة والعطور ، وقد أدخلت سوقية في المسجد الحرام في توسعته الاولى ، وكان موضعها مجاوراً للمسعى ولها مدخل من المسعى ، ومدخلها الآخر من الشبيكة .

وانتقل محمد سعيد العامودي من العمل مع والده الى الوظائف الحكومية فعمل في وظائف كتابية وادارية مختلفة منها رئاسة ديوان التحرير بمصلحة البريد والبرق العامة بمكة المكرمة ، وحينما صدرت جريدة صوت الحجاز اختير للاشراف على رئاسة التحرير لفترة قصيرة ، ولكن عمله الحكومي في ادارة البرق والبريد لم يسمح له بالاستمرار في العمل فيها .

واختير عضواً بمجلس الشورى فظل به لمدة ثلاث سنوات ، وقام بادارة ورئاسة تحرير مجلة الحج منذ عام ١٣٦٩ هـ الى نهاية عام ١٣٩١ هـ .

كما عمل في رئاسة تحرير مجلة رابطة العالم الاسلامي من عام ١٣٨٥ هـ الى نهاية عام ١٣٩٨ هـ ، والى جانب هذه الأعمال كانت له مشاركات في أعمال أدبية واجتماعية متنوعة . فقد اختير من قبل وزارة المعارف مرتين لعضوية المجلس الأعلى للعلوم والآداب ، وكان من الأعضاء المؤسسين في لجنة مشروع القرش ، ولجنة النشر والتأليف ، ولجنة نشر مخطوطات التواريخ الحجازية ، قبل أن تتوقف هذه اللجان عن العمل .

كما شارك في الدورة الثقافية التاسعة ضمن وفد وزارة المعارف للجامعة العربية التي عقدت في سنة ١٣٧٤ هـ .

وقام برحلات عديدة أثناء عمله الوظيفي والصحفي الى القاهرة وتونس وايران والجزائر^(١).

مؤلفاته :

من تاريخنا : دراسات ، نشر عام ١٣٧٤هـ وأعيد طبعه باضافة فصول جديدة عام ١٣٨٧ وطبع الطبعة الثالثة سنة ١٤٠١ .
قام مع الاستاذ/ أحمد علي بتحقيق كتاب المختصر من نشر النور والزهر وظهرت طبعته الاولى سنة ١٣٩٨ وأعيد طبعه سنة ١٤٠٦هـ .
رباعياته : ديوان شعر نشر سنة ١٤٠١هـ .
رامز وقصص أخرى نشر سنة ١٤٠٣هـ .
من حديث الكتب ثلاثة أجزاء نشر سنة ١٤٠٣هـ .
من أوراقى : مقالات أدبية نشر سنة ١٤٠٤هـ .

بقية الرواد :

يعتبر الاستاذ/ محمد سعيد العامودي يرحمه الله البقية الباقية من جيل الأدباء الرواد في الحجاز ، وكثيراً ما قرأت في الصحف اسماء نُعت أصحابها بأنهم من الرواد أو من الرعيل الأول للأدباء وهم مع احترامي لهم ومحبي ليسوا كذلك .
وقد رأيت وأنا أتحدث عن الاستاذ/ محمد سعيد العامودي أن أتحدث عن جيل الرواد هذا وأن أذكر اسماءهم بالتحديد لايضاح الأمر من الناحية التاريخية على الأقل .
كان ظهور كتاب أذب الحجاز في سنة ١٣٤٤هـ وكتاب المعرض وكتاب خواطر مصرحة سنة ١٣٤٥ كان ظهور هذه الكتب الثلاث هو البشير بظهور جيل الرواد في الأدب في الحجاز .

هذه الكتب الثلاث قام باصدارها ونشرها معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله ، أما الكتاب الأول فقد قدم فيه قصائد لتسعه من الشعراء ، وأما الكتاب الثاني فكان سؤاله موجهاً الى الأدباء ، هل الأولى الالتزام في الكتابة باللغة العربية الفصحى أو الكتابة باللغة العامية ، وكانت قد انتشرت الدعوة الى الكتابة باللغة العامية بدعوى أن الناس أقدر على فهمها ، وقد أجاب على هذا السؤال ثلاثة عشر كاتباً وكانت اجاباتهم كلها الاصرار والالتزام بالكتابة باللغة الفصحى التي هي لغة القرآن ، وقد شارك في كتاب المعرض ثلاثة عشر كاتباً .

(١) جريدة عكاظ العدد ٣٨٩٧٩ شعبان ١٤١١هـ ، كتاب رباعياتي .

ونقل هنا عن كتابي ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز الذي طبع طبعته الاولى في سنة ١٤٠١ هـ ما ذكرته عن الادباء الذين اشتركوا في الكتابين « فإذا استثنينا الاسماء المكررة التي شارك بعض أصحابها في كتاب أدب الحجاز خلص لنا ثلاثة عشر أديباً بعضهم يجمع بين الشعر والنثر والبعض الآخر يفرد بالكتابة دون الشعر وهؤلاء هم الطلائع الاولى التي كانت بشيراً بميلاد الأدب الحجازي الحديث وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم الرعيل الأول ، بعضهم فرض اسمه على الحياة الأدبية الى أن أسلم الروح كالاستاذ / محمد حسن عواد يرجمه الله ، وبعضهم لا يزال يعمل في صمت ودأب كالاستاذ / محمد سعيد العامودي - أمد الله في عمره - وبعضهم استمر في العطاء طويلاً ثم توقف ، وأغلبهم فارق الحياة الدنيا وأصبح في ذمة التاريخ » .

هذا ما كتبت في ملامح الحياة الاجتماعية قبل ثلاثة عشر عاماً ، وإذا كان لابد من ذكر الأسماء فإن الثلاثة عشر أديباً الذين ظهرت أسماؤهم في الكتابين هم :
الأساتذة :

عبد الوهاب آشي : كاتب وشاعر كان أحد ثلاثة تولوا الاشراف على جريدة صوت الحجاز حين ظهورها ، والراجح أن بعض قصائده جمعت في ديوان صغير .
محمد صبحي : وصل الى مكة صغيراً وتلقى تعليمه بها وربما يكون قد عاد الى سوريا بعد ذلك .

محمد حسن عواد : كاتب وشاعر ومؤلف ، وقد ترجمنا له في الجزء الأول من أعلام الحجاز^(١) .

محمد عمر عرب : من أوائل من كتب الشعر المنشور ، وقد أجاد فيه كثيراً ولم تصدر له مؤلفات ، وقد عمل في ديوان النيابة العامة سنوات طويلة .
محمد صلاح خليدي : شاعر توفي في الخامسة والعشرين من العمر في مسقط رأسه في الهند .

عبد القادر عثمان : كاتب كان يعمل في مكتب الحاج محمد علي زينل رضا مؤسس الفلاح ، وبعد عودته من الهند عمل في جدة .

عبد الوهاب النشار : كاتب شاعر ، عمل في التدريس بمدرسة الفلاح بجدة ، وتولى ادارتها وأخرج أجيالاً من المتعلمين ، ثم عمل في التجارة وتفرغ لها .

محمد جميل حسن : كاتب ومدرس ، وقد ترجمنا له في أعلام الحجاز^(٢) .

حامد كعكي : كاتب ، وكان يعمل في قسم التحريات بوزارة المالية بمكة المكرمة .
عثمان قاضي : كاتب من مدينة الطائف ، كان مديراً لإدارة البرق والبريد بها وتوفي شاباً .

(١) أعلام الحجاز ج ١ ص ٢١٨/١٧٩ .

(٢) أعلام الحجاز ج ١ ص ١٧٥/١٦٩ .

محمد البياري : كاتب شاعري الأسلوب عمل في ديوان النيابة العامة ، وليس له مؤلفات .

محمد علي رضا : كاتب عمل في الوظائف الحكومية ، وآخرها كان في مديرية الأوقاف بمكة ، وليس له مؤلفات .

عبدالله فدا : كاتب ، كان يعمل في تجارة الكتب وله حانوت لبيع الكتب في باب السلام بمكة المكرمة ، وليس له مؤلفات .

محمد سرور الصبان : كاتب وشاعر مقل واليه يرجع الفضل في التعريف بالأدب الحجازي وكانت له في مطلع شبابه مكتبة في مكة المكرمة ، قامت بنشر كتاب أدب الحجاز والمعرض ، وكتاب خواطر مصرحة لمحمد حسن عواد ، وقد كان موظفاً بالبلدية ثم عمل في وزارة المالية وأسس شركة الطبع والنشر التي كانت تصدر جريدة صوت الحجاز وقد تولى وزارة المالية في عهد الملك سعود ، وطبع على نفقته كثيراً من الكتب القيمة الهامة ، وقد ترجمنا له في الجزء الأول من أعلام الحجاز^(١).

السيد هاشم السباك : كاتب ، وموظف وقد اشتغل بالمحاماة وليس له مؤلفات .

أحمد إبراهيم الغزاوي : شاعر وكاتب ، وقد عينه الملك عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله شاعراً له وسياه - حسناً - عمل في المحاكم الشرعية وفي عضوية مجلس الشورى بمكة المكرمة إلى أن صار وكيلاً لرئيس المجلس ، وكان ينشر قطعاً نثرية بعنوان « من شذرات الذهب » في مجلة المنهل ، على مدى ثلاثة وعشرين عاماً أصدرتها مجلة المنهل في كتاب خاص بعد وفاته ولم يُجمع شعره الكثير حتى الآن .

السيد بكر حمدي : كاتب ، كان يعمل في المحاكم الشرعية وفي رئاسة القضاة وليس له مؤلف .

هؤلاء هم الرواد الذين ظهرت آثارهم في كتابي أدب الحجاز والمعرض ، ومنهم صاحب المقالة والمقاتلين أو القصيدة والقصيدتين ، ومنهم من ألف الكتب ، وأثرى الحياة الفكرية والأدبية إلى أن توفاه الله تعالى ، ومنهم من عمل بالأدب ثم شغلته الحياة عنه ، فهم بشر ينطبق عليهم ما ينطبق على البشر ، فإذا استعرضنا هذه الأسماء تبين لنا أن الاستاذ محمد سعيد العامودي يرحمه الله هو أحد هؤلاء الرواد الكبار الذي واصل المسيرة كاتباً وباحثاً ومؤلفاً طيلة حياته مع التواضع الجمل وحسن الخلق يرحمه الله .

وهناك الجيل الثاني والثالث الذين أتوا بعدهم والذين ساروا على دربهم ، وقد صدرت المؤلفات تضم آثارهم وتشرح أفكارهم .

(١) أعلام الحجاز الجزء الأول ص ٢٥٢/٢٤١ .

ولست في حاجة لأن أذكر للقارئ أسماء الأدباء الذين استمر عطاؤهم الى أن فارقوا الحياة الدنيا ، والأدباء الذين أخذتهم مشاغل الحياة اليومية عن الكتابة والأدب فإن ذلك كله معروف لمن يتابع الحياة الأدبية في هذه البلاد .

هناك الجيل الثاني الذي ظهر بعد جيل الرواد ، ومن أبرز اسمائه : أحمد قنديل ومحمد حسين كتيبى ، ومحمد حسن فقي وحمزة شحاته وعزيز ضياء ، ومحمد عمر توفيق ، وضياء الدين رجب ، ومحمد حسين زيدان ، وعبدالقدوس الأنصاري ، وطاهر زخشري واعتذر عن استقصاء الأسماء فليس هذا مجاله ، وإنما القصد هو تصحيح مفهوم شاع بين الناس واعطائه الملامح الحقيقية انصافاً للجيل الأول من الرواد ، والذين نتحدث اليوم عن آخر فارس منهم ، ولمن أراد المزيد من هذا البحث أن يرجع الى الموسوعات الأدبية التي تؤرخ للأدباء السعوديين مثل أدب الحجاز ، ووحى الصحراء - الموسوعة الأدبية لعبدالسلام الساسي وغيرهم ، وأن يرجع كذلك الى الصحف والمجلات التي صدرت في تلك الأزمان .

نعود بعد هذا الاستطراد الى الاستاذ/ محمد سعيد العامودي يرحمه الله فهو البقية الباقية من جيل الرواد الأوائل بحق ، والذي استمر في العطاء الى آخر أيام حياته ، وقد امتد به العمر حتى تجاوز الثمانين من العمر يرحمه الله .

يمتاز الاستاذ/ محمد سعيد العامودي بالاخلاص والتفاني في عمله الأدبي لا ابتغاء مصلحة أو شهرة فقد كان أبعد ما يكون عنها .

حدثني الاستاذ/ علي مختار وكيل وزارة الحج أن الاستاذ/ محمد سعيد العامودي كان يقوم باصدار مجلة الحج ، وكان هو الذي يتولى كل شيء في المجلة من رئاسة التحرير الى جمع المقالات وترتيب الأعداد والاشراف على الطبع والتوزيع وكان كلما يتقاضاه من وزارة الحج ثلاثمائة ريال لمجلة شهرية من الألف الى الياء ، استمر محمد سعيد العامودي يقوم باعبائها ثلاثة وعشرين عام فأني انكار للذات ؟ وأي ترفع عن طلب الدنيا وأسبابها ؟

مجلة الحج مجلة تصدرها الدولة ، وكان بوصفه رئيساً لتحريرها يستطيع أن يستخلص لها ميزانية شهرية إن لم تصل الى عشرات الألوف فإنها حتماً تصل الى الألوف .

ولكن محمد سعيد العامودي لم يكن يمارس اصدار المجلة لغرض مادي ، وإنما كان يمارس عمله ارضاءً لمطامحه الفكرية والأدبية ، فقد كان يعيش وأسرته على المرتب الذي يتقاضاه من عمله الحكومي في ادارة البرق والبريد العامة ، وفي مجلس الشورى ، وكانت مجلة الحج بالنسبة له واجباً أدبياً يؤديه في رضا وابتغاء .

ومع مجلة الحج تولي رئاسة تحرير مجلة رابطة العالم الاسلامي ، واستمر في مجلة الرابطة الى نهاية عام ١٣٩٨ بعد أن علت به السن ، وأقعدته الشيخوخة ، هناك ميزة أخرى لمحمد سعيد العامودي هي البعد عن المهاترات كان الرجل كريماً ينأى بنفسه عن الضجيج فلم يعرف عنه أنه شارك بقلمه في معركة من المعارك الأدبية التي كان بعض أدباء الجيل

ينخوضونها ، ولم يكن مع هذا الترفع محتجباً عن دنيا الفكر ، فلقد كان يقرأ الكتب ويختار منها ما يكتب عنه ، وأمامي كتابه من حديث الكتب ، وقد صدر في ثلاثة أجزاء تتحدث عن تسعة وستين كتاباً من أهم الكتب التي صدرت في العالم العربي أو ترجمت عن لغات عالمية أخرى ، فلم يكن الرجل يعيش في صومعته ، وإنما كان يعيش في دنيا الفكر ، يقرأ ، ويكتب عما يقرأ ولكنه يؤثر أن يكتب المعجب والمفيد .

ولا نستطيع الاسهاب في مؤلفات محمد سعيد العامودي ، ولكنني أتحدث عن بعض هذه الكتب في محاولة لاكمال الصورة أو تقريبها أمام القراء .

المختصر من كتاب نشر النور والزهر :

كتاب نشر النور والزهر ألفه القاضي والعالم المكي الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير وهو يضم تراجم - أفاضل مكة - كما وصفه مؤلفه من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر الهجري وكان الكتاب مخطوطاً ، وقد ذكر الاستاذ / العامودي في التعريف به ما يغني عن تكرار ذلك هنا . هذا الكتاب توفر الاستاذ / محمد سعيد العامودي ومعه الاستاذ / أحمد علي على اختصاره وترتيبه والتعليق عليه ونشره .

انه يتحدث عن علماء البلد الحرام وأدبائه على مدى خمسمائة عام ، فهو من أهم الكتب من الناحية التاريخية ، ولعله من أوفى ما كتب في تراجم علماء مكة وأدبائها بعد كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، للفاسي المتوفي سنة ٨٣٢ هجرية ، والذي ترجم فيه لنحو ثمانمائة عالم من علماء مكة وعالماتها والذي قام بنشره معالي الشيخ محمد سرور الصبان في سنة ١٣٧٩ هجرية .

واذا كان الفاسي قد توفي في الثلث الأول من القرن التاسع الهجري ، فإن كتاب الشيخ / عبدالله مرداد الذي يترجم لأفاضل مكة علماء وأدباء من القرن العاشر الهجري يعتبر امتداداً لهذه التراجم لعلماء وأدباء البلد الحرام عبر التاريخ .

يضم كتاب نشر النور والزهر تراجم لستمائة عالم وأديب ، كما يضم تراجم لبعض النساء اللاتي بلغن درجة من العلم سمحت لهنّ بالقاء الدروس وتعليم التلاميذ من الرجال والنساء ، ولعل هذا الأمر يكشف لنا جانباً مجهولاً عن النشاط العلمي للمرأة في البلد الحرام في القرون الماضية ، ويبين لنا كيف أن أنوثة المرأة لم تقف حائلاً بينها وبين أن تطلب العلم حتى تنال منه ما يؤهلها لأن تجلس مجلس المعلم للناس .

كما يوضح للمتلأمل أن الحياة العلمية في مكة المكرمة كانت تتسم بالنشاط العلمي عبر هذه القرون التي غابت أخبارها عنا ، فلم يكن تصورنا عنها واضحاً ، ولا صحيحاً ، والمرء عدو ما يجهل .

وقد استعان الشيخ المرداد بمن سبقه من المؤرخين في التراجم التي أوردها وأشار الى ذلك ، فبين المصادر التي استقى منها المعلومات التي أوردها عن المترجم لهم ، وناقش في بعض

الأحيان ما وجدته في هذه المصادر من أخبار غير صحيحة أو تحامل من بعض المؤلفين وهو جهد مشكور للمؤلف .

يقول الاستاذ/ محمد سعيد العامودي والاستاذ/ أحمد علي في تعريفهما بالكتاب :
اننا على يقين من أن قارئه سوف يشعر بارتياح عظيم ، حين يتبين له من خلال كل سطوره .

ان حركة التعليم الديني في أم القرى لم تتوقف أو تضعف في أي عهد من العهود ، برغم كل الظروف والأحداث والفتن ، وانما ظلت مستمرة مضيئة منذ القرن الهجري الأول الى اليوم ، وهذا من فضل الله - ولا شك ورعايته للبلد الحرام (١) .

ونكتفي بهذه الكلمة الموجزة عن هذا الكتاب الذي أود من القارئ أن يقرأه ليطلع على تاريخ الحركة العلمية الدينية في البلد الحرام عبر خمسمائة عام ممثلة في تراجم موجزة عن رجال العلم والأدب في هذه البلاد .

من حديث الكتب :

ذكرنا في التعريف بالاستاذ/ العامودي رحمه الله كتابه أو على الأصح كتبه الثلاث التي سماها - من حديث الكتب - والتي تحدث فيها عن تسعة وستين كتاباً في مختلف العلوم والفنون ، وأود أن أذكر هنا كلمة موجزة للتعريف بهذا الكتاب القيم ذي الأجزاء الثلاث .

كان محمد سعيد العامودي يقرأ الكثير من الكتب ولكنه لا يتحدث إلا عما يعجبه منها وكان هذا الحديث تلخيصاً موجزاً للكتاب يخرج منه القارئ بفكرة موجزة عن محتوياته فيما أن يدفعه هذا التلخيص الى البحث عن الكتاب وقراءته ان كان من هواة القراءة ، وإما أن يخرج منها بفكرة عن أهم ما ورد فيه .

وتلخيص الكتب فن لا يقدر عليه إلا كاتب استطاع الاحاطة بمحتويات الموضوع الذي يقوم بعرضه على القارئ ، فيقدم له في سطور ما بسطه المؤلف في صفحات ، وليس هذا بالأمر الهين ولا اليسير ، واستطيع أن أقول ان الاستاذ/ محمد سعيد العامودي رحمه الله قد وفق في حديثه عن الكتب توفيقاً عظيماً ، أولاً باختياره للكتب التي يتحدث عنها ، وثانياً بعرضها عرضاً جيداً في أسلوب جميل ، وفي لغة سهلة لا غموض فيها ، ولا يتسع المقام للافاضة في الحديث عن هذه الكتب فمن الخير للقارئ أن يقرأها بنفسه ليخرج منها بالفائدة التي توخاها المؤلف وهو يتحدث عنها ويوجزها .

مؤلفاته الأخرى :

وليس حديث الكتب هو كلها كتبه الاستاذ/ العامودي فقد نظم الشعر ، وكتب القصة ، كما كتب المقالة ، وقد أثبتنا في صدر هذه الترجمة أسماء مؤلفاته المطبوعة وتواريخ نشرها ، وقد

(١) المختصر من نشر النور والزهر ص ١٠ .

أخبرني ابنه الاستاذ/ عمر محمد سعيد العامودي المحامي والكاتب المعروف أن والده ترك أوراقاً كثيرة مما لم ينشر من إنتاجه ، وأرجو أن يتم جمعها وترتيبها ونشرها ، ومن أجدر بهذه المهمة من أبنائه . . ؟ وفقهم الله .

أريد أن أقول ان محمد سعيد العامودي كان أديباً مارس الفنون الأدبية كلها من شعر ونثر وكتب القصة الى جانب المقالة ، وإذا كان قد آثر التفرغ للبحث فكان نصيب النثر في أدبه هو النصيب الأكبر فذلك راجع الى أنه وجد فيه المجال الأكبر للتعبير والأجدى في الافادة والتنوير .

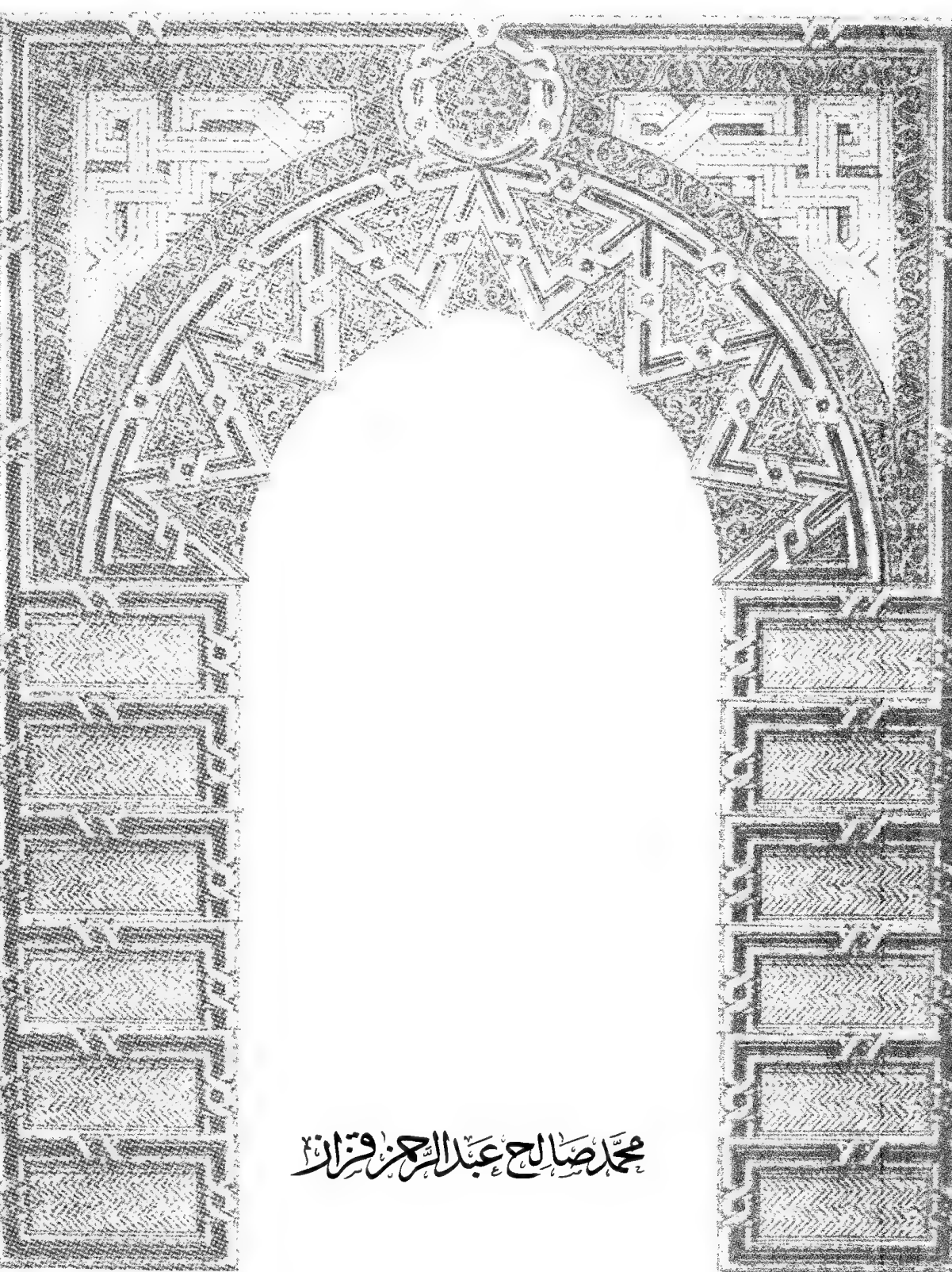
وفاة العامودي :

توفي الاستاذ/ محمد سعيد العامودي يوم السبت الثاني من شعبان سنة ١٤١١هـ بعد مرض طويل وعن عمر يناهز الثامنة والثمانين عاماً ، وقد كان رائداً من رواد الأدب والفكر مجاهداً بقلمه داعياً الى الله على بصيرة ، وخلف وراءه من الآثار المطبوعة والمكتوبة ما ينبيء عن حياة حافلة بالفكر والعمل .

وأرجو أن يوفق الله تعالى أبنائه الكرام الاستاذ/ عمر ، والاستاذ/ أحمد لايخراج ما ترك من آثار مخطوطة ونشرها لينتفع بها القراء والأدباء .

رحم الله محمد سعيد العامودي رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ودار مغفرته ورضوانه .





محمد صالح عبد الرحمن وزان



محمد صالح عبدالرحمن قزاز

محمّد صالح عبّد الرحمن قزاز

طويل القامة ، حنطي اللون ، متوسط الجسم مشرق الوجه بابتسامة دائمة ، تنم نظراته عن ذكاء وقاد تكسو وجهه لحية خفيفة لمع فيها بياض المشيب لما علت به السن .
ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٠١ للهجرة ، وتعلم القراءة والكتابة فيها ، وحفظ القرآن الكريم كاملاً ، وكان جهوري الصوت يحسن القراءة والترتيل ، وتولى إمامة الناس في صلاة التراويح كما كان يفعل أمثاله من حفظة القرآن الصغار .

انتقلت أسرته الى الطائف في أواخر العهد الهاشمي فقد أسندت اليهم اعاشة الجند في الطائف ، وعين الشاب محمد صالح القزاز أميناً للصندوق في مالية الطائف ، وحينما نقل مدير المالية الشيخ / عبدالله قاضي الى جيزان في العهد السعودي ، تولى صالح قزاز مديرية المالية في الطائف .

ثم عين مديراً لمالية مكة المكرمة ، ثم اختير ناظراً عاماً للجمارك يوم كانت واردات الدولة تعتمد على الجمارك قبل ظهور الزيت وتسويقه ، وحينما شكلت أول مديرية لشئون الحج عين الشيخ محمد سرور الصبان رئيساً لها فاختار صديقه الشيخ محمد صالح القزاز ليكون مديراً عاماً مساعداً له سنة ١٣٦٥ ، ثم أصبح مديراً لها سنة ١٣٦٨ .
وحينما قررت الدولة تشكيل مديرية لشئون الزراعة اختير مديراً لها الى جانب عمله كمدير لإدارة الحج .

وحينما قرر جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله جلب الماء الى جدة اختار الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية إذ ذاك الشيخ صالح قزاز للمفاوضة لشراء وجبات الماء من ملاك عيون وادي فاطمة لاسالتها الى مدينة جدة ، واشترك معه رجال آخرون واشترت منهم وجبات في ثماني عيون فصلّها الاستاذ عبدالقدوس الأنصاري في كتابه موسوعة مدينة جدة^(١) وكان شراء

(١) انظر قصة الماء في مدينة جدة عبر التاريخ في كتاب موسوعة مدينة جدة ص ١٧٣/١٤١ .

هذه الوجبات هو الذي مكّن الدولة من ايصال الماء الى مدينة جدة في قنوات تمتد من وادي فاطمة الى مدينة جدة مما كان سبباً في تطور المدينة واتساعها فالماء اكسير الحياة ، وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

وحينما وفق الله تعالى جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله للعمارة الاولى للمسجد النبوي الشريف وأسند أمر هذه العمارة العظيمة الى المعلم محمد بن لادن يرحمه الله طلب من معالي الشيخ عبدالله السليمان ترشيح شخص لادارة المشروع حيث أن ابن لادن سيتفرغ للقيام بالأعمال الهندسية والانشاء ، فاختر الشيخ صالح قزاز لادارة المشروع ، ومنه انتقل الى ادارة مشروع العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام ، وأسند أمر اصلاح قبة الصخرة بالقدس الى المعلم محمد بن لادن ، فتولى الشيخ صالح قزاز ادارة المشروع كذلك ، وهكذا جمع الله لهذا الرجل الاشراف على تعمير أعظم مساجد الاسلام في مكة والمدينة وبيت المقدس .

وحينما تأسست رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة ١٣٨٢ واختير معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله أميناً عاماً لها ، اختار صديقه الشيخ صالح قزاز أميناً عاماً بالوكالة يقوم بأعمال الأمين العام للرابطة في حضور الأمين أو غيابه .

وحينما توفي الشيخ / محمد سرور الصبان يرحمه الله سنة ١٣٩٣ اختير الشيخ صالح قزاز أميناً عاماً للرابطة ، وكان قد رشح لها أحد الوزراء ولكن المجلس التأسيسي للرابطة وهو مكوّن من علماء المسلمين في جميع أنحاء العالم الاسلامي اختار وباجماع الآراء الشيخ صالح قزاز ليكون الأمين العام للرابطة وطلبوا من جلالة الملك فيصل يرحمه الله الموافقة على اختيارهم فتم لهم ما أرادوا ، وتجدد اختيار الشيخ صالح قزاز للأمانة العامة للرابطة لفترة ثانية ، وكان راغباً في التخلي عن أعمال الرابطة بعد أن قضى فيها أعواماً كثيرة وبدأت السنّ تعمل عملها في صحته . وأنتم الفترة الثانية وقدم استقالته الى المجلس التأسيسي للرابطة ، حاول أعضاء المجلس اثناءه عن الاستقالة فزاره وفد منهم بمنزله لهذه الغاية فقال لهم : الرابطة أمانة عظيمة ولا أستطيع القيام بواجبها فأرجو اعفائي ، وأمام اصراره قبلت الاستقالة وتم تعيين فضيلة الشيخ محمد الحركان يرحمه الله أميناً عاماً للرابطة حيث بقي فيها الى أن توفاه الله .

رجل المهام العظيمة :

كان الشيخ صالح قزاز رجل المهام العظيمة بحق ، وذلك لما يتمتع به من أخلاص في العمل ، ونزاهة في الضمير ، والرغبة في تحقيق الخير أينما حلّ ورجل . ولعل الكثيرين لا يعلمون أن الشيخ صالح قزاز يرحمه الله لم يكن يتقاضى من المعلم محمد بن لادن أجراً حينما كان يقوم بادارة الأعمال العظيمة في توسعة المسجد النبوي الشريف الاولى ثم في توسعة المسجد الحرام ، ثم في اصلاح مسجد قبة الصخرة في بيت المقدس ولذلك قصة نوردها فيما يلي :

الرجبة في الهجرة الى المدينة :

يقول صديقنا الاستاذ حسن قزاز الكاتب ورجل الأعمال وتربطه صلة القرابة بالشيخ صالح قزاز يقول : في بداية عام ١٣٧١ كنا بعوائلنا « يقصد عوائل آل قزاز » جميعاً في زيارة المسجد النبوي الشريف ، وفي ضحى أحد الأيام اصطحبني الشيخ / صالح الى المسجد وصلينا في الروضة المطهرة الشريفة ، ثم وقفنا مسلمين على الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

التفت الشيخ صالح إليّ قائلاً : أتمنى لو أحصل على راتب تقاعد مقداره ألف ريال شهرياً أعيش به في هذا المكان الطاهر بجوار المسجد النبوي الشريف ، وأقضي بقية عمري في هذه الرحاب الطاهرة .

يقول حسن قزاز : قلت له يا عم صالح إنك لا تزال في عنفوان رجولتك وأمامك الحياة طويلة ودواعي الطموح كثيرة .

قال الشيخ صالح ان شعوراً خفياً يدفعني لهذه الأمنية وأرجو أن يحققها الله .

يقول حسن قزاز وعُدنا من المدينة الى الطائف .

ومضت سنوات وأقام الشيخ صالح قزاز وأخوه الشيخ أحمد قزاز في منزلهما بالطائف حفلاً لتكريم معالي الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية رحمه الله ، وفي هذا الحفل أعلن الشيخ عبدالله السليمان أن جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله أمره بعمارة المسجد النبوي الشريف بعدما ذكرت الصحف المصرية أن تصدعاً حدث في بعض الأعمدة ، ودعى مصطفى النحاس باشا المسلمين الى التبرع لعمارة المسجد ، وتقدم البعض بتبرعاتهم ، ولكن الملك عبدالعزيز يرحمه الله أبى أن يقبل تبرعاً من أي جهة كانت وأعلن قائلاً : نحن أولى بتعمير المسجد الشريف ، وطلب أن تعاد للناس تبرعاتهم وأصدر أمره الى وزير ماليته الشيخ عبدالله السليمان لتنفيذ العمارة المطلوبة .

وقال الشيخ عبدالله السليمان ، لقد كلفت المعلم محمد بن لادن بالقيام بالعمارة المطلوبة التي تشمل ازالة التصدعات وتوسعة المسجد وهي التوسعة الاولى التي تمت في العهد السعودي^(١) .

وفي هذا الاجتماع طلب الشيخ محمد بن لادن اختيار رجل كفء ليقوم بعبء الأعمال الادارية لهذا المشروع العظيم لأنه سيتفرغ للأعمال الهندسية وأعمال البناء .

وفي هذا الاجتماع تم اختيار الشيخ صالح قزاز ليكون هو الرجل الاداري الذي يطلبه المعلم محمد بن لادن .

وتحققت أمنية الشيخ / صالح قزاز وانتقل الى المدينة المنورة لا ليكون مهاجراً في رحاب

(١) انظر كلما يتعلق بهذه التوسعة في الجزء الثاني من اعلام الحجاز ص ٤٣ - ٥٣

المسجد النبوي الشريف ، وانما ليكون مشرفاً على عمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعته ، وابرازه في أجمل الحلل .

ولكن هل اكتفى صالح قزاز بأن حقق الله له أمنية غالية تمناها وأجاب الله دعوة دعاها وهو في الروضة المطهرة ، وفي رحاب المسجد النبوي الشريف . . . ؟
لم يكتف صالح قزاز بهذا ، وانما قرَّر بينه وبين نفسه أن يقوم بهذا العمل دون أن يتقاضى أجراً من المعلم بن لادن ، أراد أن يكون عمله في إدارة هذا العمل العظيم قربى الى الله تعالى ، خالصاً لوجهه ؟

كتب خطاباً سرياً الى جلالة الملك فيصل وكان نائباً لجلالة والده في الحجاز يرحمهما الله تعالى ، كتب اليه قراره بأن لا يتقاضى من المعلم بن لادن أي أجرٍ على قيامه بهذا العمل ، وطلب من سموه تدبير راتب شهري له يعيش وأسرته عليه .
واستجاب يرحمه الله فأصدر أمراً الى وزارة الخارجية وكان وزيرها ، بتعيين صالح قزاز وزيراً مفوضاً في وزارة الخارجية ، ومن راتب هذه الوظيفة الاسمية كان صالح قزاز يعيش وينفق على أسرته حتى وفاته^(١) .

في رابطة العالم الاسلامي :

وحينما اختار الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله الشيخ صالح قزاز ليكون وكيلاً له في رابطة العالم الاسلامي سنة ١٣٨١ ، ثم اختير أميناً عاماً لها بعد وفاة الشيخ محمد سرور لم يتقاض صالح قزاز راتباً من الرابطة طيلة عشرين عاماً بل كان يتحمل النفقات التي يتقاضاها عمله ، ويجنب صندوق الرابطة أن يتحملها ، يقول الشيخ محمد صفوت السقا الأمين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي ما يلي :

وشهادة الله أزكيها ويعرفها كل من كان له شرف العمل معه - مع صالح قزاز - في الرابطة أنه لم يقبض ريالاً واحداً كراتب أو تعويض أو حتى كمساهمة في النفقات التي يتطلبها العمل في الرابطة ، فكانت السيارة من ماله وسائقها وحتى أجور السفر ، وكانت كل الوائم التي نقيمها على مدار العام في داره من جيبه من مرتبه الذي يتقاضاه من تقاعده . . . الخ .

لقد أكرمني الله أن أكون مطوفاً للعلماء :

ويواصل الشيخ محمد صفوت السقا حديثه عن الشيخ صالح قزاز فيقول :
وعندما يقوم باستقبال الوفود والاشراف على راحتهم من مختلف أنحاء العالم يقول : تعلم أنني تركت الطواف هرباً ولكن الله سبحانه وتعالى أكرمني أن أعمل مطوفاً للعلماء العالم الاسلامي بنحكم طبيعة عملي في الرابطة ، ويا أخ صفوت مهنة الطواف تشريف وتكريم لأهل مكة المكرمة ، وكم كان يتمنى أن يتفرغ للتدريس في الحرم المدني والمكي^(٢) .

(١) انظر مقال حسن قزاز بجريدة النور العدد ٩١٢٤ بتاريخ ٢ رجب ١٤٠٩ هـ .

(٢) انظر مقال محمد صفوت السقا في جريدة المدينة المنورة العدد ٧٩٤٩ بتاريخ ٢ رجب ١٤٠٩ هـ .

عمل وانجاز :

كان الشيخ صالح قزاز يهب نفسه للعمل الذي يوكل اليه مدفوعاً بالرغبة في الانجاز والاصلاح .

اختير مديراً عاماً لأول مديرية للزراعة حين تأسيسها عام ١٣٦٨ للهجرة ، وجاء هذا الاختيار ليجمع الرجل بين عمله في مديرية الحج العامة ، ومديرية الزراعة ، يقول معالي الاستاذ/ عبدالله الدباغ وزير الزراعة الأسبق الذي عمل مساعداً للشيخ صالح قزاز في مديرية الزراعة في جدة حين تأسيسها مايلي :

لم أرفي حياتي رجلاً كالشيخ محمد صالح قزاز في نشاطه ، ودأبه وحرصه على أداء واجبه وأكثر من واجبه في تفان وإخلاص .

لم يكن يعرف للراحة طعماً ، فنهاره كله عمل من حين أن يصبح الى أن يسيى وحتى يأوي الى فراشه .

كان يرحمه الله أول الحاضرين الى مكتبه وآخر من يخرج منه الى داره ، وكانت داره مكتبةً آخر يمتد فيها العمل حتى ساعة متأخرة من الليل ، والاجازة الاسبوعية كان يقضي معظمها في زيارات للمناطق الزراعية يتفقد أحوالها ، ويبحث مشاكلها ، ويحل منها ما كان قادراً على حله .

وكانت مسؤوليته في أعمال الحج تتطلب منه الانتقال يومياً بين مكة وجدة أكثر من مرة في اليوم الواحد أحياناً ، خصوصاً في موسم الحج حرصاً منه على قضاء مصالح الحجاج ، وكنت أرافقه في بعض المرات ، وعندما نكون سوياً في المقعد الخلفي للسيارة يطلب مني الانتقال الى جانب السائق لينال هو قسطاً من الراحة بالاسترخاء بعض الوقت بعد عناء العمل ليلاً .

وكان بتوجيه من جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله وبأمر من معالي الشيخ عبدالله السليمان أول من أدخل مضخات الماء لتوزع على المزارعين في مختلف مناطق المملكة كوسيلة بديلة للطريقة التقليدية لرفع المياه من الآبار .

كما كان أول من فكر في اصلاح عدد من عيون المياه التي توقف جريانها في وادي فاطمة وغيره من الوديان ، كما أوجد وحدات الخدمة الزراعية المجهزة بالآلات التسوية والحراثة لاقامة العقوم وحراثة الأرض للمزارعين في مناطقهم واستورد في عهده الكثير من شتلات أشجار الفاكهة من مصر ولبنان وزعت على المزارعين بدون مقابل .

كل هذا بالرغم من ضالة الميزانية السنوية لمديرية الزراعة في ذلك الوقت ، والتي أذكر أنها لم تتجاوز اثني عشر مليون ريال .

ويواصل الاستاذ/ عبدالله الدباغ حديثه فيقول :

ان أكثر ما شدني للشيخ محمد صالح قزاز هو إيمانه العميق ، وعزوفه عن رغد العيش وميله الى التقشف مع ما أنعم الله به عليه من وفرة في الرزق وكرم في العطاء .

كان عندما يضطر الى البقاء طيلة نهاره في جده لم يكن له بيت يأوي اليه بعد الغذاء ولا فندق يذهب اليه ليرتاح بعض الوقت لكي يستأنف عمله بعد ذلك ، فكان يفرش المكاتب الحديدية في فرع مديرية الزراعة بجدة جاعلاً ذراعه وسادة لرأسه ، وذلك حتى لا يغريه الفراش الناعم الوثير باطالة فترة راحته .
وعندما يكون في البادية لا تختلف معيشته في نومه وطعامه مع معيشة أهل البادية بخشونتها وقسوتها^(١).

مدارس تحفيظ القرآن الكريم :

كان الشيخ صالح قزاز من أوائل الرجال الذين ساهموا في تأسيس مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي بدأت في سنة ١٣٨٢ في مكة المكرمة ، ثم انتشرت في جميع أرجاء المملكة ، ولم يكتب الشيخ / صالح قزاز بالمساهمة فيها بجده . ولكنه ساهم كذلك بماله ، فأوقف عليها عمارة في محلة الشامية بمكة المكرمة تساهم غلتها في واردات الجماعة ، يقول الدكتور حسن محمد باجوده ، رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى ، والأمين العام لجماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة مايلي :

نستطيع أن نقول ان كل إمام يؤم المسلمين حالياً في مكة المكرمة ، وبخاصة في شهر رمضان في صلاتي التراويح والقيام والجماعة لتحفيظ القرآن الكريم في مساجد مكة وفيها ما يزيد على ستمائة شاب يؤمون المسلمين في ليالي رمضان نقول :
ان للشيخ صالح قزاز بفضل الله تعالى يداً على هؤلاء .

ونستطيع القول ذاته عن كل الذين حفظوا القرآن الكريم في جماعة تحفيظ القرآن الكريم وفي العديد من جهات المملكة .

ويبدو هذا الأمر على حقيقته عندما نستعرض جهوده رحمه الله في سبيل النهوض بهذه الجماعة سنة ١٣٨٢ هـ ، وكان رئيس هذه الجماعة الشيخ محمد يوسف سبي الباكستاني الجنسية صاحب هذه الفكرة ، وقد تبني هذه الجماعة عدد من الرجال الأفاضل ومنهم الشيخ محمد صالح القزاز رحمه الله .

ويواصل الدكتور باجوده حديثه فيقول :

هذا الرجل جعل كل نشاطه بعد نهاية خدمته للأمانة - أمانة رابطة العالم الاسلامي - جعل كل همه أن يخدم القرآن الكريم ، فلقد كان في المملكة جماعة مكة ، وترتبط بها الجماعات الأخرى في جدة والطائف والرياض ، وبلجرشي والليث وغيرها ، وكانت المساعدات التي تتدفق على جماعة مكة تنال تلك الجماعات حظها منها .

الشيخ صالح رحمه الله وجه الجماعة وجهة الحفظ للشباب ترتيلاً بقصد أن يأتي الشباب صلاة الجماعة في المحارب .

(١) جريدة عكاظ العدد ٨٢٥٦ في ٨ رجب ١٤٠٩ هـ .

وبفضل الله تعالى نهضت الجماعات واستقلت ونمت الجماعات .
وكان للشيخ القزاز بعد الله ثم المسؤولين الغيورين على هذا الكيان كبير الفضل فمثلاً
وقف للجماعة عمارة في الشامية وحول حسابها للجماعة .
ومما ينبغي أن يذكر أن الشيخ القزاز مع فريق من الجماعة كانوا يصلون العشاء في رمضان ،
وينطلقون الى مساجد مكة التي يؤم أبناء الجماعة فيها المساجد من أجل توجيههم ونصحهم
واعطائهم المكافآت .

كان رحمه الله حريصاً على تشجيع الشباب على حفظ القرآن والقراءة في كل المناسبات ،
فكان يتيح لهم الفرص في المواسم وفي افتتاح الندوات ، بل كان يأخذ فريقاً على حساب
الرابطة للحج كل ذلك احتفاءً بِحَمَلَةِ الْقُرْآن ، وتشجيعاً للبراعم الصغيرة .
وبفضل الله تعالى ثم بفضل المنزلة التي يتمتع بها في قلوب الناس انهار الخير على جماعة
التحفيظ في مكة فدعمته الحكومة ، وقام بدوره بدعم الجماعات الأخرى فالمساعدة السنوية
مستمرة ، والمملك خالد رحمه الله أعطى مبلغاً كبيراً أقامت به عمارة مؤجرة للمالية تنتفع بها
الجماعة ومدارسها للبنين والبنات التي تشمل كل أحياء مكة المكرمة .
ويقول الدكتور باجودة :

في الحرم وحده ٤٥ مدرسة للبنين بين باب السلام وباب العمرة اضافة الى معهد الأرقم
ومقره الحرم أيضاً .

كان رحمه الله حريصاً على تخريج المدرسين المجودين فأقام معهد الأرقم بن أبي الأرقم وبه
الآن أربعمئة طالب ولله الفضل والمنة ، ومدارس البنات بلغ تعدادها أربعاً وعشرين
مدرسة .

والحقيقة أن الشيخ القزاز يرحمه الله كان في السنوات الأخيرة شبه منقطع في منزله ولكنه
كان في نفس الوقت يوجه نشاطه كله للجماعة ، فكان يدير أموراً من منزله ، ويعتبر كل
صاحب مسألة أن الشيخ القزاز هو صاحبها لشدة حبه للجماعة والقرآن .

ثم يختم الدكتور باجودة حديثه قائلاً :

مرت سبعة وعشرون سنة على الجماعة ، وحفظ بها حوالي ألف وخمسمئة شاب القرآن
الكريم ، وفي العام الماضي وحده كان عدد الحفاظ مائة وستين شاباً^(١) .

هذه شهادات الرجال الذين عملوا مع الشيخ صالح قزاز في المجالات المختلفة ،
شهاداتهم بعد أن فارق الرجل هذه الحياة الدنيا ، وصار في رحاب الله تعالى نطقاً بها
ألسنتهم إبراءاً للذمة ، واطهاراً للفضل الذي كان صاحبه أزهّد الناس في ذكره والاشارة
اليه .

(١) جريدة عكاظ العدد ٨٢٥٠ في رجب ١٤٠٩ هـ .

معرفتي بالشيخ صالح قزاز :

عرفت الشيخ صالح قزاز وأخاه الشيخ أحمد يرحمهما الله في النصف الثاني من القرن الماضي . فقد كنت أعمل سكرتيراً لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله ، وتوجه الى الطائف في أوائل صيف سنة ١٣٥٦ للهجرة ، ونزل وأنا بمعيته في بيت القزاز بالطائف ، وكان الشيخ أحمد وأخوه الشيخ صالح يسكنون في منزل بجوار باب الريع ، وكان منزلهما دار ضيافة للقادمين من أعيان المكيين ، ولم تكن الفنادق إذ ذاك قد عرفت في الحجاز ، وأما كان الناس ينزلون على بيوت أقربائهم ومعارفهم ، وكانت كل الدور معدة لاستقبال الضيوف القادمين اليها والذين يلقون كل ترحيب واکرام .

رأيت الشيخ صالح وكان في كمال رجولته مشرق الوجه ، دائم الترحيب بالناس ، وكان جهوري الصوت ، يجيد ترتيل القرآن الكريم ، فكان الشيخ محمد سرور الصبان يقدمه لإمامة الناس بالصلاة في منزله حينما يفد لزيارته قبل الغروب .

وحينما أسندت اليه مديرية الزراعة في جدة سنة ١٣٦٦ ازدادت صلتني به وثوقاً . كانت مديرية الزراعة قد بدأت في ادخال رافعات المياه وتوزيعها على المزارعين ، وكانت تشجع المزارعين باعطائهم الآلات بقروض ميسرة تتحمل مديرية الزراعة جزءاً منها ، وتقسط باقي القيمة على المزارعين أقساطاً سهلة .

وسافرت الى أمريكا سنة ١٩٤٨ للميلاد ، واتصلت باحدى الشركات التي تصنع طلمبات الماء ، وتأكدت من جودتها فاستوردت ثلاث رافعات ذات مقاسات مختلفة لتقدمها لمديرية الزراعة لتجربتها توطئة لاستيرادها بكميات تجارية .

وحينما وصلت الرافعات ذهبت لمقابلة الشيخ صالح قزاز يرحمه الله وقلت له انكم تشترون الرافعات من شركة بكتل وتحملون جزءاً من القيمة مساعدة للمزارعين ، وأنا على استعداد لأن أقدم لكم الرافعات بالأسعار التي تباع على المزارعين ، ولا تتحملون الفروق التي كنتم تتحملونها ، ولكني أريد أولاً أن تجربوا هذه الآلات فإذا تأكدتم من جودتها عملت على استيرادها ، وأمر الشيخ صالح قزاز باستلام المكائن الثلاث التي استوردتها وبعد فترة اتصل بي تليفونيا وقال :

ما هو العدد الذي لديك من الطلمبات اثنين بوصة . . . ؟

قلت : إن ما لدي قدمته لك وأنا في انتظار نتائج التجربة .

قال : المكائن جيدة ونحن على استعداد لشراؤها فاعمل على توريدها .

واستوردت الدفعة الاولى ثلاثين مكينة وطلمية وقبل اخراجها من الجمارك اتصل بي يرحمه الله تليفونيا وقال :

لقد حوّلت عليك مزارعين من الطائف بثلاثين مكينة ، ومع كل واحد منهم أمراً

بالتحويل .

وعجبت من معرفة الشيخ صالح قزاز بأمر المكائن الثلاثين وهي مازالت في الجمارك ، ثم علمت أنه علم من ادارة الجمارك بوصولها ، وتكررت المسألة ، فلا تفصل شحنة من هذه المكائن الزراعية إلا والمزارعون حاضرون لاستلامها ، وهكذا كان الشيخ صالح قزاز يرحمه الله مثابراً ودقيقاً في عمله ، ويفضل هذه المثابرة وهذا الاخلاص انتشرت المكائن الزراعية في جميع قرى الطائف ووديانه ، واستفاد المزارعون منها فائدة عظيمة في تطوير الزراعة واستبدال الحيوان بالآلة في زمن وجيز .

ولا شك أن ما تم في الطائف تم في نفس الوقت في أماكن أخرى من المملكة وتعددت الآلات الزراعية وأصنافها حسب طبيعة المناطق الزراعية ومتطلباتها .

هذه تجربة عملية أتيت لي أن أتعرف منها على اخلاص الرجل في عمله ومتابعته له . وحينما اطلعت على أول تقرير للأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي وجدت فيه مرتب الأمين العام وكان معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله ، ومرتب الأمين العام المساعد وهو الشيخ صالح قزاز قد حسم من بند المصروفات لأن الرجلين كانا يعملان بدون مرتب ابتغاء مرضاة الله تعالى ، ولم استغرب أن يحدث هذا من الأمين العام فقد كان في بحبوحة من العيش بما أفاء الله عليه ، ولكنني أكبرت في الشيخ صالح قزاز يرحمه الله خدمته للرابطة بدون مقابل بل تحمله النفقات في سبيل أداء الواجب كما فصل ذلك الشيخ محمد صفوت السقا في الكلمة التي نقلناها قبل ، ولم افاجأ باصرار الأعضاء المؤسسين في الرابطة بعد ذلك على اختيار الشيخ صالح قزاز أميناً للرابطة بعد وفاة أمينها العام الشيخ محمد سرور الصبان ، ثم محاولتهم التأثير عليه ليبقى في الأمانة بعد أن علت به السن ، ولم يعد قادراً على القيام بأعباء العمل العظيم . وقد تبين أن رغبة الشيخ صالح قزاز في العمل بدون مرتب كانت رغبة قديمة نفذها منذ أسند اليه الاشراف على عمارة المسجد النبوي الشريف السعودية الاولى عام ١٣٦٨ للهجرة ، وقبل اختياره أميناً عاماً مساعداً لرابطة العالم الاسلامي بربع قرن ، وقد كشف لنا أمر هذه الحسنة الاستاذ / حسن قزاز جزاه الله خير الجزاء في الكلمة التي نقلناها عنه قبل ، وقد تجنب الشيخ صالح قزاز الاشارة اليها أو اظهارها للناس رغبة فيما عند الله ، ولكن العمل الطيب كالعطر الزكي الرائحة ينم عن نفسه ، وقد شاء الله تعالى أن يظهر هذا العمل الطيب للناس بعد وفاة صاحبه ليذكر له بالخير وليترحم عليه كل من اطلع عليه .

اعتكف الشيخ صالح قزاز في داره بعد استقالته من الرابطة ، وانقطع برغبته عن الناس ولكنه لم ينقطع عن متابعته لأعمال جماعة تحفيظ القرآن الكريم التي احتضنها منذ عام ١٣٨٢ ، والتي أراد الله تعالى لها النمو والانتشار ، وتخرج منها الائمة والمدرسون والحفاظ ولا تزال تعمل وتنمو كما بين ذلك الدكتور باجوده في كلمته التي نقلناها قبل ، وأراد الله تعالى أن يتم فضله على الشيخ صالح قزاز فأوقف عمارته الكبيرة بالشامية على جماعة تحفيظ القرآن الكريم في حياته ، وأصبح ريع هذه العمارة ملكاً للجماعة يصرف عليها .

ولابد أن نذكر أن الشيخ صالح قزاز وأخوه الشيخ أحمد قزاز حينما انتقلوا من الطائف ، وأقاموا في مكة المكرمة اشتروا قطعة أرض كبيرة خارج مكة المكرمة ، وبتوالي السنين واتساع العمران ارتفعت قيمة هذه الأرض فباعوا أجزاء منها وأنشأ الشيخ صالح قزاز عمارته في الشامية من قيمة هذه الأرض التي أكرمه الله تعالى بها في آخر حياته ، فاستعملها في أشرف القربات وأكرمها في خدمة القرآن الكريم .

وفاة الشيخ صالح قزاز :

توفي الشيخ صالح قزاز في ٣٠ جمادي الآخرة من عام ١٤٠٩ للهجرة من عمر يناهز التسعين عاماً ، ودفن في مكة المكرمة ، تغمدّه الله بواسع رحماته ، وجزاه الله خير الجزاء ، انه سميع مجيب .



(مصادر الكتاب)

- | اسم الكتاب | المؤلف والمطبعة وتاريخ الطبع |
|--|---|
| ١ - القرآن الكريم | محمد علي الصابوني ، مطابع دار القرآن الكريم - بيروت |
| ٢ - صفوة التفاسير | الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .
محمد طاهر الكردي - الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ . |
| ٣ - التاريخ القويم لبيت الله الكريم | عبدالله محمد الغازي - مخطوط . |
| ٤ - افادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام | أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأرزقي - الطبعة الثالثة دار الثقافة بمكة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م . |
| ٥ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار | الامام أبو عبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي - تحقيق الاستاذ/ عبد الملك بن عبدالله بن دهيش مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م . |
| ٦ - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه | عز الدين بن الاثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري - القاهرة ١٩٧٣ م . |
| ٧ - أسد الغابة في معرفة الصحابة | محمد علي مغربي - مطابع دار العلم الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . |
| ٨ - أعلام الحجاز الجزء الأول | محمد علي مغربي - مطابع دار العلم الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م . |
| ٩ - أعلام الحجاز الجزء الثاني | السيد أحمد بن السيد زيني دحلان الدار المتحدة للنشر والتوزيع بيروت / لبنان . |
| ١٠ - امراء البلد الحرام | |

- ١١ - البداية والنهاية
أبوالفداء الحافظ بن كثير مكتبة دار المعارف الطبعة الثانية
١٩٧٧ م .
- ١٢ - النجوم الزاهرة في ملوك
مصر والقاهرة
جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي اصدار
وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- ١٣ - العقد الثمين في تاريخ
البلد الأمين
الامام أبوالطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسيني
المكي مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .
- ١٤ - أعلام الحجاز - الجزء
الثالث
محمد علي مغربي - مطبعة المدني بالقاهرة - الطبعة الاولى
سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ١٥ - الاعلام
خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت الطبعة
الخامسة مايو ١٩٨٠ م .
- ١٦ - السيد أحمد الفيض آبادي
١٧ - بين السجن والمنفى
عبد القدوس الأنصاري .
- ١٨ - أجنحة بلا ريش
أحمد عبدالغفور عطار الطبعة الاولى بمكة المكرمة سنة
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٩ - الصوت والصدى
٢٠ - الهوى والشباب
حسين سرحان - اصدار نادي الطائف الأدبي الطبعة الثانية
سنة ١٣٩٧ هـ .
- ٢١ - تاريخ التمدن الاسلامي
٢٢ - تاريخ مكة
أحمد عبدالغفور عطار سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٢٣ - الذهب المسبوك
٢٤ - تاريخ عمارة المسجد
الحرام
جورجي زيدان - مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٣١ م .
- ٢٥ - بدائع الزهور في وقائع
الدهور
أحمد السباعي . الطبعة الرابعة - اصدار نادي مكة الثقافي
سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٢٦ - الممالك
٢٧ - ذكريات العهد الثلاثة
٢٨ - مآدبة الله في الأرض
للمقريري .
- محمد بن أحمد بن اياس الحنفي - اصدار لجنة المستشرقين
الألمانية - طبع دار احياء الكتب العربية بمصر سنة
١٩٧٥ م .
- الدكتور السيد الباز العريبي - دار النهضة العربية للطباعة
والنشر بيروت سنة ١٩٧٩ م .
- محمد حسين زيدان - الطبعة الثانية ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- أحمد محمد جمال - منشورات نادي القصيم الأدبي ، بريدة
الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- ٢٩ - صقر الجزيرة أحمد عبدالغفور عطار - الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م .
- ٣٠ - شعر حسين سرحان أحمد عبدالله صالح المحسن اصدار النادي الثقافي الأدبي بجدة سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١ م .
- ٣١ - مذكرات صالح جمال مخطوط .
- ٣٢ - التقرير السنوي لجمعية البر بمكة المكرمة سنة ١٤١٢هـ - ١٤١٣هـ .
- ٣٣ - نظم الدرر في اختصار عبدالله مراد أبوالخير . الطبعة الثانية لعالم المعرفة جدة نشر النور والزهور ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م .
- ٣٤ - سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر عمر عبدالجبار الطبعة الثانية جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢ م .
- ٣٥ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي - طبع دار احياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٦ م .
- ٣٦ - دولة الظاهر بيبرس الدكتور محمد جمال سرور - دار الفكر العربي سنة ١٩٦٠ م .
- ٣٧ - ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز محمد علي مغربي - مطابع دار العلم بجدة الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .
- ٣٨ - عثمان بن عفان ذو النورين محمد علي مغربي مطابع دار العلم بجدة الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .
- ٣٩ - تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية عثمان حافظ ، الطبعة الثانية شركة المدينة للطباعة والنشر جدة سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م .
- ٤٠ - رباعيات محمد سعيد العامودي .
- ٤١ - موسوعة مدينة جدة عبدالقدوس الأنصاري مطابع الروضة بجدة الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨٠ م .

الصحف والمجلات :

- ٤٢ - مجلة المنهل ، مجلة الأربعاء ، جريدة المدينة ، جريدة عكاظ ، جريدة الندوة ، جريدة الشرق الأوسط .

كتب صدرت للمؤلف

- البعث : رواية طويلة صدرت الطبعة الاولى منها في عام ١٣٦٤هـ وأعيد طبعها مع قصص أخرى سنة ١٤٠٣هـ .
- حبات من عنقود : مجموعة من الأحاديث القصيرة صدرت عام ١٣٨٧هـ ، وأعيد طبعها في سنة ١٤٠٥هـ .
- لعنة هذا الزمن : مجموعة مقالات تتعلق بالأحداث العربية والاسلامية صدرت سنة ١٣٨٧هـ .
- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة : تراجم لثلاثين من أعلام الرجال في الحجاز صدرت طبعته الاولى عام ١٤٠١هـ ، وصدرت الطبعة الثانية في سنة ١٤٠٥هـ .
- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة : تصوير للحياة الاجتماعية في الحجاز خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة ، صدرت طبعته الاولى سنة ١٤٠٢هـ وصدرت الطبعة الثانية في سنة ١٤٠٥هـ ، وصدرت الطبعة الثالثة في سنة ١٤٠٥هـ ، وهي خاصة بالمكتبات المدرسية لوزارة المعارف بالملكة العربية السعودية .
- أبوبكر الصديق خليفة رسول الله : الكتاب الأول في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٣هـ .
- عمر بن الخطاب أمير المؤمنين : الكتاب الثاني في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٣هـ .
- الجزء الثاني من أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة : تراجم لعشرة من أعلام العلماء والمؤرخين والشعراء والأدباء مع دراسة لأثارهم المطبوعة والمخطوطة دراسة وافية ، صدر في سنة ١٤٠٤هـ .
- الاسلام في شعر شوقي : بحث قدم الى المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي عقد بمكة

- المكرمة من غرة ربيع الأول ١٣٩٤هـ الى السابع منه ، وهو دراسة لشعر شوقي الاسلامي وخاصة في أماديحه النبوية صدر في عام ١٤٠٤هـ .
- عثمان بن عفان ذو النورين : الكتاب الثالث في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٤هـ .
- علي بن أبي طالب والحسن بن علي : الكتاب الرابع في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٧هـ .
- تاريخ الدولة الأموية : تاريخ مفصل للأحداث السياسية في الدولة الأموية منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان الى مروان بن محمد الحمار آخر الخلفاء الأمويين مع تراجم للخلفاء الأمويين جميعاً صدر سنة ١٤٠٩هـ .
- الجزء الثالث من أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية : صدر سنة ١٤١٠هـ .
- لمحات من تاريخ الحجاز قبل الاسلام : صدر سنة ١٤١٤هـ .
- تاريخ الحجاز قبل الاسلام تاريخ قديم حاول المؤلف فيه الامام بلامح هذا التاريخ فتحدث عن بناء الخليل ابراهيم عليه السلام للكعبة المشرفة وما أمكن الوصول اليه من اخبار مكة قبل الاسلام ، وتحدث الكتاب عن يثرب وغزو اليهود اليها ووصول الأوس والخزرج اليها وعن شمال الحجاز النبوات التي ظهرت في الحجر ومدين أبناء اسماعيل عليه السلام وانتقالهم الى شمال الحجاز ثم عودتهم الى مكة المكرمة .



الفهارس

الصفحة

٢٦١	فهرس الصور
٢٦٢	فهرس الأعلام
٢٦٩	فهرس الكتب والمجلات والصحف
٢٧٣	فهرس الموضوعات والأماكن
٢٧٩	فهرس الكتاب

فهرس الصور

الصفحة	الصورة
٢٦	صورة السيد أحمد محمد جمال
٤٢	صور السيد أحمد عبد الغفور عطار
٥٨	الاستاذ حسين بن علي سرحان
٧٦	الاستاذ صالح محمد جمال
٨٨	الشيخ عبد الله محمد الغازي المكي
١٢٢	صورة للكعبة
٢١٤	السيد / محمود احمد
٢٢٠	الشيخ محمد حسين زيدان
٢٣٢	الاستاذ محمد سعيد العامودي « رحمه الله »
٢٤٢	صورة الشيخ صالح عبد الرحمن قزاز

فهرس الأعلام

- أحمد دحلان : ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٤١
 ابن اسحق : ٩٩
 إبراهيم باشا والي جدة : ١٠٣
 ابن شمس الدين : ١٠١
 ابوالوليد الأزرقى : ١٠٢
 أحمد محمد جمال : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤
 ابن إياس : ١٣٥ ، ١٩٨
 أحمد ماهر : ٥٣
 إسماعيل الزهدي : ١١٨
 أبوجعفر المنصور : ١٣٤
 إسماعيل العلوي : وهو إسماعيل بن يوسف
 بن إبراهيم : ١١٢ ، ١١٣
 ابن جبير : ١١٤ ، ١١٥
 أحمد قاضي زاده أفندي : ١٧٢
 أحمد محمد الحضراوي : ٩٦ ، ١١١
 أبواحمد عبدالله بن المستنصر العباسي : ١٢٣
 أحمد القبوري : ١٩٢
 السلطان أحمد بن محمد بن مراد : ١٠٧
 أقباش : ١١٥
 أنور زعلوك : ٨٢
 أبوزيد : ١٤٢
 الأزرقى : ١١٢
 أحمد حليبي : ١٢١
 آل الرشيد : ٩٢
 أصحاب جوبان : ٩٤
 الشاعر أحمد بن سعد بن أحمد الخنفي : ٢٠٦
 آل الصباح : ٩٢
 أحمد إبراهيم الغزاوي : ٣٩
 آدم : ٣٩ ، ٤٠
 إبراهيم عبدالسلام
 أحمد اليساطي : ١٢
 السلطان أحمد بن السلطان محمد بن مراد سليم
 الثاني بن سليمان الأول فاتح مصر : ١٠٠
 السيد أحمد الفيض آبادي : ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣
 أحمد بن حنبل : ٧٨ ، ١٧٣
 أحمد الكنكوهي : ١٢
 ابن أبي ربيعة : ٦٤
 إبراهيم الناختوة : ١٩٨
 ابن القيم الجوزية : ٩٤
 ابن ظهيرة القرشي : ٧٩
 ابن فهد : ٩٥ ، ١٢١ ، ١٩٨ ، ١٩٩
 الأتراك : ٩٢
 أحمد القباني : ١٠١
 أحمد عبدالغفور عطار : ٤٣ ، ٤٤
 أحمد قنديل : ٦١
 إبراهيم عليه السلام : ١٠١ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩
 الإنجليز : ١٢ ، ٩٢
 أحمد بن محمد بن زين العابدين : ١٠٩
 الأدارسة : ٩٢
 أحمد السباعي : ٧٩ ، ١١٥ ، ٨٢ ، ١١٦ ، ١٥٩
 الأستاذ أحمد علي : ٩٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩

جريج «يهودي تظاهر بالإسلام ليسرق الحجر
 الأسود» : ١٢٠
 الجزائر : ١٢
 جعفر البرزنجي : ١٨٩ ، ١٩٠
 حامد مطاوع : ٨٤
 حبيب احمد : ٢٢ ، ٢٣
 حبيب محمود احمد : ٢١٧
 الشيخ حامد عبدالمنان : ١٢١ ، ٢٢٣
 الملك حسين : ١٥٠
 حسن باشا : ١٧٥
 حامد كمكي : ٢٣٥
 الحسن بن قتادة : ١١٥ ، ١١٦
 حسين الحسيني «قاضي مكة» : ١٥٨
 حسين عبدالله باسلامة : ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٢١
 الشيخ حسين نظيف : ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧
 حاجي إقبال : ٢١٠
 حسني الطاهر : ٢٢٥
 حبيب الله : ١١
 حسن عجلان : ١٠٤ ، ٢١٠
 الحبيب بورقيبة : ٣١
 حسن قزاز : ٨١
 حسين بن علي سرحان : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ،
 ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
 ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤
 حسن الشيبني : ١٠٤
 حسين حميدان : ١٠٢
 الحسين بن علي : ١١ ، ١٠٨
 حسن احمد : ١٢
 الشيخ حسين عبدالغني : ٣٩
 السلطان حسن بن قلاوون : ١٥٩
 الشيخ حسين محمد مخلوف : ٢٢٩
 حسن بن عجلان : ١٤٨ ، ١٩٧
 الحضراوي : ١٩٠
 همد الجاسر : ٦١
 حمزة شحاته : ٧٢
 حواء : ٣٩

أحمد شطا : ٢٢٥
 ابن أبي نجيج : ١٠٣
 الشيخ أحمد قزاز : ٢٢٥
 أبوطاهر القرمطي : ١١٠
 ابن الأثير : ١٨٨
 ابن كثير : ١١٢
 اسماعيل البيضاوي : ١٢٤
 أبوسعيد بن خداينده : ٢٠٤
 إبراهيم شاکر : ٢٢٨
 أحمد المشاط : ٦٦٠
 أحمد حمزة : ١١٧
 أحمد إبراهيم الغزاوي : ٢٣٦
 أحمد بن عجلان - أمير مكة : ١٤٨
 إحسان الله الهندي : ٢٢٨
 أسعد طرابزوني : ٢٢٨
 إسحاق الصايغ : ١٠٥
 السيد هاشم الباك : ٢٣٦
 الدكتور باجوده : ٢٤٩
 (بانكرومو) : ١١
 النجار القبطي باقوم يصنع سقفا للكعبة : ٩٩
 الأشرف برسباي : ١٩٨ ، ٢١١
 الشريف بركات بن حسن : ١٩٩
 برهان الدين بن علي بن ظهيرة الشافعي :
 ١٥١
 بن زغب : ١٨٧
 الشيخ البشير الإبراهيمي : ١٢ ، ١٣ ،
 ٢٢٩
 بدر غلام احمد : ١٠٦
 الشيخ بكر حمدي : ٣٨ ، ٢٣٦
 بشار بن برد : ٦٧
 الظاهر بيبرس : ١٠٧ ، ١٢٣
 تاج الدين بن زكريا : ١٤٧
 التركية : ١٤
 تقي الدين الفارسي : ٩٥ ، ١١٥
 جبرائيل عليه السلام : ٩٣
 جعفر اللبني : ٢٠٣

سليمان بك والي جدة : ١١٧
 سراج الدين عمر بن الشيخ عبدالعزيز
 الزمزمي : ١٢٣
 السعودي : ١٤
 سنقر الجمالي «المحتسب» : ٩٥ ، ١٦٩ ،
 ١٧٠ ، ١٨٧
 السنجاري : ٢٠٢ ، ٢٠٣
 الأشرف شعبان : ١٣٧ ، ١٩٦
 شرايف بن حسن : ١٧٠
 القاضي شهاب الدين المحلي : ١٩٧
 شعبان أفندي : ١٠٧
 السلطان شعبان : ١٢١ ، ١٥٠ ، ١٥١
 الخواجة شمس الدين الزمن : ١٥١ ، ١٦٩
 الشيخ شمس الدين الحنبلي : ٩٤ ، ٩٥
 القاضي : شهاب الدين : ١٣
 شيبه بن عثمان : ١٠٣
 صالح محمد جمال : ٢٨ ، ٢٩ ، ٧٧ ، ٧٩ ،
 ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦
 السلطان صلاح الدين : ١٩٥
 صالح قزاز : ١٥٠
 صالح شطا : ٢٢٥
 صديق : ١٢
 صلاح الدين الأيوبي : ١٤
 صولت النساء : ٢١
 طاهر الكردي : ٨٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩
 طاهر زنجشيري : ٢٣٧
 الإمام الطبري : ٩٤
 طلعت وفا : ٣٨
 طه حسين : ٥٣ ، ٢٢٧
 الملك عبدالعزيز رحمه الله : ٣٩ ، ٩٢ ،
 ١٥٠
 عبد الجبار الدهلوي : ١٥
 عبدالرازق بليلة : ٨٤
 عبدالعزيز الربيع : ٢٠
 عباس العقاد : ٥٢ ، ٥٣
 عباس ابن الأحنف : ٦٧

خادم الحرمين الشريفين : ٤٠
 الملك خالد رحمه الله : ٢٤٩
 خضر الشامي : ١٠٣
 الأمير : خير الدين : ١٨٩
 خليفة بن فرج بن محمد محمد الزمزمي : ١٢٣
 خير بك المعمار : ٢٠٧
 السيد دحلان : ٢٠٨
 الشريف : راجح بن قتادة : ١١٥ ، ١١٦
 رحمة الله العثماني : ٢١ ، ١٦٢
 رحمة الله الهندي : ١٦١
 الخليفة الراضي : ١٥١
 رشدي ملحق : ٧٩
 الريخ زيتش : ١٨١
 رفعت باشا : ٢٠٤ ، ٢٠٩
 رميثة بن محمد بن عجلان : ١٤٨
 زبيدة أم الأمين : ١٢٦
 زين صافي : ٢٢٨
 القاضي زين الدين أبويكر بن حسين
 المراغي : ٢١١
 سالم بن عبد الله البصري : ١٧٨
 السادات : ٣١
 السباعي : ٩٦
 السلطان سليمان العثماني : ١٧٦
 سعد الدين الاسفرائيني : ١١٣
 سعد الدين بن إبراهيم بن المرة القطبي : ٢١١
 سليمان باشا : ٢٠٢
 الشريف سرور : ١٣٥ ، ٢٠٨
 الأمير سعود بن عبدالعزيز : ١١٧
 سراج خراز : ٣٨
 سلامة موسى : ٥٢
 الشيخ سالم بن ياقوت : ١٢٤
 الشيخ سليمان الصنيع : ٣٨
 سعد زغلول : ٥٢ ، ٥٣
 سعيد بن سعد بن زيد : ١٩٠
 السلطان سليم : ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٣٨ ،
 ٢٠٤

الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان : ١٢٩ ،
 ١٣٣
 عبدالله السعد : ٦٠
 عبدالرؤف الصبان : ١٣٥ ، ١٥١
 الدولة العثمانية : ٩٢
 عبدالله حميد : ١٢٥
 الشيخ عبدالوهاب قزاز : ١٥٠
 علوي المالكي : ٢٧
 عبدالله بن مالك : ١٤٠
 عبدالقادر الشيبني : ١٠٢ ، ١٠٨
 السلطان عبدالحميد : ١٠٩ ، ٢٠٨ ،
 ٢٢٧
 عبدالله الشيبني : ١٦٠
 الشيخ عبدالله غازي
 الشيخ عمر بن حسن : ٣٩
 عيد الشقي : ١٨٩
 عمر بن فهد : ٩٥
 عثمان بن احمد الرئيس : ١٢٥
 عبدالله بن الزبير : ٩٣ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١٢١
 السلطان عبدالعظيم : ٢١٦
 عمر بن الخطاب : ١٠٣ ، ١٠٥
 الشريف عبدالله بن ناصر : ١٩٢
 الشريف عون : ١٠٩ ، ١٩٣
 الشريف علي : ١٩٣
 علي بن محمد بن زين العابدين : ١٠٩
 علي رضا الركابي : ٢٢٨
 عبدالقادر عثمان : ٢٣٥
 عبدالله عرب الميمني : ١٦٠
 عثمان قاضي : ٢٣٥
 عبدالرحمن جمال : ١٦٠
 الشريف عجلان : ١٩٦
 علي ناصر : ٢٢٨
 العباسيين : ١١٦
 عثمان بن علي الزنجبيلي : ١٦٦ ، ٢١٠
 عبدالوهاب النشار : ٢٣٥
 عثمان باشا : ١٢٥

عبدالقدوس الأنصاري : ٢٠ ، ٢٣٧
 عبدالله جبر : ٧٣
 الأستاذ عابد عجمي : ٨٥
 عبدالحفيظ كردي : ١٢
 عائشة أم المؤمنين : ١٠٤
 عبدالحميد بن باديس : ١٢ ، ١٣
 عبدالعزيز الربيع : ٣٨
 عبدالعزيز الرفاعي : ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٨٤
 عبدالله الداري : ٨١
 عبدالله بن حسن آل الشيخ : ٢٧
 عبدالقادر جان : ٣٨
 عبدالله عريف : ٦١ ، ٨٤
 عبدالله غازي : ٧
 عبدالله السليمان : ٥٣ ، ٢٤٥
 العثمانية : ١٣ ، ١٤
 عبدالعزيز الزمزمي : ١٠٠ ، ١٢٣
 سمو الأمير عبدالله الفيصل : ٧٢
 العطار : ٥٣
 عبدالوهاب عبدالواسع : ٨٦
 عكاظ : ٦١
 عبدالله مرداد : ٩٨
 علي بن سرحان : ٦٠
 عباس حلمي «خديو مصر» : ١٠٨ ، ١٧١ ،
 ٢٢٧
 علي غسان : ٣٨
 عمر مفتاح : ١٢٣
 عمر بن أبي ربيعة : ٦٧
 عمر عبدالجبار : ٨٤ ، ٨٩
 عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن زيد
 العابدين : ١٠٩
 عبدالعنين بن حسن : ٢٠٢
 عبدالعزيز ساب : ٨٤
 عبدالله بن عثمان : ١٢٠
 علاء الدين بن علي بن كلبك التركماني : ١٣٧
 عنان بن مغامس : ١٠٤
 عبدالسلام بن أبي بكر : ١٢١

عبد الحميد بدوي باشا : ٢٢٦ ، ٢٢٧
عبد القادر خوقير : ١٦٠
الشيخ علوان : ١٩٥
عبد الرحمن سراج : ١٦٢
الشيخ عبدالله مرداد : ٢٣٨
عثمان نوري : ١٠٩
عبدالله الدباغ : ٢٤٧
عبدالله بن عامر : ١٦٢ ، ١٦٣
عمر محمد سعيد العامودي : ٢٤٠
الشريف عبد المطلب : ١١١
عبدالله باشا الحسيه جي : ١٨٩
عين جالوت : ١٢٤
السلطان عمر بن علي صاحب اليمن : ٢٢٧
عبد الواحد خونددا : ١٦١
علي مختار : ٢٣٧
عبد الوهاب آشي : ٢٣٥
عبد الواحد الميمني : ١٦١
العفيف عبدالله بن محمد الأرسوقي : ١٦٩
الشريف غالب : ١٠٨ ، ١٨١ ، ٢٠٧
الغزنويين : ١١
السلطان غياث الدين : ١٦٩ ، ١٧٨ ، ٢١٠
الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله : ٢٤٦
فؤاد الخطيب : ١٥٠
الفاشي : ١١٤ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٣
الفاكهي : ١١٢ ، ١٣٤ ، ١٤٠
فخري باشا : ١٠٨ ، ٢٢٨٧
فيصل بن الحسين : ٢٢٩
فيض آباد : ١١
الملك فيصل : ٢٠ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣
قاسم الحسيني : ١١٧
السلطان قايتباي : ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٧٠ ، ١٩٧ ، ١٧٦
قتادة : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٩
القرامطة : ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨

قطب الدين الخنفي : ١٣٤
القزويني : ١٤١
القطب : ١٧٢
قطر السلطان : ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٩٧
قيصر ملك الروم : ٩٩
قيماز الأرجواني أمير الحج العراقي : ١٨٧
القرآن : ١٢
قنصوة الغوري : ١١٧
الملك : الكامل الأيوبي : ١١٥ ، ١١٦
كامل باشا والي جدة يتلقى أمر بمنع بيع الرقيق في الحجاز : ١٩١
كمال خوجه : ٢٢٦
المظفر كوكبري : ١٥٣ ، ٢٠٦
لؤلؤان : ١٠٦
ليبب البتنوني : ٩٩ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٧١ ، ١٩٦ ، ٢٠٧
الملك المنصور لاجين : ١٧٨
الملك المسعود : ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧
محمد صالح قزاز : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢
الشريف منصور : ١٩١
محمد خوجه : ٢٢٦
محمد بن علي الطبري : ٢٠٢
مدحت باشا : ٢٢٦
الشيخ مبارك الصباح : ٩٢
محمد بن احمد الصباح : ١٣٤
الخليفة المستضيء العباسي : ٢٠٦
محضار عقيل : ٧٨
الشيخ محمد بن لادن : ٢٤٥
محمد المعيار : ٢٠٢
السيد محمود احمد : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨
محمد جميل حسن : ٢٣٥
محمد الحافظ : ٢٠
السيد محمد أمين الكتبي : ٣٨

عبد الحميد بدوي باشا : ٢٢٦ ، ٢٢٧
عبد القادر خوقير : ١٦٠
الشيخ علوان : ١٩٥
عبد الرحمن سراج : ١٦٢
الشيخ عبدالله مرداد : ٢٣٨
عثمان نوري : ١٠٩
عبدالله الدباغ : ٢٤٧
عبدالله بن عامر : ١٦٢ ، ١٦٣
عمر محمد سعيد العامودي : ٢٤٠
الشريف عبد المطلب : ١١١
عبدالله باشا الحسيه جي : ١٨٩
عين جالوت : ١٢٤
السلطان عمر بن علي صاحب اليمن : ٢٢٧
عبد الواحد خونددا : ١٦١
علي مختار : ٢٣٧
عبد الوهاب آشي : ٢٣٥
عبد الواحد الميمني : ١٦١
العفيف عبدالله بن محمد الأرسوقي : ١٦٩
الشريف غالب : ١٠٨ ، ١٨١ ، ٢٠٧
الغزنويين : ١١
السلطان غياث الدين : ١٦٩ ، ١٧٨ ، ٢١٠
الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله : ٢٤٦
فؤاد الخطيب : ١٥٠
الفاشي : ١١٤ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٣
الفاكهي : ١١٢ ، ١٣٤ ، ١٤٠
فخري باشا : ١٠٨ ، ٢٢٨٧
فيصل بن الحسين : ٢٢٩
فيض آباد : ١١
الملك فيصل : ٢٠ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣
قاسم الحسيني : ١١٧
السلطان قايتباي : ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٧٠ ، ١٩٧ ، ١٧٦
قتادة : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٩
القرامطة : ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨

محمد زكي البرزنجي : ٧٨
 محمد الطيب الأنصاري : ٣٩ ، ١٦ ، ١٥
 محمد حسين الأصفهاني : ٨١ ، ٧٨
 السلطان مراد : ٢١١
 شيخ الإسلام محمد بن سعد الدين : ١٠٠
 المؤيد الجرکسي : ٢٠٢
 الشريف محمد بن عون : ١٩٢
 محمد العيد : ٢٠ ، ١٧ ، ١٥
 محمد العلي التركي : ٥٩
 محمد بن علان الصديقي : ١٠١ ، ١٠٠
 الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ١٨ ، ١٧
 محمد بن عراق : ١٨٩
 الشيخ محمد سعيد المداح : ٨٥
 محمد بك المكحجي : ١٥٨
 محمد حسين فريدان : ١٣ ، ٥٤ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩
 محمد سعيد العامودي : ١٩٨ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
 مصطفى كمال : ٢٢٦
 محمد سرور الصبان : ٥٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
 ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
 مغلباي : ١٢٣
 السلطان محمد رشاد خان : ١١١
 محمد صفوت السقا : ٢٤٦
 محمد بن حاتم : ١١٢
 الخليفة المهدي : ١٢٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٨
 محمد بن عمر الشهير بالزمن : ١٦٩
 محمد علي زينل : ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٢ ،
 ٢٢٤
 محمد علي باشا - والي مصر : ١٧٣
 محمد عبدالسلام هارون : ٥٢
 مكث بن عيسى «أمير مكة» : ١١٤
 مسلم بن خالد : ١٠٣
 محمد علي الحركان : ٢٠
 محمد علي باشا : ٩٢

محمد عمر توفيق : ٢٠
 محمد نصيف : ٩٧ ، ٨٩
 محمود احمد جمال : ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
 ٤٠
 مزين خالد : ٥٠
 مصطفى النحاس : ٥٣
 مصطفى صادق الرافعي : ٣٩
 مصطفى أمين : ٨١
 السلطان محمود خان : ١١٨ ، ١١٩ ، ٢٠٥ ،
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٥
 محمد علي عبدالواحد : ١٩٤
 محمود زين العابدين : ١٠٨
 مهدي بك : ٣٨
 الشيخ المتوكل محمد يوسف سبي : ٢٤٨
 السلطان مصطفى الثالث : ١٨٩
 المعتضد : ١٠٦ ، ١٣٧
 المقتدر : ١٠٦ ، ٢٠٤
 المطيع لله : ١١٠
 مكث بن عيسى : ١٩٥
 الشيخ محمد بن صالح بن احمد بن زين
 العابدين : ١٠٩
 المقرزي : ١١٦
 ناشد باشا : ١٦٠
 نابليون : ١٨١
 الخليفة الناصر : ١١٥
 الناصر فرج : ١١٤
 الناصر محمد بن قلاوون : ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١٣٥ ، ١٧٨
 الشيخ نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني :
 ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣
 نعمة الله القادري : ٢٠١
 السلطان نور الدين الشهيد : ٢٠٥
 النقراشي : ٥٣
 نور الحق : ١١
 هارون الرشيد : ١١٠ ، ١٣٩

الإمام يحيى حميد الدين : ٩٢
الأمير يلبغا الخاسكي : ١٩٦
يسن طه : ٢٢١
يوسف بن الساج : ١٠٦
يوسف بونابرت : ١٨١
يوسف زمزمي : ٨٥

هاشم بن فليته : ١٨٧
هشام بن المغيرة : ١٤٣
الهاشمي : ١٤
هولاكو : ١٢٣
السلطان وحيد الدين خان : ٩١
ياقوت الغياثي : ٢١٠

فهرس الكتب والمجلات والصحف

- آداب المعلمين : ٤٧
آراء في اللغة : ٤٦
الأمل : ٣٨
الإسلام خاتم الأديان : ٤٦
الإسلام أولا : ٢٩
ابن سعود وقضية فلسطين : ٤٦
الإسلام دين خاص أم عام : ٤٨
احكام الحج والعمرة من حجة النبي ﷺ : ٤٧
الشباب : ٣٠
أحكام الحج والعمرة : ٤٧
الأمة الواحدة : ٣٠
أم القرى : ٦١ ، ٢٠
الإسلام طريقنا إلى الحياة : ٤٦
استعمار وكفاح : ٢٩
أريد أن أرى الله : ٤٥
أجنحة بلاريش : ٦٢
الصحافة في نصف قرن : ٣٠
الطلائع : ٢٩
أخبار مكة : ٧٩
أعلام العلماء : ٣٠
الإتحاف : ٢٠٢
إنسانية الإسلام : ٤٦
انحسار تطبيق الشريعة في أقطار العروبة والإسلام : ٤٨
الأدب الضاحك : ٤٩
الأزمة : ٤٩
آكام المرجان في أحكام الجان : ٩٤
أخبار الصناديد : ١٠٣
الإتمام : ١٠٤ ، ١١٨
- أدب الحجاز : ٢٣٤
إتحاف الورى في أخبار أم القرى : ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٠٠
استنبول : ١٠٩
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام : ١٣٤
إتحاف فضلاء الزمن : ٢٠٢
الأدب والحرب : ٦٢
أشراف مكة وأمرؤها : ٢٠٧
الأعلام : ١٢٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣
إنسانية الإسلام : ٤٧
أوزان في الميزان : ٦٢
أسد الغابة : ١٦٢
بدائع الزهور : ١٣٥ ، ١٩٨
بلوغ القرى : ٩٥ ، ١٦٨ ، ٢٠٧
بين المسجد والمنفى : ٥٠
البداية والنهاية : ١١٢
بروتوكولات صهيون : ٤٦
البلاد «جريدة» : ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ٢٢١
البيان : ٤٥
البعث الفرجي : ١٩٠
تاريخنا لم يقرأ بعد : ٢٩
تاريخ مكة : ٧٩ ، ١١٥ ، ١١٧
تاريخ الأزرق : ١٢٠
تاج تواريخ البشر : ٩٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠
تاريخ البخاري : ١٩٨
تأنده : ١١
تحصيل المرام : ١٣٤ ، ١٧٥ ، ١٨٩
تاريخ عمارة المسجد الحرام : ١٧٣

- التضامن الاسلامي : ٢٨
تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل : ٣٠
التمدن الإسلامي : ١١٦
تنشيط الفؤاد : ٩٨
تهذيب الصحاح : ٤٦
الجامع الصغير : ٧٩
الجامع اللطيف : ١٢٠
جحا يستقبل نفسه : ٤٧
الجوهري : ٤٧
مجلة الحج : ٢٣٧
الحجاب والسفور : ٤٦
حجة النبي ﷺ : ٤٦
الحجاب والسفور : ٤٧
حجة النبي ﷺ : ٤٨
جريدة حراء : ٢٨ ، ٨١ ، ٨٢
حرب الأكاذيب : ٤٥
الخراج والشرائع : ٤٥
خلاصة الكلام : ٢٠٨
خمس دقائق قبل الفطور : ٤٨
خواطر مصرحة : ٢٣٤
دار أخبار اليوم : ٧٩
دار الهلال : ٧٩
مجلة الدارة : ٢٢٢
الدرة الثمينة في أخبار المدينة : ٧٩
دعوة الحق : ٢٨
درر الفرائد : ١٩٦ ، ١٩٩
دفاع عن الفصحى : ٤٧
دليل الحاج المصور : ٧٩
الذهب المسبوك : ١١٦
رابطة العالم الإسلامي : ٢٨ ، ٢٣٣
الرابطة الإسلامية : ٣٨
الرحلة الحجازية : ١٠٨ ، ١٧١ ، ١٩٦ ، ٢٠٧
رحلة ابن جبير : ١١٤
رسالة في الاذكار : ٩٨
رسالة في ذم اللعب واللهو : ٩٨
رسالة في الفرائض : ٩٨
الرياض : ٦١
رفقا بالقوارير : ٢٩
الرسالة : ٥٣
روز اليوسف : ٧٩
زبدة الأعمال : ١١٣
سعد زغلول : ٥٢ ، ٥٣
السالنامة الحجازية : ١٠٠ ، ١٤٦ ، ٢٠٨
سعد قال لي : ٢٩ ، ٣٣
سيرة بطل : ٢٢٢
الشرعية لا القانون : ٤٦
شرح رسالة ابن زيدون : ٢٠٣
شفاء الغرام : ١١٤ ، ١٥١ ، ١٧٥ ، ١٩٥
الشيوعية وليدة الصهيونية : ٤٦
الشباب دراسات ولقاءات : ٣٠
الصحاح - للجوهري : ٤٧
الصحافة في نصف عمود : ٣٠
صقر الجزيرة : ٤٦ ، ٥٠
صوت الحجاز : ٦٩ ، ٢٣٣
صور من المستشفى : ٣٨
الصوت والصدى : ٦٢
طائر بلاريش : ٦٢
طاهر زنجشيري : ٧٩
عائشة أم المؤمنين : ٤٩
العقاد : ٤٩
عثمان بن عفان ذو النورين : ٥٤
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين : ١٣٤
عروبة فلسطين : ٤٦
عشرون يوما في الصين : ٤٦
عقود التأمين : ٣٠
على مائدة القرآن دين ودولة : ٢٩
على مائدة القرآن مع المفسرين : ٢٩
على مائدة القرآن مبادئ ومثل : ٢٩
على مائدة القرآن ما وراء الآيات : ٢٩
عكاظ : ٥١ ، ٨٣

العمل المفرد في فضل وتاريخ الحجر الأسود :

١٠١

فتح القوى في ذكر أسانيد السيد حسين

الجبشي : ٩٨

في اللغة : ٤٩

قال بيديا : ٤٩

قریش : ٦١ ، ٨٢

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ٣٠

قضايا معاصرة : ٣٠

قطرة من يراع : ٤٥

كتابي : ٤٣

كثير عزه : ٦٧

الكشاف : ٧٨

كرائم النساء : ٣٠

كشف الظنون : ٤٩

الكعبة والكسوة : ٤٧

كلام في الأدب : ٤٦

كلمة الحق : ٥١

لا تؤمن بالاشتراكية : ٤٩

ليس في كلام العرب : ٤٧

الماسونية : ٤٤

مختارات - صالح جمال : ٨٣

مؤامرة الصهيونية على العالم : ٤٤

محمدرسول الله : ٥٠

مأدبة الله : ٣٠

ماذا في الحجاز : ٢٩

مجتمعنا العربي : ٢٩

محاضرات في الثقافة الإسلامية : ٢٩

مقصورة بن دريد : ٤٤

مكانك تحمدي : ٢٩

مقدمة تهذيب اللغة : ٤٤

المفتش : ٤٦

مسئولية العلماء في الإسلام : ٢٩

مفتریات على الإسلام : ٣٠

من كشمير إلى فلسطين : ٢٩

المقالات : ٤٤

من أجل الشباب : ٣٠

محمد بن عبد الوهاب : ٤٤

كتاب آخر محمد بن عبد الوهاب : ٤٤

محمد بن عبد الوهاب بالأردنية : ٤٤

مسلمة في سيبريا : ٤٩

مع الملوك والرؤساء : ٤٩

مذكرات لارا : ٤٩

مع الكتب والمؤلفين : ٤٩

ما اتفق لفظه واختلف معناه : ٤٩

مجموعة المعاني : ٤٩

المكتبات : ٤٨

المدينة : ٦١

المختصر من كتاب نشر النور والزهر : ٢٣٨

مرآة الحرمين : ١٠٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩

ملا مع الحياة الاجتماعية : ١٥٧

مجموع الأذكار : ٩٨

المنتهى : ٧٨

المنهل : ١٣ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٦١

نحو تربية إسلامية : ٣٠

نحو سياسة عربية صريحة : ٢٩

نساء وقضايا : ٣٠

نساؤنا ونساؤهم : ٣٠

.. نشر الآس في فضائل زمزم وسقاية

العباس : ١٢٣

نشر النور والزهر : ٢٣٨

نقد كتاب «كشف الظنون» : ٤٩

نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر :

٩٨

نثر الغرر في تذييل نظم الدرر : ٩٨

الندوة : ٦١ ، ٨٢ ، ٨٣

الهجرة : ٤٤

الهجرة (مشرحة) : ٤٧

الهوى والشباب : ٤٤

وادر نوى خوجة : ١١٨

وراء القضبان : ٤٩

ورود في كلام : ٤٩
وداعا أيها الشعر : ٣٢
وفاء الفقه الإسلامي : ٤٧

ويلك آمن ؛ ٤٧
يسألونك
اليهودية والصهونية : ٤٨

* * * *

فهرس الموضوعات والأماكن

- الأسنانة : ١٢ ، ١٤ ، ١٢٥ ، ١٨٩
إدارة شئون الحج : ٦١
أدرنة : ١٥
أراد السلطان أن يجعل حجارة الكعبة من
الذهب والفضة : ١٠٠
اصناف العملة الذهبية : ٢٢٩
إضاءة المسجد النبوي بالكهرباء : ٢١٦
أفغانستان : ٥٩
الله دار بور : ١١
الإمام يعين بفرمان : ٢٢٩
الأمن العام : ٤٣ ، ٧٨
أوليات مكة :
هاشم بن عبد مناف أول من سن الرحلتين :
١٥٣
الخليفة الراضي يبي أنصاب الحرم بالتنعيم :
١٥٣
صاحب أربيل يبي أنصاب عرفة : ١٥٣
إصلاحات العيون وإيصالها الى مكة
والمشاعر : ١٥٤
ابنة السلطان سليمان تنفق على إجراء الماء إلى
مكة وعرفات : ١٥٧
مقدار ما إنفقته زبيدة على إيصال الماء إلى
مكة : ١٥٩
لجنة من أثرياء الهند تجمع المال لإصلاح العين
«عين زبيدة» : ١٦٠
أول من اتخذ الحياض بعرفة : ١٦٢
مكان للشئق يتحول إلى سبيل : ١٦٣
أبواب المسجد الحرام قديما :
باب إبراهيم : ١٢٦
- باب ابن عتيق : ١٢٨
باب بازان : ١٢٦
باب الباسطية : ١٢٨
باب القطبي : ١٢٨
باب أم هانئ : ١٢٧
باب الزيادة : ١٢٩
باب العباس : ١٢٦
باب الدرية : ١٢٩
باب الصفا : ١٢٦
باب المجيدي : ٢٢٦
باب إبراهيم : ١٠٢
باب المنذب : ٢٠٠
باب العمرة : ١٢٧
باب الوداع : ١٢٧
آبار مكة :
بئر عبدالصمد : ٩
بئر المظلمة : ٩٥
البحرين : ٩١
بركة ماجن : ٩٥
أبواب المسجد الحرام وتعدادها في التوسعة
السعودية الأولى : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٣
باب ابراهيم نسبة إلى خياط يقال له إبراهيم :
١٢٦
من موارد الماء بمكة في العهد العثماني بازان
الشعب : ١٦١
بازان الشعبة : ١٦١
بازان سوق الليل : ١٦١
بازان سوق المعلاة : ١٦١

- ١٤٢ : جبل زر زور
 ١٤٢ : جبل أبي زيد
 ١٤٣ : جبل الأعرج
 الجيش السعودي : ٩٢
 الحجر الأسود : ٩٣
 حجر اسماعيل : ١١٣
 حائل : ٩٢
 الحاقة : ١٤٢
 قبائل حرب : ١٩٠
 الحديدية : ١١٦
 الحميدية : ٣٨
 حوض البقر : ١٤٧
 خاتم السلطان : ١٥٩
 الخندقة : ١٤١
 الخلاوي : ١٧٠
 الخيف : ١٩٠
 دار الأيتام بالمدينة المنورة : ٢٢١
 دار منصور الحميري : ١٤٢
 دار السلسلة : ٢٢٧
 دار العباس : ١١٥
 دار الندوة : ١٣٧
 دار القوارير : ١، د
 دمشق : ٩٢
 دار الملك عبدالعزيز بالرياض : ٢٢٢
 ديار بكر : ١٨٩
 الداودية : ٢٢٧
 الدواني عملة عثمانية : ١٥٦
 الدرية : ١٦٩
 ديوان التحرير : ٢٣٣
 دعوة للكتابة بالعامية : ٢٣٤
 دهلي : ١٣
 ديوبند : ١١
 رباط محمد باشا : ٨٩
 الرياض : ٩٢
 الأربطة بمكة :
 رباط الطبري : ١٧٧
- بازان القشاشية : ١٦١
 بازان أجياد : ١٦١
 بازانا المسفلة : ١٦١
 بازان حارة الباب : ١٦١
 بازان الشبيكة : ١٦١
 بناء الكعبة في عهد قريش : ٩٩
 البريد بين مكة والمدينة : ٢٠٦
 البيرقدارية (أصحاب البيرق) : ٢٢٦
 بيت المال : ٧٧
 تاندة : ١١
 تبوك : ١٨٧ ، ١٨٩
 التار : ١٢٣
 التلغراف يصل المدينة : ٢٢٨
 ترك القوائم أمام البيوت بمكة جزاؤها الضرب
 على الأقدام : ٢٠٧
 تركات المتوفين بمكة : : ٢٠٠
 التكية المصرية : ١٢٦
 التنعيم : ١٤٦
 ثورة القبوري بمكة : ١٩٣
 جامعة الملك عبدالعزيز : ٢٨ ، ٣٣
 جامع البنجاب : ٣٨
 جدة : ١٤ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٩٧
 جامعة أمية بدمشق : ١٠٥
 الجاوا : ١٧٠
 الجودرية : ٢١١
 الجراكسة : ١٣٨
 الجعرانة : ١٤٦
 جمعية البر بمكة المكرمة : ٢٩ ، ٨٣ ، ٨٤
 جمعية الإسعاف بمكة المكرمة : ٢٢٤
 الجولان : ٣١
 جمعية الهلال الأحمر بمكة المكرمة : ٢٢٥
 بعض جبال مكة وأسباب تسميتها :
 جبل عمر بالشبيكة : ١٤١
 جبل أبوقيس : ١٤١
 جبل تفاحة : ١٤٢
 جبل النار : ١٤٢

- رامشت : ١٧٧
رباط الشيخ غياث الدين : ١٧٨
الرباط العباسي ١٧٨
رباط البصري : ١٧٨
الريال المجيدي : ٢٢٩
الرياض : ٨٢
الزاهر : ١٥٥
زقاق مهر : ١٤١
الزيدية : ٢٠٣
السباهية الخيالة : ٢٢٦
السويدا : ١٤١
السماط : ٢٠٣
السويقة : ١٤٢
سواد الكوفة : ١٤٢
سراي السلطان عبداحميد : ٢٠٩
أسوار مكة :
سور المعلاة : ١٤٨
سور الشبيكة : ١٤٨
سور المسفلة : ١٤٩
سور آخر بأعلى مكة : ١٤٩
سلم الكعبة من خشب الساج : ٢٠٢
سوق الليل : ٩٥
الشعر : ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧
الشام : ١٨٩ ، ١٩٠
الشركة العربية للطبع والنشر : ٤٤
الصرة : ٢٠٤
الصفاء : ١٥٠
الصلاة بالمسجد الحرام أكانت تقام بأئمة المذاهب ؟ : ٢٠٣
صفي بور : ١٢
الضرائب على الحجاج : ١٩٥
الضرائب على دفن الموتى : ١٩٣
الطائف : ١٣ ، ٩٣ ، ١٠٩
إرسال الطواشية إلى المدينة : ٢٠٥
عمارة الكعبة الشريفة في العهد العثماني : ١٠٠
عمارة المطاف : ١٢١
عمارة الأمل : ٨٤
عمارة التوفيق : ٨٤
عمارة التيسير : ٨٤
عدن : ٢٠٠
عمارة السعد : ٨٤
العزيزية : ١٤٧
عرفات : ١٥٥ ، ١٥٦
العراق : ١٨٧ ، ١٨٨
الدولة العثمانية : ١٩١
العراق : ٩٢
العطارون والبيزارون يمتصمون بمكة : ٢٠٣
عمان : ٥٠
عيد المعراج : ١٠١
عين الضيعة : ١٦٨
عيد بازان : ٩٤
الغرفة التجارية : ٨٥
الغلال ترسل إلى مكة : ٢٠٤
فرنسا : ١٢
مدرسة الفلاح : ٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣
الفرنسيين : ١٢
فلسطين : ٣١
الفراصة : ٩٢
تجديد ؛
قبة المقام : ١١٧
مفتاح المقام : ١١٩
قص الأثر : ٩٢
قلعة أجياد : ٢٠٧
قلعة لعلع : ٢٠٧
القيافة : ٩٢
قاضي من الروم يرد مكة بأمر السلطان العثماني : ٢٠٧
قروة - حلة بالطائف : ٦٢
القشاشية : ٢٢٤

قطار السكة الحديد يصل المدينة المنورة : ٢٢٨
 القلعجية : ٢٢٦
 القصيم : ٩٢
 قريش : ٩٩
 القدس : ٩٢ ، ٣١ ، ١٤
 قلم اللوازم : ٦٤
 الكعبة : ١١٠ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ٩٣
 الكعبة : ٧
 الكوفة : ١١٠
 الكلية : ١٤
 الكنيسة التي أحرقتها الفرس بالحبيشة : ٩٩
 الكويت : ٩٢
 لون الحجر الأسود : ١٠٠
 مدرسة الفاتزين : ٧٧
 المدرسة التحضيرية : ٧٣
 مدارس الصولتية : ٨٩ ، ٢١
 مدارس تحفيظ القرآن الكريم : ٢٤٨
 المدرسة العزيزية : ٢٧
 مدرسة تعليم قيادة السيارات : ٨٢
 مدرسة العلوم الشرعية : ٢١ ، ١٨ ، ١٦ ، ٢٢
 مدرسة الفلاح : ٥٩ ، ١٩
 مصلحة البريد والبرق : ٢٣٣
 مدارس محمد منور خان : ١٠٣
 مدرسة الشريف عجلان : ١٢٧
 المدرسة الإعدادية : ٢١٥
 مالطة : ١٣
 مكتبة الثقافة : ٨٠ ، ٧٩
 المجلس البلدي : ٨٥ ، ١٤
 مجلس الشورى : ٢٣٣
 المجلس الاداري : ٢١٥ ، ٤
 مقام إبراهيم : ١١٣
 مجلس الأوقاف : ٢١٥ ، ١٤
 مكائن لرفع الماء للزراعة بالمدينة المنورة : ٢١٦

مشروع القرش : ٢٣٣
 مصر : ١١٧ ، ٩٢
 مسجد الحيف : ١٣٧
 المروة : ١٥٠
 المسجد الحرام : ٩٦ ، ٩٠ ، ٥٩ ، ٢٧ ، ٧
 المسجد النبوي الشريف : ١٨ ، ١٥ ، ١٣
 المدينة المنورة : ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١
 ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٧٩
 مجلس الأوقاف : ٢٨
 المحكمة الشرعية : ٢٧
 مقام إبراهيم : ١١٨
 المآذن في العمارة السعودية : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠
 مدرسة طيبة : ١٥
 منائر المسجد الحرام : ١٣٤ ، ١٢٣
 المجلس الأعلى للعلوم والآداب : ٢٣٣
 المشاعر المقدسة : ٩٦
 منظمة المؤتمر الإسلامي : ٢٨
 مدرسة العلوم الشرعية : ١٣
 المعهد العلمي السعودي : ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٧٣
 محل الحج وتاريخ المحامل : ٢٠٣
 مصر : ٤٣
 مصلحة اللوازم العامة : ٦٠
 مطابع ومكتبات الثقافة : ٨٥
 مكة المكرمة : ٢٧ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٣ ، ٧
 ٢٨ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ٩٨
 منى : ٩٥
 النادي الأدبي بالرياض : ٦٢
 النادي الأدبي بالطائف : ٦٢
 نجد : ٩١
 الندوة العالمية للإسلاميات : ٣٨
 نفى المغنين من المدينة في عهد الخليفة المهدي العباسي : ٢٠٥
 النوباتشية وحماة الأبواب : ٢٢٦

وزارة الإعلام : ٨٣
وزارة العمل والشئون الإجتماعية : ٨٤
وزارة المعارف : ٢٣٣
اليمن : ٩١ ، ٩٢ ، ١١٧
ينبع : ٩٢ ، ١٨٩

الهاشمي : ١٥٠
مجر : ٩٣ ، ١١٠
الهدا : ١٠٩
الهند : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٢
وزارة الأشغال : ١٥٠

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
السيد أحمد الفيض ابادي	٩
الاسم والنسب	١١
تعليمه	١١
أسرته	١٢
تفكيره في تأسيس المدرسة	١٤
البدء بالمشروع	١٥
القسم الصناعي	١٦
المكائد تثور	١٧
إغلاق المدرسة	١٨
معاونة الطلاب	١٨
المتخرجون	١٩
وفاة السيد أحمد الفيض ابادي	٢٢
حبيب أحمد يخلفه	٢٢
أحمد محمد جمال	٢٥
مؤلفات أحمد جمال	٢٩
مأدبة الله في الارض	٣٥
مذكرات أحمد جمال	٣٧
الرقابة على الصحف	٣٩
الكاتب الاسلامي	٣٩
آدم وحواء	٣٩
وفاة أحمد جمال	٤٠
أحمد عبد الغفور عطار	٤١
أول مؤلفات العطار	٤٣
أعمال ومؤلفات العطار	٤٤
أ - كتب نفدت	٤٤
ب - كتب محققة نفدت	٤٦

ج - كتب مترجمة للمؤلف ، طبعت حديثاً	٤٧
د - كتب صدرت حديثاً : ١٣٩٩هـ - (١٩٧٩ م)	٤٧
هـ - كتب أعيد طبعتها	٤٨
و - كتب معدة للطبع	٤٨
ز - كتب محققة للطبع	٤٩
جائزة الدولة التقديرية	٥١
العطار الصحفي	٥١
العطار الشاعر	٥١
صلة العطار بأدباء عصره	٥٢
صلة العطار بالعقاد	٥٢
العطار ينتصر للعقاد	٥٣
الايام الاخيرة في حياة العطار	٥٤
حسين بن علي سرحان	٥٧
مؤلفات حسين سرحان	٦٢
حسين سرحان الموظف	٦٤
حسين سرحان في بيته	٦٩
وفاة حسين سرحان	٧٤
صالح محمد جمال	٧٥
مكتبة الثقافة	٧٨
صالح جمال الصحفي والكاتب	٨٠
جريدة حراء	٨١
دمج الصحف	٨٢
تحويل الصحف إلى مؤسسات	٨٣
من أجل بلدي	٨٣
وفاة صالح جمال	٨٦
الشيخ عبد الله غازي المكي	٨٧
كتاب افادة الانام مخطوط في سبعة مجلدات	٩٠
أسلوب التأليف	٩٣
مؤلفات الغازي	٩٨
بناء الكعبة في عهد قریش	٩٩
نجار قبطي بمكة يصنع سقفاً للكعبة	٩٩
دعائم الكعبة من العود القافلي	٩٩
اراد السلطان أن يجعل حجارة الكعبة من الذهب والفضة	١٠٠
لون الحجر الاسود من الداخل	١٠٠
زرع الحجر الاسود	١٠١

إحضار خشب من بيوت جدة لعمارة الكعبة	١٠١
عربة يجرها اثنا عشر جملاً لتقل عمود من الخشب للكعبة	١٠١
السلم الذي يصعد به إلى الكعبة	١٠٢
والي جدة يمنع وصول درجة مهداة إلى الكعبة	١٠٢
سلم الكعبة	١٠٣
عمر بن الخطاب يقسم كسوة الكعبة على الحجاج	١٠٣
معاوية يقسم الكعبة بين أهل مكة	١٠٣
عائشة تستفتي في ثياب الكعبة القديمة	١٠٤
كسوة الكعبة بين أمراء مكة والسادن	١٠٤
كيفية قسم الكسوة بين السدنة	١٠٤
الوليد بن عبد الملك يحلّي باب الكعبة وأساطينها بالذهب	١٠٥
الخليفة المتوكل يصفح زوايا الكعبة بالذهب	١٠٥
بعض ولاية مكة يقطع الذهب من عضادتي باب الكعبة	١٠٦
الخليفة المعتضد يعيدها ذهباً	١٠٦
أم الخليفة المقتدر تلبس أسطوانات البيت الشريف ذهباً	١٠٦
الوزير الجواد يحلّي أركان الكعبة	١٠٦
بصفائح الذهب والفضة من الداخل	١٠٦
هدايا الكعبة	١٠٧
الظاهر بيبرس يهدي قفلاً للكعبة	١٠٧
الكوكب الدرّي إلى المدينة المنورة	١٠٧
حجران من الماس ثمنهما ثمانون ألف دينار	١٠٧
البيتونّي يصف الذخائر الموجودة في الكعبة	١٠٨
الشريف غالب أمير مكة يربّي السادن في داره	١٠٨
الشريف عون يعزل السادن وينفيه عن مكة	١٠٩
السلطان عبد الحميد يبني بيتاً لفتح الكعبة	١٠٩
ماذا فعل القرامطة بالحجر الأسود	١٠٩
تطوق الحجر الأسود	١١٠
هارون الرشيد يطوق الحجر بالفضة	١١٠
السلطان عبد الحميد يطوق الحجر بالذهب	١١١
تغيير الفضة المحاطة بالحجر الأسود	١١١
في زمن السلطان رشاد	١١١
تحلية مقام الخليل إبراهيم عليه السلام	١١٢
ذهب المقام يضرب دنائير	١١٢
فتنة العلوي بمكة	١١٢
سرقة ذهب المقام	١١٣

١١٣	موضع المقام
١١٥	الملك المسعود في مكة
١١٧	تجديد قبة المقام
١١٧	الشيخ طاهر الكردي يصف حجر المقام
١١٩	مفتاح المقام يحفظ عند السادن
١١٩	السلطان سليمان يكسو حجر المقام
١٢٠	المهدي يقطع خيفا لعبد الله بن عثمان المحيي
١٢٠	رومي يحاول سرقة حجر المقام
١٢١	عمارة المطاف
١٢١	باب زمزم ومفتاحه واسرة الزمزي
١٢٤	جد الزمازمة قدم من العراق
١٢٤	البعض ينزع ورثة الزمزي في السقاية
١٢٦	ابواب المسجد الحرام وأسمائها
١٢٦	باب بازان
١٢٦	باب العباس
١٢٦	باب الصفا
١٢٧	تسمية الابواب تختلف باختلاف الزمان
١٢٧	باب أم هانئ
١٢٧	باب الوداع
١٢٧	باب العمرة
١٢٨	باب ابن عتيق
١٢٨	باب الباسطية
١٢٨	باب القطبي
١٢٩	باب الزيارة
١٢٩	باب الداودية
١٢٩	الابواب الاخرى
	أسماء ابواب المسجد الحرام وتعدادها
١٣٠	في التوسعة السعودية الاولى
١٣٣	منائر المسجد الحرام
١٣٤	منارة باب العمرة
١٣٦	منارة باب السلام
١٣٦	منارة باب علي
١٣٦	منارة باب الوداع
١٣٧	منارة باب الزيادة
١٣٧	منارة السلطان قايتباي

١٣٨	منارة السلطان سليمان خان
١٣٨	المآذن في العمارة السعودية
١٣٩	المآذن التي كانت على المسجد الحرام وهدمت
١٣٩	قنديل يعلق على منارة لإعلان الناس بالافطار والامساك في رمضان
١٣٩	هارون الرشيد يقيم المآذن في شعاب مكة وفجائها
١٤١	بعض جبال مكة وأسباب تسميتها
١٤١	جبل عمر بالشبيكة
١٤١	جبل ابوقبيس
١٤٢	جبل تفاحة
١٤٢	جبل النار
١٤٢	جبل زبد
١٤٢	جبل ابي زيد
١٤٣	جبل الاعرج
١٤٤	بعض المساجد في مكة وحولها
١٤٤	مسجد الاجابة
١٤٤	مسجد الجن
١٤٤	تعمير مسجد الجن بالمعلاة
١٤٥	تسمية مسجد الخيف
١٤٥	تاريخ بناء مسجد عرفه
١٤٥	تسمية المزلفة
١٤٦	تعليل اسم منى
١٤٦	سبب تسمية التنعيم
١٤٦	سبب تسمية الجعرانة
١٤٦	الفضة في الجعرانة
١٤٧	الخرمانية
١٤٧	جبل الهندي
١٤٧	حوض البقر
١٤٨	أسوار مكة
١٤٨	سور المعلاة
١٤٨	سور الشبيكة
١٤٩	سور المسفلة
١٤٩	سور آخر بأعلى مكة
١٥٠	تسقيف المسعى
١٥٣	أوليات في مكة
١٥٣	هاشم بن عبد مناف اول من سن الرحلتين

١٥٣	الخليفة الراضي يبني انصاب الحرم بالتنعيم
١٥٣	وصاحب أربيل يبني انصاب عرفة
١٥٤	اصلاحات العيون وأيصالها إلى مكة والمشاعر
١٥٤	بازان
١٥٥	قربة الماء الصغيرة بدينار ذهب
١٥٦	قربة الماء الصغيرة بدينار من الذهب
١٥٦	والغيث يأتي من السماء
١٥٦	الماء في سنة الف ومائة وأربعين
	ابنة السلطات سليمان تنفق على اجراء
١٥٧	الماء إلى مكة وعرفات
١٥٩	الاحتفال بايصال الماء إلى مكة
١٥٩	مقدار ما أنفقته زبيدة على ايصال الماء إلى مكة
١٦٠	لجنة من اثرياء الهند تجمع المال لاصلاح العين
١٦٢	اول من اتخذ الحياض بعرفه
١٦٣	مكان للشئق يتحول إلى سبيل
١٦٤	المدارس حول المسجد الحرام
١٦٥	مدرسة الباسطية
١٦٥	تهدم المدرسة الباسطية
١٦٦	مدرسة دار السلسلة
١٦٦	مدرسة طاب الزمان
١٦٦	مدرسة الداودية
١٦٧	مدرسة العينية
١٦٧	مدرسة الملك غياث الدين صاحب بنقالة
١٦٨	نهاية مدرسة غياث الدين
١٦٩	مدارس اخرى
١٦٩	مدرسة قايتباي
١٧٠	نهاية وقف قايتباي
١٧٢	مدارس السلطان سليمان العثماني
١٧٣	نهاية المدارس الأربع
١٧٥	مدرسة محمد باشا بسويقة
١٧٥	وقف السلطان سليمان خان
١٧٥	الباقى من المدارس
١٧٥	الاقواق تتغير عبر الازمان
١٧٧	الاربطة في مكة
١٧٧	رباط الطبري
١٧٧	رباط رامشت
١٧٨	رباط الشيخ غياث الدين

١٧٨	الرباط العباسي
١٧٨	مصر الأربطة
١٧٨	رباط البصري
١٧٩	ذكر من دخل مكة والمدينة من النصاري والافرنج
١٨١	علي العباسي يصف الشريف غالب
١٨٤	اصناف العملة بمكة واسعارها
١٨٦	قطع الطريق على الحجاج
١٨٦	العرب يضعون الحنظل في المياه للحجاج
١٨٦	أمير مكة محمد بن ابي هاشم ينهب اموال الحجاج
١٨٧	نهب الحجاج بالحرم الشريف
١٨٧	اعراب بني زغب يقاتلون حجاج العراق وينهبونهم
١٨٨	القتال بين أمير الحج وصاحب مكة
	عساكر مصر يخرجون اهل مكة من بيوتهم
١٨٨	وينهبون القوافل
١٨٨	القتال بين أمير الحج المصري وبين أهل ينبع
١٨٩	قبيلة حرب تقطع الطريق وتقاتل امراء الحج
١٨٩	السلطان العثماني يهتم بالامر
١٩١	الدولة العثمانية تمنع بيع الرقيق في الحجاز
١٩١	شريف مكة يتدخل لاطفاء الفتنة
١٩٣	ثورة القبوري بمكة
١٩٥	الضرائب على الحجاج
١٩٦	بيان المكوس المقررة
١٩٧	الملك الاشرف يضاعف النقود لامير مكة
١٩٧	الشريف حسن بن عجلان والقاضي شهاب الدين المحلي
١٩٧	السلطان قايتباي يبطل المكوس بمكة
١٩٧	مراكب الهند تتحول من عدن إلى جدة
١٩٨	حصيلة الضرائب بجدة تنقل إلى مصر
١٩٨	السلطان الاشرف برسباي اول من فرض المكوس بجدة
١٩٨	تعليق ابن فهد على فرض المكوس
١٩٩	سلاطين المماليك يأمرّون التجار بحمل البضائع إلى مصر
١٩٩	منادي السلطان في عرفات
١٩٩	السلطان يخصص لشريف مكة ثلث مكوس المراكب الهندية
١٩٩	مضاعفة المكوس على بضائع اليمن
٢٠٠	الشريف بركات يتدخل لابطال المرسوم
٢٠٠	السلطان ينقص حصة امير مكة
٢٠٠	تركات المتوفين للسلطان
٢٠١	السلطان يعفي الشريف بركات من تقبيل خف المحمل

٢٠١	العثور يؤخذ صنفاً لا مالاً
٢٠١	التجار المصريون يزاحمون تجار مكة
٢٠١	السلطان يصدر مراسيم تتعلق بالرسوم والتركات
٢٠٢	العطاريون والبزاريون يعتصمون بمكة
٢٠٢	شاعر يصف خطباء العصر في مكة
٢٠٣	السماط
٢٠٣	محمل الحج وتاريخ المحمل
٢٠٤	المحمل العراقي
٢٠٤	السلطان سليم أول من رتب ارسال الغلال إلى مكة والمدينة
٢٠٤	أول من ارسل صرة النقود إلى مكة المقتدر العباسي
٢٠٥	السلطان نور الدين الشهيد أول من ارسل الطواشية إلى المدينة
٢٠٥	المهدي العباسي يأمر بنفي المغنيين من مكة
٢٠٦	المهدي أول من اقام البريد بين مكة والمدينة
٢٠٦	المستضيء بالله العباسي يأمر بعمارة الاميال الخضراء بالمسعى
٢٠٦	المظفر كوكبرى ينشئ الاعلام الثلاثة بعرفه
٢٠٦	اغلاق ابواب المسجد الحرام باستثناء اربعة ابواب
٢٠٧	اول قاضي يرد إلى مكة من الروم
٢٠٧	ترك القمامة امام البيوت جزأها الضرب على الاقدام
٢٠٨	دار الامارة بسوق الليل
٢٠٨	عمارة قلعة احياد
٢٠٨	الشريف غالب يبني الابراج التي باطراف مكة وقلعة لعلع
٢٠٩	السلطان عبد الحميد يبني قشلة جرول
٢٠٩	الثلج يحمل إلى المهدي من العراق إلى مكة
٢٠٩	جميلة بنت ناصر وأعمالها في الحج
٢١٠	الامير عثمان الزنجبيلي يحمل الحجاج بين عرفة والمزدلفة
٢١٠	السلطان غياث الدين ملك بنقالة يرسل اموالاً لبناء مدرسة ورباط المدينة
٢١١	وزير السلطان مراد يمزج الماء بالسكر والعسل ويسقي الحجيج
٢١١	أول مكوس فرضت على جدة
٢١١	الجودرية اسم حارة بالقاهرة
٢١١	وفاة الشيخ عبد الله غازي
٢١٣	السيد محمود أحمد
٢١٥	وظائفه
٢١٧	أضاء المسجد النبوي بالكهرباء
٢١٩	محمد حسين زيدان
٢٢٢	مؤلفات الزيدان
٢٢٣	ذكراتي عن الزيدان

٢٢٤	محاضرات جمعية الاسعاف بمكة
٢٢٥	ذكريات الزيدان
٢٢٥	المخزن
٢٢٦	الوظائف في عهد محمد علي باشا
٢٢٦	باب المجيدي
٢٢٦	مدحت باشا ابو الدستور
٢٢٦	عبد الحميد بدوي باشا
٢٢٧	الداودية
٢٢٧	الخدوي عباس يبتعث طلاباً من الحجاز إلى مصر
٢٢٧	اوائل المبتعثين من الحجاز
٢٢٧	طلب فصل المدينة عن مكة في العهد العثماني
٢٢٨	أحسان الله البواب الجاسوس
٢٢٩	الشيخ مخلوف والبشير الابراهيمي
٢٢٩	الامام يعين بفرمان
٢٣٠	الريال المجيدي
٢٣٠	أصناف العملة الذهبية
٢٣٠	وفاة الزيدان
٢٣١	محمد سعيد العامودي
٢٣٤	مؤلفاته
٢٣٤	بقية الرواد
٢٣٨	المختصر من كتاب نشر النور والزهر
٢٣٩	من حديث الكتب
٢٣٩	مؤلفاته الاخرى
٢٤٠	وفاة العامودي
٢٤١	محمد صالح عبد الرحمن قزاز
٢٤٤	رجل المهمات العظيمة
٢٤٥	الرغبة في الهجرة إلى المدينة
٢٤٦	في رابطة العالم الاسلامي
٢٤٦	لقد أكرمني الله أن أكون مطوفاً للعلماء
٢٤٧	عمل وانجاز
٢٤٧	مدارس تحفيظ القرآن الكريم
٢٥٠	معرفتي بالشيخ صالح قزاز
٢٥٢	وفاة الشيخ صالح قزاز
٢٥٣	مصادر الكتاب
٢٥٦	كتب صدرت للمؤلف

مطابع دار البلاد - جدة - ت : ٦٧٠٠٣٣٣